



# جُليلة البراءة

مَالِكُومِ اِكْسَن .. عَطَاوَةٌ الفِكْرِيَّةِ وَمَنْهَجُهُ الإِصْلَاحِيَّةِ



عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ ضَبَّاحِي

# حلم البراءة

مالكوم إكس.. عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحية



# حِلْمُ الْبِرَاءَةِ

مَا لَكُمْ بِكُنْزِ عَطَاؤِهِ الْفِكْرِيِّ وَمَنْهَجِهِ الْإِصْلَاحِيِّ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدٌ ضَاهِي

## حقوق الطبع محفوظة

ح شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

إسماعيل، عبد الرحمن محمد ضاحي

حُلْمُ البراءة.. مالكولم إكس.. عطاؤه الفكري ومنهجه  
الإصلاحي - عبد الرحمن محمد ضاحي إسماعيل - الرياض،  
١٤٤١هـ.

٢٧٢ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٤-٢٨٩٩-٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- التراجم

٢- مالكولم إكس، ت ١٣٨٥ هـ

أ. العنوان

١٤٤١/٣٨٩٤

ديوي ٩٢٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٣٨٩٤

ردمك: ٤-٢٨٩٩-٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م



## إهداء

إلى ينبوع حياتي الجارية

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل؛ أمي

إلى ينبوع السند والقوة وملاذي بعد الله؛ أبي

إلى ينبوع شراكة الأفراح والأتراح؛ زوجتي

أهدي لكم هذا البحث داعياً المولى - عز وجل - أن يُطيل

في أعماركم، ويرزقكم بالخيرات.

# فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
١٣	المقدمة
١٩	الباب الأول: من العبودية حتى مالكوم إكس
٢١	الفصل الأول: تاريخ العنصرية في الولايات المتحدة
٢٣	المبحث الأول: جذور العبودية في الولايات المتحدة
٣٥	المبحث الثاني: كيف انتهت العبودية في الولايات المتحدة؟
٥١	المبحث الثالث: ما بعد عصر العبودية (نضال السود للتحرر)
٦٧	المبحث الرابع: المسلمون السود في الولايات المتحدة
٨٣	الفصل الثاني: كيف تشكلت شخصية مالكوم وأفكاره؟
٨٥	المبحث الأول: نشأة مالكوم
٩٧	المبحث الثاني: حِقبة سجنه وإسلامه
١٠٩	المبحث الثالث: مرحلة (أمة الإسلام)
١٢١	المبحث الرابع: تغير أفكاره واغتياله
١٣٣	الباب الثاني: عطاء مالكوم إكس الفكري ومنهجه الإصلاحى
١٣٥	الفصل الأول: عطاء مالكوم إكس الفكري
١٣٧	المبحث الأول: إسهاماته الدعوية
١٥٣	المبحث الثاني: إسهاماته في حركة الحقوق المدنية
١٦٧	المبحث الثالث: التلاقح الفكري بين مالكوم إكس والعرب
١٨٧	المبحث الرابع: تأثيره في حركة الأدب والفنون الأفروأمريكية

١٩٩	الفصل الثاني: منهج مالكوم إكس الإصلاحي
٢٠٣	المبحث الأول: فلسفة منهج مالكوم الإصلاحي
٢٢٩	المبحث الثاني: مقارنة بين منهج مالكوم إكس ومنهج مارتن لوثر كينج
٢٤٥	المبحث الثالث: تأثير منهجه على حركات التحرر العالمية
٢٥٩	المبحث الرابع: نقد وملاحظات حول منهج مالكوم إكس
٢٦٩	الخاتمة

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم  
بها المؤلف لنيل درجة «الماجستير»  
في قسم الدراسات الإسلامية في  
جامعة الإمام بيروت الإسلامية  
التابعة لدار الفتوى اللبنانية، وقد  
نوقشت في ٢٢/١٠/١٤٤٠هـ

# المقدمة



إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، أما بعد:

مالكوم إكس - أو الحاج: مالك الشباز-؛ يمثل رمزاً من رموز مناهضة العنصرية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، والذي بنضاله واستمراره في دعوته نال الكثير من الأمريكان -ذوي الأصل الإفريقي- حريتهم وتحرّرتهم من جحيم الفصل العنصري والاستغلال وعدم المساواة، كما أنه رمز من رموز الدعوة وله الفضل الكبير في دخول الكثير من المسلمين -من ذوي الأصل الأمريكي- في الإسلام.

وتعد حياة مالكوم إكس في منتصف القرن الماضي ونضاله عن حقوق الأمريكان ذوي الأصل الإفريقي؛ تجربة تستحق الدراسة، فكلها سلسلة من التحولات من النقيض إلى النقيض؛ حيث انتقل من وحل الجريمة والانحراف إلى الهداية والدعوة إلى الإسلام، ومن قاع التطرف والأفكار العنصرية إلى الاعتدال والتوسط؛ وبعد رحلته للحج فهم الإسلام فهمًا صحيحًا بعد فهمه الخاطيء؛ فحياته كما يصفها الدكتور عبد الوهاب المسيري<sup>(١)</sup>: (ترتيلة تمجد روح الإنسان

---

(١) وُلِدَ في مدينة (دمنهور)، بمحافظة (البحيرة)، بجمهورية مصر العربية، عام (١٩٣٨م)، وحصل على ليسانس الآداب في اللغة الإنجليزية من جامعة (الإسكندرية) عام (١٩٥٩م)، وحصل على الماجستير في الأدب الإنجليزي المقارن من جامعة (كولومبيا) في الولايات المتحدة عام (١٩٦٤م)، ثم حصل على الدكتوراة في الأدب الإنجليزي والأمريكي عام (١٩٦٩م)، وتولى العديد من المناصب في الجامعة العربية ووزارة الإعلام، كما عمل =

التي يُمكنُها البقاء والاستمرار في مواجهة أكثر الظروف إفسادًا وتدميرًا<sup>(١)</sup>.

يُعد مالكوم إكس رائدًا لمدرسة فلسفة النضال؛ فكان معروفًا بخطبه المؤثرة التي اقتبست من خلالها أغلب المقولات الداعية للتحرر والاستقلالية، كما أن أفكاره ظلت مُلهمة لبعض حركات التحرر والمقاومة، وقد تميزت أفكاره عن غيره بأنها لم تكن متطرفة تنادي بهدم الدول أو خلق الفوضى، ولكن كانت تدعو إلى عدم الاستسلام واستخدام المنطقية والواقعية في الرد على الأفكار الظالمة المستبدة، وأن الحرية شيء لا يُمنح؛ فهو القائل: (لو اضطررت للتوسل إلى رجل آخر من أجل حريتك؛ فلن تنالها أبدًا، الحرية شيء يجب أن تناله بنفسك)<sup>(٢)</sup>.

وقد اختار الباحث شخصية مالكوم إكس؛ لما في تجربته من جاذبية وإلهام ظهرت في مراحل حياته المختلفة، وتقلباته التي قلب فيها من الانحراف إلى الإسلام، ومن الإسلام المُحرّف إلى الإسلام الصحيح، فكانت تلك التقلبات ناتجة عن استثماره للظروف الصعبة وتحويلها إلى منح إنسانية لبناء نفسه وقضيته التي عاش ومات من أجلها، الأمر الذي يأسر عقل أي قارئ لسيرته ومطلع على تجربته.

وعلى مستوى الأمريكان ذوي الأصل الإفريقي؛ يُعد مالكوم إكس الأكثر شعبيةً بينهم - لا سيما المسلمين منهم - وقد طُبعت مذكراته في السيرة الذاتية

---

=بمركز الدراسات السياسية بالأهرام، ومارس التدريس في كلية البنات جامعة عين شمس، كما عمل أستاذًا زائرًا بالجامعة الإسلامية بماليزيا، وعمل مستشارًا أكاديميًا بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن عام (١٩٩٢م).

(١) المسيري، عبد الوهاب. الفردوس الأرضي، تنوير للنشر والإعلام، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٢٣.  
(2) Malcolm X speaks, George Breitman, p122.

التي صاغها الروائي (أليكس هيلي)<sup>(١)</sup> ما يقارب الأربعين طبعة، وقرّرت تلك المذكرات في أقسام دراسات الأقلية السوداء بالجامعات<sup>(٢)</sup>، وقد نشرت صحيفة (San Francisco Examiner)<sup>(٣)</sup> في ملحق خاص عن مالكوم إكس بمناسبة ذكرى اغتياله أن: (مالكوم إكس حاليًا يعد أكثر شعبيةً عند الجيل الجديد - من الإفريقيين الأمريكيين - من مارتن لوثر كينج<sup>(٤)</sup>)، فبكل تأكيد لا توجد قبعات تحمل اسم مارتن للبيع، فمالكوم لا يزال يشكل أهمية كبيرة للإفريقيين الأمريكيين الفقراء القابعين أسفل المجتمع الأمريكي؛ لأن مالكوم عاش الظروف نفسها وعبر عن المرارة والإحباط اللذين يعانونهما حتى الآن، في حين عاش مارتن حياة مرفهة ولم يعان الفقر<sup>(٥)</sup>.

أما على المستوى الإسلامي؛ فلأسف لم يعرف الكثير مالكوم الداعية المسلم الفطن النبيه الذي دخل على يديه الآلاف من الأمريكان من ذوي الأصل

---

(١) مؤلف وروائي أمريكي مهتم بقضايا الأمريكان السود، وكانت السيرة الذاتية لـ (مالكوم إكس) هي أول كتبه، ثم اشتهر بعدها بـ (رواية الجذور).

100 Most Popular African American Authors, Bernard Alger Drew, p121.

(٢) تقول ليلي أبو زيد في ترجمتها لكتاب (مالكوم إكس - سيرة ذاتية): (وفي عام ١٩٨٨م) التحقت بجامعة تكساس، وتسجلت من بين ما تسجلت فيه من دروس أدبية، في درس حول الكتابات (الأفروأمريكية)؛ فتبينت لي مكانة كتاب (مالكوم إكس) هذا في الكتابة الأفروأمريكية التي أصبح فيما بعد من كلاسيكياتها). انظر: هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ترجمة: ليلي أبو زيد، دار بيسان للنشر، ط ١، المقدمة.

(٣) صحيفة يومية تصدر في ولايتي (سان فرانسيسكو، كاليفورنيا)، أُصدر أول عدد منها عام (١٨٦٣م).

(٤) زعيم أمريكي من أصول إفريقية، وناشط سياسي إنساني، ومن المطالبين بإنهاء التمييز العنصري ضد السود، وحصل على جائزة (نوبل للسلام) عام (١٩٦٤م).

(5) Harvard Journal of African American Public Policy, students of the John F. Kennedy School of Government, Harvard University, 2002, p117.

الإفريقي في دين الإسلام، حتى أسلم بعض المشاهير منهم على يديه، مثل الملاكم (محمد علي كلاي)<sup>(١)</sup>، فقد كان الإسلام سبباً رئيساً في تغيير حياة مالكوم، ومن دونه لَمَّا وصل إلى ما وصل إليه من مكانة، وهي الحقيقة التي كان يؤكدُها في كل محفل؛ فيقول: (إنني لم أكن شيئاً من دون الإسلام)؛ فكان هدفُ اختيار الباحث لتلك الشخصية في هذا البحث فكَّ القيود الأمريكية الإفريقية عن تلك الشخصية، ومحاولة وصولها إلى أكبر قطاع من المسلمين، آملاً أن تكون هذه الدراسة إضافةً إلى ما كُتب عن تلك الشخصية العظيمة، وإثراءً للمكتبة الإسلامية الفكرية .. وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) ملاكم أمريكي وُلد باسم (كاسيوس مارسيلوس كلاي جونيور) في مدينة (لوفيل) بولاية (كتاكي)، وتوفي بعد صراع طويل مع مرض (شلل الرعاش)، وهو من عائلة أمريكية سوداء من الطبقة المتوسطة، وبعد أن اعتنق الإسلام عام (١٩٦٤م) غيّر اسمه إلى (محمد علي) دون اسمه الأخير (كلاي).

# الباب الأول

من العبودية حتى مالكموم إكس

# الفصل الأول

## تاريخ العنصرية في الولايات المتحدة

وينقسم إلى أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: جذور العبودية في الولايات المتحدة.

المبحث الثاني: كيف انتهت العبودية من الولايات المتحدة؟.

المبحث الثالث: ما بعد عصر العبودية (نضال السود للتحرر).

المبحث الرابع: المسلمون السود في الولايات المتحدة.

## المبحث الأول

### جذور العبودية في الولايات المتحدة

(الرَّقُّ) لُغَةً: هُوَ الْعُبُودِيَّةُ، وَسُمِّيَ الْعَبِيدُ رَقِيقًا؛ لِأَنَّهُمْ يَرِقُّونَ لِمَالِكِهِمْ وَيَذَلُّونَ وَيَخْضَعُونَ إِلَيْهِ، وَالرَّقِيقُ هُوَ الْمَمْلُوكُ. وَقِيلَ: (الرَّقُّ) هُوَ الضَّعْفُ؛ وَمِنْهُ رِقَّةُ الْقَلْبِ<sup>(١)</sup>.

واصطلاحًا: سُنَّةٌ شَائِعَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَمَعْرُوفٌ مِّنْذُ الْقَدَمِ؛ نَتِيجَةٌ لِلْحُرُوبِ، وَالْحُرُوبِ مَعْرُوفَةٌ مِنْ مَبْدَأِ الْخَلِيقَةِ، وَكَانَتْ قَوَانِينُ الْأُمَمِ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِسْتِرْقَاقِ فِي غَايَةِ الْغَلْظَةِ وَالْفِظَازَةِ، فَفِي بَعْضِ الْبِلَادِ لَيْسَ لِلْعَبِيدِ مِنَ الْحَقِّ مَا لِبَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ الدَّاجِنَةِ كَالْكَلابِ وَغَيْرِهَا<sup>(٢)</sup>. وَكَانَ الْعَبِيدُ يُبَاعُونَ بِأَسْوَاقِ النَّخَاسَةِ<sup>(٣)</sup>، أَوْ يُشْتَرَوْنَ فِي تِجَارَةِ الرَّقِيقِ بَعْدَ اخْتِطَافِهِمْ مِنْ مَوَاطِنِهِمْ، أَوْ يُهْدَى بِهِمْ مَالِكُوهُمْ. وَمِمَّا رَسَمَتِ الْعُبُودِيَّةُ تَرْجِعُ لِأَزْمَانٍ مَا قَبْلَ التَّارِيخِ عِنْدَمَا تَطَوَّرَتِ الزَّرَاعَةُ بِشَكْلِ مُتَّامٍ، فَكَانَتْ الْحَاجَةُ مَاسَةً لِلْأَيْدِي الْعَامِلَةِ.

على مَرِّ التَّارِيخِ كَانَتِ الْعُبُودِيَّةُ مَوْجُودَةً فِي كُلِّ الْحَضَارَاتِ؛ فَالْقَدَمَاءُ الْمِصْرِيُّونَ يَعْذُونَ الرَّقِيقَ أَدَاةً مِنْ أَدَوَاتِ الْإِنْتِاجِ أَوْ أَدَاةً مِنْ أَدَوَاتِ الزَّيْنَةِ، فَكَانَ الْمَلُوكُ وَالْكُهَّانُ وَالْأَعْيَانُ يَكْثُرُونَ مِنْ اقْتِنَاءِ الْمَمَالِكِ لِلزَّيْنَةِ وَالخِدْمَةِ، وَفِي الْحَضَارَةِ

(١) ابن منظور. لسان العرب، دار المعارف، ج ١١، ص ٤١٥، مادة (رَقَق).

(٢) وجدي، محمد فريد. دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ٢٧٤، مادة (رَقَق).

(٣) النَّخَاسَةُ هِيَ: حِرْفَةُ النَّخَّاسِ؛ وَالنَّخَّاسُ هُوَ بَائِعُ الدَّوَابِّ وَالرَّقِيقِ. انظر: المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤م، ص ٩٠٩، مادة (نخس).

(الصينية، والفارسية، والهندية) يستخدمون العبيد في تشييد القصور والخدمة المنزلية والإنشائية والعسكرية، وكانت معاملة العبيد في جميع الحضارات متباينة؛ فمنهم مَنْ كان يتعامل معهم برفق ولين ورحمة؛ مثل: (الصينيين، والعبرانيين، والمسلمين)، ومنهم مَنْ سلك مسلك التعذيب ومعاملتهم كالحيوانات والدواب؛ مثل: (الهنود، والفُرس)، وكان مصدر جلب العبيد من خلال الأُسْر عن طريق الإغارة على مواطنهم، أو عن طريق تسليمهم من قِبَل رؤساء القبائل<sup>(١)</sup> المنتفعين للنجاسين والتجار<sup>(٢)</sup>.

بدأت عملية الاسترقاق في الولايات المتحدة عند وصول الإسبان إلى أرضها واسترقاق الهنود الحُمر، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل؛ لعدم قدرة الهنود على العمل تحت الشمس الحارقة في المزارع الواسعة، فالكثير منهم لم تتحمل صحتهم ما لم يعتادوه من الأعمال الشاقة من أعمال الاستعباد، كما شكَّلت الأمراض المُعدية التي جلبها الإسبان معهم إلى العالم الجديد لإبادتهم في أول

---

(١) في دراسة أمريكية حديثة؛ حيث وُجدت مخطوطة تعود إلى بداية القرن التاسع عشر، كتبها أحد الرهبان في (سيراليون) عام (١٨٠٩م)؛ أي: بعد سنتين من تأسيس البريطانيين لهذه المستعمرة، يشير فيها إلى سؤاله (١٧٧ عبدًا) حُرِّروا من إحدى سفن تجار العبودية عن ظروف استرقاقهم؛ فكانت الإجابات على النَّسَب الآتية: (٣٤٪) صرَّحوا بأنهم أُسروا خلال الحروب بين الأوربيين والأفارقة، (٣٠٪) اختطفوا من قِبَل الأوربيين، (٣٠٪) كانوا عبيدًا سابقين في إفريقيا، (٦٪) بيعوا لعجزهم عن رد ديون كانت عليهم. انظر: Africa and Africans in the Making of the Atlantic world, John Thornton, 1400-1800, Cambridge University Press, New York, 1998.

(٢) وجدي، محمد فريد. دائرة معارف القرن العشرين، ج ٤، ص ٢٧٤-٢٨٠، مادة (رقق)، بتصرف، مرجع سابق.



الأمر كـ(الجُدري<sup>(١)</sup>)، والدَّفْتيرِيَّة<sup>(٢)</sup>، والحُمَّى القِرْمِزِيَّة<sup>(٣)</sup>، والحُمَّى الصفراء<sup>(٤)</sup>)؛  
شكَّلت كوارث على أهل البلد الأصليين؛ ما جعل تأثيرها سريعًا ومميتًا، وأُبيدت  
قبائل بكاملها خلال سنوات قليلة<sup>(٥)</sup>.

وفي بدايات عام (١٥٨٤م)؛ أصدر مَلِك إسبانيا<sup>(٦)</sup> قرارًا يقول: (إن الهنود  
الحُمُر شعب ضعيف، وإنه يتعين أن يُترك هذا الشعب لأعماله الخاصة، أما العمل  
في المناجم والبناء والحقول والمطاحن فيجب أن يقوم به زنوج)<sup>(٧)</sup>؛ ليحل الأفرقة  
مكان الهنود الحُمُر؛ ليكون بذلك الإسبان هم أول من أنشؤوا نظام العبودية في  
أرض الولايات المتحدة، وتبعهم البريطانيون فيه، وهذا القرار كان من المَلِك إلى  
المجلس الذي يمثله في المكسيك<sup>(٨)</sup>.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية -وقتها كانت مستعمرات بريطانية- بدأ

---

(١) مرضٌ جلدي مُعْدٍ، يتميز بطفح حُلَيْبِيٍّ، يتقَيَّح ويعقبه قَشْر. انظر: المعجم الوسيط، ص ١١٠،  
مادة (جدري)، مرجع سابق.

(٢) الخُنَّاق هو: داءٌ مُعْدٍ يصيب الحلق والحنجرة، يصعُب معه التنفس، وتصحبه حرارة عالية  
وضعف؛ ويقال له: الدَّفْتيرِيَّة. انظر: عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم  
الكتب، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٧٠٣، مادة (خنق).

(٣) حُمَّى مُعْدِيَّة مصحوبة بعلامات قِرْمِزِيَّة على الجلد. انظر: عمر، أحمد مختار. معجم اللغة  
العربية المعاصرة، ص ١٨٠٤، مادة (قرمز)، مرجع سابق.

(٤) حُمَّى نزفية حادة تحدث بسبب فيروس، وتسري عن طريق البعوض الحامل له، وتشير كلمة  
(الصفراء) إلى اليرقان الذي يصيب بعض المرضى. انظر: <https://www.who.int/ar>.  
(5) Red, White, and Black: The Peoples of Early North America, Gary B. Nas, p93.

(٦) فيليب الثاني، ملك إسبانيا خلال (١٥٥٦م-١٥٩٨م).

(٧) موسى، عايدة العزب. تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٥١.

(٨) جمهورية دستورية فيدرالية في أمريكا الشمالية؛ يحدها من الشمال: الولايات المتحدة، ومن  
الجنوب والغرب: المحيط الهادئ، ومن الجنوب الشرقي: غواتيمالا وبليز والبحر الكاريبي،  
ومن الشرق: خليج المكسيك.

استعباد الأفارقة بوصول أول سفينة تحمل (٢٠ إفريقيًا) إلى أرضها<sup>(١)</sup>، تحديدًا في ولاية (فرجينيا)<sup>(٢)</sup> عام (١٦١٩م)<sup>(٣)</sup>؛ إذ كانت تلك الشرارة التي أشعلت جَذوة الاستعباد في باقي الولايات، والتي كانت مصدرًا أرخص بكثير من الخدم المرتبطين بعقود رسمية، الذين كان أغلبهم من الأوروبيين الفقراء الطامحين إلى أن يكونوا من سكان تلك الأرض الجديدة، وكانت ظروفهم المعيشية أفضل من العبيد الذين كانوا يعاملون بلا حقوق؛ ففي القرنين (السابع عشر والثامن عشر) عمل العبيد في مزارع التبغ والأرز بمستعمرات (ماريلاند)<sup>(٤)</sup> و(فرجينيا) جنوب (جورجيا)<sup>(٥)</sup>، وكان العبيد الأفارقة القادمون يعملون بنظام التعاقد الذي كان يعمل به الخدم الأوروبيون، ولكن عام (١٦٤٠م) انقلب الأمر -دون تدرج- من التعاقد إلى الاستعباد الصريح؛ حين حَكَمَت محكمة في مستعمرة (فرجينيا) على خادم إفريقي بالعبودية، وفي عام (١٦٥٤م) أصدرت محكمة مقاطعة (Northampton)<sup>(٦)</sup> حُكْمًا على خادم إفريقي يُدعى (Cazor John)<sup>(٧)</sup> بأنه ملكية خاصة لأحد المستوطنين؛ وبذلك أصبح أمر الاستعباد قانونيًا<sup>(٨)</sup>.

(١) تأسست الولايات المتحدة الأمريكية في (٤/ يوليو/ ١٧٧٦م)، وكانت قبلها عبارة عن عدة مستعمرات بريطانية.

(٢) ولاية تقع على ساحل المحيط الأطلسي للولايات المتحدة.

(3) Jamestown Colony: A Political, Social, and Cultural History, Frank E. Grizzard, oxford, England, p198.

(٤) ولاية تقع في منطقة الأطلسي الأوسط من الولايات المتحدة الأمريكية.

(٥) دولة ذات سيادة في منطقة القوقاز من أوراسيا؛ تقع عند ملتقى أوروبا الشرقية مع غرب آسيا، ويحدها من الغرب: البحر الأسود، ومن الشمال: روسيا، ومن الجنوب: تركيا وأرمينيا، ومن الشرق: أذربيجان.

(٦) بلدة غير حَضْرِيَّة في شرق الوسط الإنجليزي.

(٧) خادم في مقاطعة (Northampton) في (فرجينيا)، وفي عام (١٦٥٤م) أصبح أول شخص من أصل إفريقي في المستعمرات الثلاثة عشر في إنجلترا يعد عبدًا للحياة نتيجة دعوى مدنية. (8) Slavery abolition, Richard Oluseyi Asaolu, PediaPress, 2011, p130.

وبعد انتشار تجارة العبيد في بريطانيا ومستعمراتها الأمريكية؛ وُضعت قوانين ولوائح تنظم التعامل مع الرقيق؛ ففي عام (١٦٦٠م) أصدرت ولاية (فرجينيا) تشريعاً يجعل الطفل من أم من الرقيق رقاً بصرف النظر عن وضع الأب، ثم أُصدر تشريع آخر عام (١٦٦٧م) يُبقي الرقيق في حالة عبودية مدى الحياة؛ ما يعني أن الاسترقاق أصبح مؤسسة معترفاً بها تحكمها قوانين أصدرتها الهيئات التشريعية، التي حرّمت الإفريقي ليس من حرّيته فحسب، بل من آدميته وإنسانيته؛ فهو يعاقب كمنقول ليس له أي حقوق، وأي إشارة احتجاج منه يُردُّ عليها بعنف قد يصل إلى القتل<sup>(١)</sup>.

ومع تقنين العبودية في الولايات المتحدة؛ بدأت الممارسات الوحشية ضدهم من الأسياد والنّخاسين، وظل وضعهم في تدهور، وفي عام (١٧٠٥م) صدر قانون امتلاك العبيد الذي عدّهم جزءاً من الممتلكات الشخصية، كما كان من المتاح استعباد كل المُستوردين من البلاد غير المسيحية، بما في ذلك الهنود الذين تبقوا من الإبادة الإسبانية أو باعهم أهلهم<sup>(٢)</sup>.

وتوسعت تجارة العبيد في الولايات المتحدة عبر المحيط الأطلسي في منتصف القرن السابع عشر؛ بسبب التوسع في زراعة قصب السكر والأرز والتبغ، كما أن الأفارقة أثبتوا تفوقاً في العمل على غيرهم من العبيد من الأعراق الأخرى والخدم؛ وذلك يرجع إلى مناعتهم ضد أمراض المناطق الحارة ك(المَلاريا، والحُمى الصفراء)، فضلاً عن قدرتهم على العمل في المناخ الحار الرطب، وقد بلغت تجارة الرق عبر المحيط الأطلسي ذروتها في القرن الثامن عشر؛ حيث يُقدَّر

---

(١) المؤتمر الدولي (الإسلام في إفريقيا)، إصدار جامعة إفريقيا العالمية عام (٢٠٠٦م)، بحث

تجارة الرقيق عبر الأطلسي، ج ١١، ص ١٦٣.

(2) <http://www.history.org/history/teaching/slavelaw.cfm>.

إجمالي عدد العبيد الذين استُرِقُوا ما بين (٣٠-٤٠) مليون شخص، وهذا هو عدد الذين وصلوا أحياء بسبب الظروف غير الإنسانية التي نُقِلُوا بها<sup>(١)</sup>.

وظل عدد العبيد في الولايات المتحدة في تنام حتى كاد يؤثر في التركيبة الديموغرافية لبعض الولايات؛ فعلى سبيل المثال: بلغ عدد العبيد في ولاية (كارولاينا الشمالية)<sup>(٢)</sup> حوالي (٦٥٪) من إجمالي سكان الولاية<sup>(٣)</sup>؛ ما دفع بعض الولايات إلى إيقاف استجلاب العبيد إليها؛ مثل: مستعمرة (Rhode Island)<sup>(٤)</sup> عام (١٧٧٤م)، وبعض الولايات الأخرى وضعت اتفاقيات ولوائح لتنظيم تجارة العبيد، وقد تطور عدد العبيد الأفارقة مع الوقت تطوراً ملحوظاً؛ ففي الحقبة ما بين (١٦٧١م-١٧٠٠م) وصل إلى ما يقارب (١٦٠٠٠ عبد)، ثم قفز خلال عشرين عاماً في (١٧٢٠م) إلى (٢٦٠٠٠ عبد)، إلى أن انتهى في (١٧٧٥م) إلى (٢١٠٠٠٠ عبد)، وهو ما يُظهر الإقبال الشديد على تلك التجارة آنذاك<sup>(٥)</sup>، وقد عدَّت (اليونيسكو)<sup>(٦)</sup> تجارة الرقيق عبر الأطلسي أكبر عملية ترحيل في التاريخ<sup>(٧)</sup>؛

(١) موسى، عايدة العزب. تجارة العبيد في إفريقيا، ص ١٨٦، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) إحدى الولايات الأمريكية تقع على شاطئ المحيط الأطلسي في شرق البلاد.

(٣) <http://www.un.org/ar/events/slaveryremembranceday/2010/background.shtml>.

(٤) ولاية في منطقة (نيو إنغلاند) في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية.

(٥) <http://www.history.org/history/teaching/slavelaw.cfm>.

(٦) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، والمقر الرئيس لها (باريس)، ويتناول نشاطها تبني المنظمات التعليمية الخاصة ذات المستوى العالمي، وتدريب المعلمين، وتبني المؤتمرات العلمية، وحماية الآثار والتراث، ونشر الكتب والنشرات.

(٧) أشارت تقارير مؤتمرات منظمة اليونسكو التي انعقدت في بورت أو برانس (هايتي) عام (١٩٧٥م) وفي نانت (فرنسا) عام (١٩٨٥م)؛ أشارت إلى أن ما فقدته إفريقيا خلال الأربعة قرون من تجارة العبيد - بشكل مباشر أو غير مباشر - يقارب (٢١٠ مليون نسمة)، معظمهم من الشباب؛ ما حرّم القارة من الأيدي العاملة النشيطة وعمّق تخلفها الاقتصادي، فضلاً عما مس بعض مناطقها من خلخلة سكانية. انظر:

<http://www.un.org/ar/events/slaveryremembranceday/2010/background.shtml>.

ما أضرَّ كثيرًا بالاقتصاد الإفريقي، ويرى بعض الباحثين أنه قد تسبب في وضع إفريقيا في حالة من الحرمان الدائم مقارنة بباقي أنحاء العالم<sup>(١)</sup>.

عملية نقل العبيد من الساحل الغربي لإفريقيا إلى الولايات المتحدة وأوروبا؛ كان لها دور كبير في استنزاف الموارد البشرية للقارة؛ حيث إنها كانت مليئة بالممارسات اللاإنسانية الوحشية، حتى إنها وُصفت بـ(الهولوكوست الإفريقي)<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>؛ فتجارة العبيد كانت تتم عبر ما يسمى بـ(الممر الأوسط) متجهة من إفريقيا إلى المستعمرات الأوروبية أو الأمريكية؛ حيث يقومون بتبادل الرقيق مقابل عدة بضائع، ويكون المستعبَدون إما أسرى حرب وإما ضحايا خطف من أجل بيعهم للتجارة المحلية المزدهرة آنذاك في إفريقيا، وكان نقل الرقيق يتم في ظروف صعبة وغير صحية، وكانت تشير التقديرات إلى أن واحدًا من كل ستة عبيد قد لَقِيَ مصرعه بسبب الظروف غير المؤهِّلة<sup>(٤)</sup>.

وكان التجار يقيِّدون العبيد بالسلاسل بعضهم ببعض ويسيرونها بهم مئات

---

(١) أغلب العبيد الذين تم جلبهم من إفريقيا كانوا من الساحل الغربي من دول؛ مثل: (سيراليون، وساحل العاج، وبنين، وليبيريا، وغينيا، والسنغال، وغينيا بيساو، وأنغولا، والكونغو)، وفي عام (١٧٩١م) كانت زرائب الأوروبيين على شواطئ إفريقيا (٤٠ زريبة)، منها (١٤) لبريطانيا، لفرنسا، (١٥) لهولندا، للبرتغال، للدنمارك، وكانت جزيرة (غوري) السنغالية التي تمتد على مساحة كيلومتر مربع واحد، على بعد ثلاثة كيلومترات غرب العاصمة السنغالية (دكار)؛ كانت إحدى أبرز مقرات تجميع الرقيق قبل نقلهم بحرًا إلى أوروبا وأمريكا، وقد نجحت السنغال في تحويلها إلى وجهة سياحية بعد إدراج اليونسكو للجزيرة عام (١٩٧٨م) ضمن قائمة التراث العالمي، وقد زارها الرئيس الأمريكي السابق (باراك أوباما) عام (٢٠١٣م)، ومن قبله الرئيس (جورج بوش) عام (٢٠٠٣م)، ومن قبله الرئيس (بيل كلينتون) عام (١٩٩٨م).

(2) <http://africanholocaust.net/africanholocaust>.

(٣) الهولوكوست: إبادة جماعية وقعت خلال الحرب العالمية الثانية، قُتل فيها ما يقرب من ستة

ملايين يهودي أوروبي على يد النظام النازي لأدولف هتلر والمتعاونين معه.

(4) <http://www.un.org/ar/events/slaveryremembranceday/2010/background.shtml>.



الأميال، ويكدسونهم في السفن بعدما يدمغونهم، مثل الماشية لتمييزهم باسم مالكهم، ثم يشحنونهم عبر البحار في ظروف من الجوع والقسوة كانت تتسبب في هلاك الكثير منهم، فكانت المساحة التي تُعطى للرجل الواحد قليلة إلى الدرجة التي تجعل أرجلهم متداخلة في بعضها، ولم يكن هناك إمكانية لأحدهم أن يتقلب أو يغير وضع جسمه لأوقات طويلة، وكانت المساحة التي تُعطى للفرد للتحرك هي (١٨ بوصة)، كما أن سفن العبيد كانت تعرف برائحتها الكريهة بسبب سوء ظروف إقامتهم فيها وكانت تشم روائحها عن بعد أميال<sup>(١)</sup>.

وذكر المؤرخون بعض الظروف التي عاشها العبيد في تلك السفن؛ أن التجار كانوا يضربونهم بالسياط لإجبارهم على الالتصاق ببعضهم بعضاً في أضيق مساحة، وكان من المستحيل أن يتقلب أحدهم إلى اليمين أو الشمال من غير ما يعاني الصف كله الفوضى والاضطراب، وفي الأيام العاصفة كانت السفن تحاط بالأقمشة السميقة، فتمنع الهواء عنهم بحيث تصبح الأرض مبللة وغارقة في العرق، وكانت صيحات الألم ترتفع من أفواههم إلى أعلى السفينة، وكان من المعتاد أن يُقذف بأجساد الموتى من السفينة، ولم يكن من النادر أن تبلغ الوفيات نصف عدد العبيد، وفي أحيان كثيرة إذا لاحظ التجار نقص المياه قاموا بقذف الحمولة البشرية من العبيد في عرض البحر، وبالرغم من تلك الخسارة فإن أرباح التجارة كانت عالية، قد تصل إلى ألف في المائة في الرحلة الواحدة!<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكّر (William O. Blake)<sup>(٣)</sup> في كتابه (history of slavery) في شأن

(١) موسى، عابدة العزب. تجارة العبيد في إفريقيا، ص ٣٩، مرجع سابق.

(٢) موسى، عابدة العزب. تجارة العبيد في إفريقيا، ص ٣٩، مرجع سابق.

(٣) كاتب أمريكي وُلد في نيويورك، ويعد كتابه (تاريخ العبودية) من أهم المراجع التاريخية التي أرشفت حِقبة الاستعباد في أمريكا، وهو يختلف عن الشاعر البريطاني (William Blake).

موت العبيد أن: (Alexander Falconbridge)<sup>(١)</sup> اشترى في ثلاث رحلات (١١٠٠ عبد)، وفَقَدَ (١٩١) منهم؛ وأنَّ (Thomas Trotter)<sup>(٢)</sup> اشترى في رحلة واحدة (٦٠٠ عبد)، وفَقَدَ (٧٠) منهم؛ وأنَّ (Elisson)<sup>(٣)</sup> اشترى في ثلاث رحلات (٨٩٥ عبدًا) وفَقَدَ (٣٦٥) منهم؛ وأنَّ تاجرًا آخر اشترى في رحلة واحدة (٤٩٠ عبدًا) وفَقَدَ (١٨٠) منهم؛ وآخر اشترى في أربع رحلات حوالي (١٣٢٥ عبدًا) وفَقَدَ (٣١٣) منهم؛ وكل هؤلاء كانوا من التجار الإنجليز<sup>(٤)</sup>.

ولا يختلف كثيرًا الوضع اللاإنساني داخل السفن عن الوضع بعد الوصول إلى الأراضي الأمريكية وبدء مرحلة بيع العبيد لأسيادهم؛ فكانوا يُباعون في الأسواق وهم مكبلو الأيدي والأرجل كالبهائم! فلا يستطيع المقاومة أو الفكاك من قيوده! وكان يتلقى الإهانات الجسدية واللفظية! وكان الرجل الأبيض يعامل العبيد الأفرقة كالحيوانات، حيث لم تكن له أي حقوق تُذكر!<sup>(٥)</sup> كما كانت تحكم العبيد حُرمةً قوانين غاية في الظلم والوحشية؛ فكان يحظر على العبد تملك الحيوانات خاصة الكلاب، وكان يحظر عليه امتلاك سلاح أو استئجار حصان، كما كان محظورًا عليهم الشراء والبيع أو المتاجرة دون إذن سيده، وكان العبيد ممنوعين من تعلم القراءة والكتابة، وممنوعين من العمل في المزارع التي يعملون

(١) جراح بريطاني شارك في أربع رحلات في سفن العبيد خلال (١٧٨٠م-١٧٨٧م)، ونشر عام (١٧٨٨م) تقريرًا عن تجارة الرقيق على ساحل إفريقيا.

(٢) طبيب بحري أسكتلندي، كان ينتقد بشدة تجارة الرقيق، وعمل جراحًا على سفينة استعباد تعمل في نقل العبيد من إفريقيا إلى البحر الكاريبي، وتحوّل بعد ذلك إلى ناشط مناهض للاستعباد.

(٣) تاجر عبيد من أصل إفريقي، وأحد أثري رجال الأعمال في الجنوب الأمريكي.

(4) The History of Slavery and the Slave Trade, Ancient and Modern, by W. O. Blaker, 1861, p134.

(5) Dismantling Black Manhood, Daniel P. Black, library of congress cataloging in publication data, 1997, p103.

فيها دون إذن من مالكيهم، وكان العبد الذي يخالف تلك القواعد يواجه بعقوبة الجلد، وإذا تجرأ عبد وفكر في الهروب من سيده؛ يحق لأول رجل أبيض حر أن يقتله عندما يلقاه<sup>(١)</sup>.

وكانت من أخطر السلطات التي تواجه العبد هي سلطة سيده المباشر الذي يقضي عليه بعقوبات؛ مثل: (الجلد، أو الحرق، أو بتر الأعضاء أو تشويهها، أو حتى الحكم بالموت)، وقد أُقِرَّت فيما بعد عقوبة تمزيق الأوصال على العبيد؛ مثل: ولاية فرجينيا عام (١٧٠٥ م)، وولاية ميريلاند عام (١٧٢٣ م)، كما شملت تلك القوانين عقوبات أكثر بشاعة؛ مثل: التمثيل بجثث العبيد بعد شنقهم! ولم تكن القسوة مشتملة على الجانب الجسدي فقط، بل كانت على الجانب النفسي؛ فكان تقطيع أواصر الأسرة الواحدة من عوامل السيطرة عند مالكيهم، والتفرقة بين العبيد بحيث إن العبد المطيع والمنضبط فيهم يخدم في بيوت السادة، أما العبد المتمرد صعب الترويض فكان يخدم في الأعمال الشاقة في الحقل<sup>(٢)</sup>.

أما عن المرأة الإفريقية المُستعبدة؛ فإنها عانت امتهاناً - لا سيما في الأمور الجنسية-؛ فكان لا يُعطى لها الحق في الزواج إلا بإذن سيدها، كما أن ليس لها الحق في أن ترفض أن تساق إلى سرير مالكيها أو من يطلبها، ويشكل رفضها لذلك الطلب عملاً من أعمال التمرد، وكان من الطبيعي أن يعرض مالك المزرعة جواريه على ضيفه، وكانت هناك حالات كثيرة ترفض فيها النساء الحمل كنوع من أنواع المقاومة<sup>(٣)</sup>.

(١) موسى، عايدة العزب. تجارة العبيد في إفريقيا، ص ٤٧، مرجع سابق.

(٢) زن، هوارد. التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ترجمة: شعبان مكاوي، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، ج ١، ص ٧٧.

(٣) موسى، عايدة العزب. تجارة العبيد في إفريقيا، ص ٤٤، مرجع سابق.



## تمرد العبيد:

لم يكن كل ذلك القمع من الرجل الأبيض للأفارقة يمر دون مقاومة أو رد، فالجهود المبذولة لاستعادة الحياة والحرية ليست بالقليلة، حتى إن أحد المؤرخين قد عدّ الانتفاضات التي حدثت في التاريخ الأمريكي إلى (٢٥٠ انتفاضة)؛ ففي عام (١٥٢٦م) سُجلت للعبيد انتفاضة في المستعمرة الإسبانية جنوب (كارولاينا الشمالية)، ثم اندلعت بعدها انتفاضة في عام (١٦٦٣م) في (فرجينيا) التي كانت أول انتفاضة كبيرة للعبيد الأفارقة في المستعمرات الإنجليزية، وقد تلت تلك الانتفاضات انتفاضات أخرى في القرن الثامن عشر؛ ففي (نيويورك) قامت انتفاضة في عام (١٧١٢م) حرق فيها العبيد أحد المباني وقتلوا تسعة رجال بيض بالسكاكين والفؤوس وفروا هارين، وقد طبقت أشد العقوبات على المقبوض عليهم؛ فأعدم منهم ثلاثة عشر عبداً، ومات أحدهم وهو مُصَفَّد في الأغلال، وحُرق ثلاثة وهم على الخازوق، وكُسرت عظام واحد على عجلة التعذيب، كما فضّل ستة آخرون الانتحار على أن يقاسوا ألم العقوبة، ومع نمو عدد العبيد اندلعت انتفاضات أضخم وأكثر خطورة على الملاك والسادة، وأبقت هذه الأحداث طبقة الملاك في حالة انزعاج مستمر، كما اتُّخذت إجراءات قمعية كثيرة لقمع تلك التمردات، وكان الإعداد للانتفاضة يتطلب شجاعة هائلة وفدائية غير محدودة لهؤلاء العبيد<sup>(١)</sup>.

ومن أكثر الانتفاضات التي كانت لها أهمية في تاريخ العبيد في الولايات المتحدة؛ ما سمي بـ(فتنة غبريال)<sup>(٢)</sup> عام (١٨٠٠م) في (فرجينيا)، والتي شارك

(1) Red, White, and Black: The Peoples of Early North America, Gary B. Nash, p223.

(2) سُميت بـ(انتفاضة غابرييل أو فتنة غابرييل) نسبة إلى قائدها (Gabriel Bruce) الذي كان مُستعبداً مُتعلماً ويعمل حدّاداً، وخطط للانتفاضة كبرى في ولاية (فرجينيا)، وهي تعد أول انتفاضة للعبيد في الولايات المتحدة، والتي انتهت بإعدام غابرييل وأكثر من (٤٠) ممن خططوا معه لتلك الانتفاضة.

فيها (١٠٠٠ عبد)، وقُتل فيها (٣٥) من قاداتهم، وفي (فلوريدا)<sup>(١)</sup> عام (١٨١٦م) نظّم (١٠٠٠ عبد) انتفاضة قاوموا فيها جيش الولايات المتحدة لمدة أسابيع حتى أُبِيدوا نهائيًا، وفي (كارولينا) اندلعت انتفاضة عام (١٨٢٢م) وأدت إلى سُتق أكثر من (٣٠ زنجيًّا)، وفي عام (١٨٣١م) في (فرجينيا) قامت انتفاضة قادها (Nat Turner)<sup>(٢)</sup>، وقد هُزِمَت هي الأخرى وسُنق فيها (١٦ زنجيًّا)، واستمرت الانتفاضات حتى قامت الحرب الأهلية التي ألغَت بدورها العبودية في أمريكا<sup>(٣)</sup>.

كل ذلك يؤكد أن تاريخ هؤلاء العبيد ليس خاليًا من المقاومة ضد الاضطهاد الذي مورس ضدهم من قِبَل الأمريكان، وأن حُبهم للحرية كانوا يدفعون أمامه الضرائب الباهظة من تعذيب وإذلال قد يصل لمفارقتهم الحياة، كما يؤصّل لفهم جذور العنصرية داخل الولايات المتحدة وفهم النفسية المتباينة بين الأمريكي ذي الأصل الإفريقي ونفسية الأمريكي الأبيض الراض للمساواة، وسيُتضح ذلك بشكل أكبر في حِقبة انتهاء العبودية في الولايات المتحدة؛ وهو ما سيُشرح في المبحث القادم.

---

(١) ولاية تقع في جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) عبد أمريكي أسود نشط، نشر الرعب بين البيض الجنوبيين، وأشعلت أفعاله موجة من التشريعات التي منعت التعليم والحركة والتجمع للعبيد.

(٣) موسى، عايدة العزب. تجارة العبيد في إفريقيا، ص ٤٨، مرجع سابق.

## المبحث الثاني

### كيف انتهت العبودية في الولايات المتحدة؟

في القرن السابع عشر تعالت في أوروبا أصوات تجريم الرق من بعض دعاة الإنسانية؛ حينما رأوا أن الظروف الإنسانية للعبيد ساءت بما لا يتحمله بشر، كانت تلك الدعاوى والأصوات تُطرح طرحًا فرديًا حتى تبلورت في جماعات وأحزاب تبنت الفكرة وعملت على ترويجها؛ حتى استُصدرت قوانين وعقوبات ضد تجارة الرقيق؛ ففي عام (١٦٧٣م) دعا عدة نشطاء مناهضين للرق إلى تحريم العبودية داخل بريطانيا؛ وكان أبرزهم (Richard Baxter)<sup>(١)</sup> الذي وصف جالبي الرقيق عام (١٦٧٣م) بأنهم أعداء البشرية، والقسّ (Morgan Guderian)<sup>(٢)</sup> الذي واجه مَلّاك العبيد في جزيرة (Barbados)<sup>(٣)</sup> قد وصّف تجارة العبيد بالإجرام والقسوة، وتعرّض بسببها لمختلف الإهانات<sup>(٤)</sup>.

وفي وقتها أيضًا انتشرت التنظيرات التي تجرّم العبودية، وبدأ الكثير من الكُتاب يهاجمونها؛ مثل: جون لوك<sup>(٥)</sup> عام (١٦٨٩م)، ومونتيسكو<sup>(٦)</sup> عام

---

(١) ثيولوجي - أي: عالم في الإلهيات - وفيلسوف وكاتب إنجليزي.

(٢) من قساوسة الكنيسة الإنجيلية الإنجليزية.

(٣) مستعمرة تابعة لبريطانيا؛ تقع في المنطقة الغربية من شمال المحيط الأطلسي على بُعد (١٠٠ كيلومتر) شرق البحر الكاريبي، امتلأت الجزيرة بالعبيد الأفارقة للعمل في زراعة قصب السكر.

(٤) رياض، زاهر. استعمار إفريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٥م، ص ٧٨.

(٥) فيلسوف ومفكر سياسي إنجليزي.

(٦) فيلسوف فرنسي، وصاحب نظرية (فصل السلطات) الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليًا.

(١٧٤٨م)، والأسقف هايتز<sup>(١)</sup> عام (١٧٥٥م) ووصفها بأنها كسر لكل القوانين الإلهية والبشرية، وتحولت تلك الآراء الفردية إلى عمل منظم عام (١٧٨٣م) بعد تأسيس أول جمعية لتحرير الرقيق ومقرها بريطانيا لمكافحة تجارة العبيد، خاصة في غرب إفريقيا، وكانت لتلك الجمعية الفضل في تحرك طوائف الكويكرز<sup>(٢)</sup> في المستعمرات البريطانية في أمريكا، وطرد أي عضو داخلهم امتلك عبدًا ورفض تحريره، وبرزت من وسط تلك الجماعة في الأراضي الأمريكية -وقتما كانت مستعمرات بريطانية- عدة أسماء؛ مثل (أنطون بنزت)<sup>(٣)</sup> الذي أخرج الدعوة إلى العالمية، وتلا تلك الجهود إصدار قرار من رئيس الوزراء البريطاني (William Pitt the Younger)<sup>(٤)</sup> بإنشاء مستعمرة على ساحل إفريقيا الغربي<sup>(٥)</sup> يسكنها

---

(١) قَسَّ بريطاني، خدم في الكنيسة لمدة (١٣ سنة)، وكان رجل الكنيسة المثقف في عصره، وشغل منصب مستشار كلية (وليام وماري) في عام (١٧٦٢م)، كما شغل منصب أسقف مقاطعة (نورويتش) البريطانية خلال (١٧٤٩م-١٧٦١م).

(٢) مُسَمَّى يُطَلَّق على أعضاء جمعية الأصدقاء الدينية البروتستانتية في الغرب، ويُطَلَّق عليهم أيضًا (الصاحبيون)، وقد نشأت النزعة الصاحبية في إنجلترا في القرن (السابع عشر) الميلادي على يد مؤسسها (جورج فوكس)، أما اليوم فإن معظم أتباعها يقطنون في (الولايات المتحدة)، ويوجد في (إنجلترا وكينيا) العديد منهم، وتوجد جماعات أصغر في معظم أنحاء العالم، وقام أحد الكويكرز -ويُدعى: وليم بن- بتأسيس مستعمرة (بنسلفانيا) في الولايات المتحدة عام (١٦٨٢م)؛ لتكون ملاذًا للكويكرز الإنجليز الذين تعرضوا للاضطهاد بشكل مستمر، والذين رغبوا في الهجرة إلى العالم الجديد، وأصدر (بن) دستورًا للمستعمرة، وكان مثلاً أعلى لحماية الحريات الدينية للمواطنين.

(٣) أمريكي من أصل فرنسي، وكان من أوائل مؤيدي إلغاء العبودية في الولايات المتحدة، وأسس جمعية سميت بـ(جمعية إغاثة الزوج الحرة).

(٤) سياسي بريطاني، وهو ابن (ويليام بت الأكبر) رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، وقد تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا مرتين.

(٥) اسم يطلق على مجموعة من الدول التي تقع في الركن الغربي من القارة الإفريقية.

العبيد الذين حُرِّروا، ونُقِلَ إلى أرض سيراليون<sup>(١)</sup> - التي استُوْجِرَتْ من أحد الزعماء الإفريقيين - (٤٠٠ عبد)، وكان وصولهم إليها عام (١٧٨٧م)<sup>(٢)</sup>.

عادى تلك الدعوات والقرارات أصحاب المزارع وأصحاب السفن وتجار العبيد؛ فثرواتهم وعوائدهم الاقتصادية التي حصلوا عليها جعلتهم ينشرون آراء معارضة تؤكد المنافع الاقتصادية التي يجنيها الوطن من جراء هذه التجارة، وقاموا بنشر الشائعات والقصص المختلفة عن سعادة هؤلاء الرقيق في عملهم، ولكن الحقيقة كانت طاغية على كل تلك الدعوات.

مثَّلت انتفاضة العبيد في (هايتي)<sup>(٣)</sup> من عام (١٧٩١م) إلى (١٨٠٤م) نقطة تحول كبيرة في تاريخ العبودية وإدراك القوى الاستعمارية مدى الخطر السياسي والعسكري لمثل هذه الانتفاضات، وقد شكَّك هذا العامل بجانب الأصوات المتعالية لحركة القضاء على الرق والظروف الاقتصادية المتغيرة التي كان لها

---

(١) دولة صغيرة في غرب قارة إفريقيا على ساحل المحيط الأطلسي؛ تحدها من الشمال: غينيا، ومن الجنوب الشرقي: ليبيريا.

(٢) رياض، زاهر. استعمار إفريقية، ص ٧٨، مرجع سابق.

(٣) إحدى جُزُر البحر الكاريبي؛ يتمثل تاريخ جزيرة هايتي في الانتفاضة الهايتية التي قامت خلال (١٧٩١م - ١٨٠٤م)، والتي عُرفت باسم (انتفاضة العبيد)؛ فقد ثار العبيد على الفرنسيين في المستعمرة الفرنسية في (سان دومينغو)، وهذه الانتفاضة هي التي أدت إلى تأسيس دولة في جزيرة هايتي، وقد بلغ عدد العبيد الذين انضموا للانتفاضة (١٠٠ ألف) تقريباً، ومع تصاعد أعمال العنف قتل العبيد (٤٠٠٠ رَجُل) أبيض وأحرقوا ودمروا (١٨٠ مزرعة) قصب سكر والمئات من مزارع البن والإنديجو، وبحلول عام (١٧٩٢م) سيطر العبيد على ثلث الجزيرة؛ ما نبَّه الجمعية التشريعية المنتخبة حديثاً في فرنسا إلى أنها تواجه وضعاً لا تُحمد عقباه، ولحماية المصالح الاقتصادية الفرنسية اضطرت الجمعية إلى منح الحقوق المدنية والسياسية لتحرير المُلوَّنين في المستعمرات، وتشير التقديرات إلى أن انتفاضة العبيد خلَّفت (١٠٠ ألف قتيل) من السود، (٢٤ ألفاً) من البيض، وقد أعلنت منظمة اليونسكو (اليوم العالمي) لذكرى الإثجار بالرقيق السود وإلغاء الاحتفال به منذ عام (١٩٩٤م) بهذه المناسبة.

أثرها في خفض الأهمية الاقتصادية لبعض المستعمرات الأوروبية؛ كل ذلك شكّل بداية نهاية تلك التجارة عبر الأطلسي<sup>(١)</sup>.

وفي عام (١٨٠٦م) نجح اللورد<sup>(٢)</sup> (Granville Sharp)<sup>(٣)</sup> في إصدار قرار يقضي بتحريم تجارة العبيد في جميع الأراضي البريطانية، ولم يوافق عليها اللوردات إلا عام (١٨٠٧م)، ونص المرسوم بتحريم نقل العبيد على السفن التي ترفع العلم البريطاني، ولم تنتهِ تجارة العبيد عند ذلك الحد؛ فقد ظلت دون عقوبة وظلت مستمرة ولكن بطريق التهريب، ولم يُمنع الأمر بشكل صارم إلا في عام (١٨١١م)؛ حين صدر مرسوم ينص على عقوبات معينة لكل من يعمل في هذه التجارة، سواء بالنقل أو بأي وسيلة أخرى من وسائل الاشتراك، وكان هذا المرسوم هو الذي أنهى تجارة العبيد تمامًا في بريطانيا<sup>(٤)</sup>.

كان لتجريم العبودية في بريطانيا صداه في المستعمرات الأمريكية، والذي استمر معها حتى بعد الاستقلال عن بريطانيا بعد عدة انتفاضات قام بها العبيد؛ أبرزها كانت عام (١٧٤١م) وقد انتهت بشنق (١٣ عبداً) وإحراق (١٣) ونفي (٧١)، وقد استطاعت تلك الانتفاضات لفت الانتباه إلى الظروف اللاإنسانية التي يعيشها العبيد داخل الولايات المتحدة؛ وهو ما ألجأ بعض الولايات لتحريم الرق؛ مثل ولايتي (Massachusetts، Rhode Island)<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

(١) <http://www.un.org/ar/events/slaveryremembranceday/2010/background.shtml>.

(٢) لقب شرفي إنكليزي يطلق على صاحب المقام الرفيع في المجتمع الإقطاعي.

(٣) أحد مؤسسي جمعية (الضغط من أجل إلغاء تجارة الرقيق)، وكان أول رئيس لها، وقد شكلها عام (١٧٨٧م)، وأحد مقترحي خطة تسوية عبيد (سيراليون)؛ وقد أدت جهوده لرجوع الكثير من الأفارقة إلى (سيراليون) وتأسيس العاصمة (فريتاون).

(٤) رياض، زاهر. استعمار إفريقية، ص ٨٠، مرجع سابق.

(٥) الليموني، رمضان عيسى. أمراء الاستعباد، e-kutub، لندن، ٢٠١٦م.

(٦) ولاية (Rhode Island) في منطقة (نيو إنغلاند) في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية. وولاية (Massachusetts) هي أكبر الولايات من حيث السكان في منطقة (نيو إنغلاند).



وفي عام (١٧٩٤م) أصدرت الولايات المتحدة قرارًا بتحريم الاتجار بالرق نهائيًا، ونُفذ فعليًا عام (١٨٠٨م)، ولكن ظلت التجارة قائمة بسبب التهريب الذي كان يحدث من جزر الهند الغربية إلى (جورجيا، وفلوريدا، ولوزيانا)، كما أن احتياج الولايات الجنوبية للعبيد كان في ازدياد مستمر بسبب زراعة القطن وصناعته<sup>(١)</sup>؛ وذلك كان سببًا رئيسًا في احتدام الخلاف بين الولايات الشمالية المؤيدة لتحريم الرق والجنوبية الراضية له، وفي عام (١٨١٩م) اتخذ الرئيس الأمريكي عدة إجراءات مسلحة تجاه تجارة العبيد، ورصد لذلك ميزانية قوامها (١٠٠ ألف دولار)، وعلى غرار ما تم في بريطانيا من ترحيل للعبيد إلى أرض (سيراليون)؛ حصلت جمعية (الاستعمار الأمريكي) على مرسوم حكومي في (١٨١٩م) بإنشاء مستعمرة (ليبيريا)<sup>(٢)</sup> لترحيل العبيد المُحرَّرين إليها؛ وكانت تلك النواة الأولى لتأسيس دولة (ليبيريا) حاليًا، وتتابع جهود مكافحة تلك التجارة حتى انعقدت شراكة بين حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا من أجل إنهاؤها بشكل تام<sup>(٣)</sup>.

وفي ظل احتدام الصراع بين الولايات الجنوبية المؤيدة لنظام العبودية والولايات الشمالية الراضية له؛ ازداد عدد العبيد الفارين من الولايات الجنوبية العاملين في الزراعة إلى الولايات الشمالية الصناعية، وظهرت في تلك الحقبة حركات لتهريب عبيد الجنوب إلى ملاجئ آمنة في الشمال أو إلى كندا، وقد عُرفت تلك الحركات باسم (الطريق الحديدي السري)، أو (السكك الحديدية

---

(١) كان لاختراع دولا ب حَلج القطن أثر كبير في ازدياد مساحة الأراضي المزروعة؛ ما أثر في ازدياد الجنوبيين من التوسع في نظام الرق والإصرار على رفضه.

(٢) دولة في غرب إفريقيا؛ تحدها من الغرب: سيراليون، ومن الشمال: غينيا، ومن الشرق: كوت ديفوار.

(٣) رياض، زاهر. استعمار إفريقيا، ص ٨٢، مرجع سابق.

تحت الأرض)، ولقد أنشئت في العقد الرابع شبكة مستديمة من الطرق السرية في جميع أنحاء الشمال يسلك الهاربون سبيلها، وقد قُدِّر عدد الذين ساعدتهم تلك الحركة على التحرر بما لا يقل عن (٤٠ ألف) هارب في (أوهايو) وحدها، وذلك في المدة (١٨٣٠م-١٨٦٠م)<sup>(١)</sup>، وقد برز الكثير من العبيد في ذلك المجال؛ من أشهرهم: امرأة تُدعى (هاريت توبمان)<sup>(٢)</sup> وهي حَرَّرت وحدها ألف عبد، وقد خَلَّدت الحكومة الأمريكية ذكراها ببناء متحف لها في (كامبريدج)<sup>(٣)</sup> لتخليد مسيرتها النضالية، إضافة إلى أنصاب تذكارية أخرى، وأصبحت أول امرأة تختارها الحكومة الأمريكية لوضع صورتها على عملة الدولار، وذلك بقرار أصدرته في (٢١/ أبريل/ ٢٠١٦م)، وقد علَّقت (هيلاري كلينتون)<sup>(٤)</sup> على هذا القرار قائلة: (امرأة وقائدة ومُحارِبَة في سبيل الحرية، لا يمكنني تصور أي خيار للأوراق النقدية من فئة (٢٠ دولارًا) أفضل من هاريت توبمان)<sup>(٥)</sup>.

### الحرب الأهلية ودورها في إنهاء العبودية:

هدَّدت الحرب الأهلية الأمريكية بين الولايات الشمالية والجنوبية في عهد الرئيس الأمريكي (أبراهام لينكون)<sup>(٦)</sup>، التي استمرت أربع سنوات (١٨٦١م-١٨٦٥م)؛ هدَّدت هذه الحربُ حركةَ تحرير الرقيق تهديدًا كاد يمحي

---

(١) شلبي، شيرين سعيد. موجز التاريخ الأمريكي، روود جراي، وكالة الإعلام الأمريكية، ١٩٩٧م، ص ٧٦.

(٢) ناشطة في مجال إلغاء الرق وحقوق الإنسان، وجاسوسة لصالح الاتحاد خلال الحرب الأهلية الأمريكية.

(٣) مدينة تقع في شرق إنجلترا، وتشتهر بجامعتها (جامعة كامبريدج) التي تعد إحدى أعرق وأفضل الجامعات على مستوى العالم.

(٤) وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة، والمرشحة الديمقراطية للرئاسة عام (٢٠١٦م).

(٥) <http://www.aljazeera.net/encyclopedia>

(٦) الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية.



كل تلك الجهود السابقة، وتبرز أهمية ذلك الحدث في أنه كان بمنزلة آخر مسار في نعش عصر العبودية في الولايات المتحدة، وقد اندلعت الحرب بين الولايات الشمالية<sup>(١)</sup> بقيادة أبراهام لينكون، والولايات الجنوبية<sup>(٢)</sup> بقيادة جيفرسون ديفيس<sup>(٣)</sup>، وهذه الأخيرة كانت تسمى نفسها بـ(الولايات الكونفدرالية)<sup>(٤)</sup>، وفضّلت بعض الولايات<sup>(٥)</sup> الحياد وعدم الدخول في الحرب<sup>(٦)</sup>.

وتتلخص أسباب الحرب الأهلية في ثلاثة أمور: (إلغاء الرق، والخلاف على سياسة الحماية التجارية، وحق الانفصال)، ولكن أهمها كان قرار (إلغاء الرق)؛ لكونه سيمثل ضربة قوية لاقتصاد ولايات الجنوب؛ التي اعتمدت بشكل كبير على العبيد في زراعة القطن، وهي من الأنشطة التجارية ذات الربحية العالية في تلك الولايات، كما أن محصول القطن الجنوبي كان يشكل ثلاثة أرباع المحصول

---

(١) الولايات الشمالية هي: (كاليفورنيا، كونكتيكت، ديلاوير، إلينوي، إنديانا، آيو، أركنساس، كنتاكي، ميريلاند، ماساتشوستس، ميتشيغان، مينيسوتا، ميزوري، نيوهامبشير، نيو جيرسي، نيويورك، أوهايو، أوريغون، بنسلفانيا، رود آيلاند، فيرمونت، ويسكونسن، كولورادو، داكوتا، نبراسكا، نيفادا، نيو مكسيكو، يوتا، واشنطن)، وفي أثناء الحرب انضمت ولايتا (نيفادا، فيرجينيا الغربية) للولايات المتحدة الأمريكية، كما عادت ولايتا (تينيسي، لويزيانا) للاتحاد في بداية الحرب.

(٢) الولايات الجنوبية هي: (كارولينا الجنوبية، ميسيسيبي، فلوريدا، ألاباما، جورجيا، لويزيانا، تكساس).

(٣) سياسي أمريكي، كان الرئيس الوحيد للولايات الكونفدرالية، وكان عضوًا في الحزب الديمقراطي، ومثل ولاية (ميسيسيبي) في مجلسي (الشيوخ والنواب) قبل أن يصبح رئيسًا للاتحاد الكونفدرالي، كما كان وزير الحرب الأمريكي الثالث والعشرين.

(٤) تُعرّف أيضًا بالولايات الكونفدرالية الأمريكية، وهي حكومة قامت في فبراير (١٨٦١م)، من قِبَل ست من سبع ولايات الرقيق الجنوبية التي كانت قد أعلنت انفصالها عن الولايات المتحدة الأمريكية.

(٥) مثل ولايات: (فرجينيا، تينيسي، أركنساس، كارولينا الشمالية، ماريلاند، ديلاوير، ميزوري).

(6) Black Liberation and Socialism, ahmed shawki, 2006, haymark etbox, chapter of civil war.

العالمي؛ فالقطن أهمُّ صادرات البلد وأهم مصدر للتجارة الدولية<sup>(١)</sup>؛ لذلك فور إعلان (أبراهام لينكون) حظر الرق في جميع الأراضي الأمريكية؛ أعلنت الولايات الجنوبية عام (١٨٦١م) انفصالها عن الولايات المتحدة الأمريكية

(١) وهناك تفسير اشتراكي لتوضيح دوافع جيش الاتحاد في الشمال نحو توجهه للحرب مع الجنوب وهو: أن هذين النظامين -نظام العمالة الحرة والعمالة المستعبدة- تعايشا لعقود عديدة، وكانا أبعد ما يكونان عن عدم التوافق، بل كَمَّلَ كُلُّ منهما الآخر. إن النمو الرأسمالي في الشمال اعتمد على الجنوب الاستعبادي مما غدَّى نمو العبودية. ساعد تجار الشمال في تمويل وتصدير محصول القطن الجنوبي لسوق النسيج البريطانية، وقد وفر الرأسماليون البريطانيون القروض للصادرات الشمالية ولاستيراد البضائع البريطانية الصنع، ولكن كان هنالك تناقض متنام بين الاقتصادين الاثنین، فقد غيَّرَ النمو المتسارع للصناعة والزراعة الشمالية -ومعه الهجرة الواسعة- في تكوين الشمال الأمريكي وغيره في علاقته مع الجنوب. انبثق من ذلك التغيير تحالفٌ جديد للقوى متحدٌ في معارضته لتمدد العبودية. كان هذا التحالف الذي أسَّس قاعدةً للحزب الجمهوري الجديد مكونًا من رأسمالين صناعيين ومزارعين غرب أوسطين وعمالٍ وحرفيين؛ وكان الشعار الذي قدمه الجمهوريون هو «أرض حرة، عمالة حرة» مجسِّدًا طموحات اقتصادٍ حديثٍ مبنيٍّ على ملكية خاصة واسعة النطاق «أرض حرة» ومشاريع حرفية «عمالة حرة»، حيث زعم الجمهوريون أن العائق الرئيس لتحقيق أيٍّ من هذين الهدفين هو هيمنة طبقة ملاك العبيد الحاكمة على الحكومة وتمدد العبودية وتوسعها لمناطق جديدة، فبالنسبة للطبقة الرأسمالية الشمالية، أصبحت العبودية عائقًا أمام النمو الرأسمالي، ولكي يوطدوا قوتهم السياسية والاقتصادية عليهم أن يحدوا من توسع العبودية.

كما عبَّر الصراع الشمالي الجنوبي أيضًا عن التنافس المتنامي بين الرأسماليتين الأمريكية والبريطانية، ففي عشية الحرب الأهلية، فكان محصول القطن الجنوبي يشكل ثلاثة أرباع المحصول العالمي، حيث كان القطن أهمَّ صادرات البلد وأهم مصدر للتجارة الدولية، مع عودة أغلب أرباح الشحن والتخزين والصناعة لأيدي رأسمالي الشمال. وخلال طفرة القطن في خمسينيات القرن التاسع عشر طالب المزارعون الجنوبيون من الجنوب أن يبني أسطوله الخاص من السفن لي شحن محصوله مباشرة إلى إنجلترا دون الحاجة للاعتماد على الشاحنين (الشمالين). ثروة الطبقة الحاكمة الجنوبية كانت بذلك إذا مرتبطة تمامًا بالرأسمالية البريطانية لا الرأسمالية الشمالية، أما الطبقة الرأسمالية الشمالية فلم تؤسس نفسها بشكل متكامل إلا بفرض مصالحها على الجنوبيين، وتطلَّب ذلك فك قبضة ملاك العبيد عن الدولة قبل كل شيء.

وتشكيل حكومة اتحادية جديدة تحت مسمى (الولايات الكونفدرالية الأمريكية)، وسيطرت القوات الكونفدرالية على العديد من الأبنية التابعة للحكومة المركزية داخل تلك الولايات<sup>(١)</sup>.

تميّز المعسكر الشمالي عن الجنوبي بعدة مزايا في تلك الحرب؛ منها: عدد السكان؛ حيث كان سكانها (١٩ مليوناً) من المواطنين البيض، وقد انضم للجيش الشمالي ما يقارب (٢٠٠ ألف جندي) أسود<sup>(٢)</sup>، في حين كان سكان الجنوب (١٢ مليوناً) فقط، منهم (٤ ملايين) من العبيد، إضافة إلى أن قائد الولايات الشمالية هو الرئيس الأمريكي وقتها (لينكون)، فكان المال تحت تصرفه لتمويل الحرب، وقد جمع جزءاً كبيراً من الأموال اللازمة للحرب عن طريق بيع سندات الحرب للشعب الأمريكي، إضافة إلى امتلاك الولايات الشمالية للسكك الحديدية التي أسهمت في نقل السلاح لقوات الاتحاد بشكل سريع وإعادة التموين؛ الأمر الذي جعل انتصار قوات الاتحاد -الولايات الشمالية- بقيادة لينكون أمراً مُحْتَمّاً، وقد أدت الحرب الأهلية الأمريكية إلى تدمير معظم ولايات الجنوب، وبلغ عدد القتلى فيها أكثر من نصف مليون جندي من الجانبين، إضافة إلى عدد كبير من القتلى المدنيين؛ وكان من نتائج الحرب إنزال تعديل دستوري عام (١٨٦٥ م) ألغى الرق والعبودية في عموم أراضي الولايات المتحدة، ومُنحت بموجبه الحرية لقرابة (٤ ملايين) من الأمريكيين السود المستعبدين<sup>(٣)</sup>.

---

(1) Black Liberation and Socialism, ahmed shawki, 2006, haymark etbox, chapter of civil war.

(2) <https://www.nps.gov/afam/index.htm>.

(3) Black Liberation and Socialism, ahmed shawki, 2006, haymark etbox, chapter of civil war.

## مشاركة العبيد في الحرب الأهلية:

شارك السود بقوة في الحرب الأهلية ضمن المعسكر الشمالي من أجل القضاء على العبودية وتحرير إخوانهم في الجنوب من ربقة العبودية، حتى قال (James M. McPherson)<sup>(١)</sup>: (إن الشمال لم يكن لينتصر في الحرب الأهلية لولا الجنود السود، وأضاف أن روح القتال لدى الجنود السود أثرت في زملائهم البيض، وقد شاركت (١٤٠ كتيبة) من السود من ولايات الشمال، وفي مناطق الجنوب خدم حوالي (١٨٠ ألف إفريقي أمريكي) داخل قوات الاتحاد)<sup>(٢)</sup>.

وقد حث النشطاء السود العبيد على المشاركة في الحرب من أجل التحرر وإنهاء المعاناة، وقد كتب (فريدريك دوغلاس)<sup>(٣)</sup> في صحيفته (Douglass' Monthly) حاثًا السود على التطوع في جيش الاتحاد؛ فقال: (أُعْطِيَتْ لَكُمْ الفرصة الآن لِتُنْهَوْا في يوم واحد عذاب قرون، ولتنهضوا مجتمعين من الانحطاط الاجتماعي لمكانة تَسَاوٍ مَعَ كُلِّ أصناف البشر، تذكروا (Denmark Vesey)<sup>(٤)</sup>، وتذكروا (Nat Turner)، وتذكروا (Shields Green)<sup>(٥)</sup>، وتذكروا (John An-)

---

(١) مؤرخ وأستاذ جامعي من الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) أحرار في النهاية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، وزارة الخارجية الأمريكية، ٢٠٠٨م، ص ١٧.

(٣) كان عبدًا سابقًا ثم أصبح فيما بعد كاتبًا وأحد دعاة التحرير من العبودية والدفاع عن حقوق السود، وفي عام (١٨٤٥م) نشر كتابًا عن قصة حياته بعنوان (قصة حياة فريدريك دوغلاس)، وفي العام نفسه سافر إلى إنجلترا، ثم عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٨٤٧م) وأسس صحيفة أسبوعية سمّاها (نجمة الشمال) والتي غيّر اسمها فيما بعد إلى (ورقة فريدريك دوغلاس).

(٤) نجّار وقيادي بين الأمريكيين السود في (تشارلستون) بولاية (كارولينا الجنوبية).

(٥) عبْد هارب قد أُعْدِم في عام (١٨٥٩م) لدوره في غارة (John Brown) التي شنّها العبيد على ترسانة السلاح الفدرالية بولاية (فرجينيا) عندما كان شابًا، وقد هرب عبر شبكة سكة حديد تحت الأرض إلى مدينة (Rochester) في ولاية (Minnesota).

thony Copeland<sup>(١)</sup>؛ أولئك رجالٌ تبعوا (John Brown)<sup>(٢)</sup> النبيل وسقطوا  
شهداء عظماء لقضية العبيد؛ تذكروا في الصراع مع الظلم أنه سبحانه ليس من  
صفاته أن يصطف مع الظالم؛ أقول قولي هذا لكم، فهذه فرصتنا الذهبية<sup>(٣)</sup>.

وبالرغم من تغلب جيش الاتحاد المُناصر لإلغاء العبودية؛ لم تتحسن أوضاع  
العبيد في الولايات الجنوبية؛ وهذا يرجع إلى سببين:

السبب الأول: أنه كان من الصعب تغيير تركيبة العقل الجمعي الأمريكي الجنوبي  
وزرع معاني المساواة بعدما عاش مئات السنين يعتقد بفوقية عرقه على العرق الأسود،  
ولا سيما أنه قد ترك العبودية مُجبرًا عليها بعد الحرب الأهلية، فلم تتحسن ظروف  
السود الأحرار في الجنوب بعد انتهاء الحرب - وإن كانوا أحرارًا بالقانون -.

إن الكونجرس الذي سنّ تشريعات تحريرهم؛ تركهم لساداتهم السابقين ولم  
يفعل شيئًا حيال ذلك، وكان السود أشبه بلاجئين في بلاد عاثت فيها الحرب فسادًا،  
ولا مغالاة في القول بأن عدد العائلات التي تفككت كان في العام الأول للحرية  
أكثر منه في أي عام من أعوام الرّق، ولقد مات الآلاف منهم بالمرض والجوع، أو  
راحوا ضحايا للعنف ولم يحاولوا الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات، أو أن يرسلوا  
أبناءهم إلى مدارس البيض، أو أن يتجاوزوا حدودهم اجتماعيًا، أو أنهم سرعان ما  
كانوا يتلقون درسًا إذا حاولوا<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أسود حُر وُلد في ولاية (كارولينا الشمالية)، وشارك في أنشطة إلغاء العبودية، وألقي  
القبض عليه في غارة (John Brown) التي شنّها العبيد على ترسانة السلاح الفدرالية بولاية  
(فرجينيا)، وسُنق عام (١٨٥٩ م).

(٢) مناضل أمريكي في سبيل حرية العبيد، ولد في ولاية (كونيتيكت) في الولايات المتحدة الأمريكية.  
(3) Black Liberation and Socialism, ahmed shawki, 2006, haymark etbox, p60.

(٤) موجز تاريخ الولايات المتحدة، تأليف: ألن نيفينز، هنري ستيل كوماجر، ترجمة: محمد بدر  
الدين خليل، دار المعارف، ١٩٨٣ م، ص ٢٢٥.



وقد أصدرت ولايات الجنوب قوانين تخص السود التي تُفرض عليهم قواعد صارمة في الحياة؛ إذ عليهم بموجبها أن يعجلوا في النوم ويستيقظوا الفجر ويخاطبوا البيض بتوقير، وأن تُحظر عليهم وظائف الاختصاص، وهم - وإن كانوا أحرارًا - عليهم أن يبقوا فيما هم عليه كادحين وُضَعاء يقتصر عملهم على ما هو دنيء وبأجر بخس، وإذا لم يُستخدموا فمصيرهم السجن، يُسلمون بعد الخروج منه إلى رب عمل خاص يعملون لحسابه لحين دفع الغرامة التي تشتري حريتهم. ويضاف إلى ذلك العنف الذي جرى ضد السود في الولايات الجنوبية بعد انتهاء الحرب حدوث جرائم قتل بحقهم؛ ففي عام (١٨٦٦ م) في مدينة (Memphis) بولاية (Tennessee) قُتل (٤٦ عبدًا)، وفي ولاية (Kentucky) بلغ عدد المقتولين شنقًا أكثر من (١٠٠ عبد)<sup>(١)</sup>، وقد بقيت الأوضاع في الجنوب كما كانت عليه من سيطرة البيض على المجالس التشريعية؛ وهو ما ساعد على إصدار قوانين زادت من إهدار حقوق الزوج<sup>(٢)</sup>، فقد مُنحوا الحرية قانونيًا فقط، لكن المساواة التامة كانت بعيدة المنال<sup>(٣)</sup>.

السبب الثاني: دوافع جيش الاتحاد بقيادة (أبراهام لينكون) الذي همه الأول إنقاذ الولايات المتحدة من الانقسام، واتخذوا ورقة تحرير العبيد ستارًا لحربهم على الولايات الجنوبية، التي كان قرار إلغاء العبودية بالنسبة لها يمثل شللها التام

(١) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ترجمة: نخلة كلاس، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ص ٢٧٩.

(٢) اسم كان يُطلق على القبائل الإفريقية، ومنه كان اسم جزيرة (زنجبار)، ويتميز الفرد منهم ب: الجلد الأسود، والشعر الجعد، والشفة الغليظة، والأنف الأفتس.

(٣) دسوقي، ناهد إبراهيم. دراسات في التاريخ الأمريكي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ص ١٠٣.

بسبب اعتمادها على الزراعة، فالغاء العبودية ليس من دافع إنساني خالص، ولكن كان بدافع عسكري لإرغام الجنوب على الرضوخ لجيش الاتحاد الشمالي.

ولأبراهام لينكون عدة اعترافات تفيد بأن هدفه من الحرب كان سياسيًا؛ وهو الحفاظ على أراضي الولايات المتحدة من الانقسام بعيدًا عن أي هدف إنساني -وهو تحرير العبيد-؛ ففي أغسطس عام (١٨٦٢م) قال لينكون في رده على رسالة من الصحفي (هوراس غريلي)<sup>(١)</sup> لصحيفة (The New-York Tribune)<sup>(٢)</sup>:  
(هدفنا الأساسي من هذا الصراع هو إنقاذ الاتحاد، ليس هدفنا إنقاذ العبودية أو تدميرها، وما أقوم به تجاه العبودية والعرق المثلون لا أقوم به إلا إيمانًا بأنه سيساعد في إنقاذ الاتحاد)، وكتب لينكون في عام (١٨٦٣م): (يَدَّعي أعدائي أنني أشنُّ هذه الحرب لهدف وحيد وهو إلغاء العبودية)، ثم أتبع قائلاً: (ما دمْتُ أنا الرئيس؛ ستُشنُّ هذه الحرب لهدف واحد وهو استرجاع الاتحاد، ولكن ليست هنالك أي قوة بشرية بإمكانها إخضاع هذا التمرد من دون سياسة تحرير، وكل سياسة أخرى اتخذناها قد كانت بقصد إضعاف روح المتمردين المعنوية وإضعاف قوتهم الفيزيائية)<sup>(٣)</sup>.

وكانت للينكون نفسه تصريحات عنصرية تتناقض كليًا مع هدفه المعلن من الحرب؛ فيقول في أحد خطباته أمام الكونغرس: (إنني لم ولن أكون في جانب إحداث مساواة اجتماعية وسياسية بأي شكل بين العرقين الأبيض والأسود، وأنا لم ولن أكون أبدًا في جانب جعل الناخبين أو أعضاء هيئة المُحلفين من الزنوج، ولا تأهيلهم لتوليهم المكاتب ولا لتزويجهم بالبيض، وسأقول إضافة لهذا إن هناك

(١) مؤسس ورئيس تحرير صحيفة (The New-York Tribune).

(٢) صحيفة أمريكية أنشئت عام (١٨٤١م).

(3) Black Liberation and Socialism, ahmed shawki, 2006, haymark etbox,chapter of (civil war), p56.

فرقًا جسديًا بين العرق الأبيض والعرق الأسود، والذي أو من أن بسببه ستمنع إلى الأبد الحياة المشتركة بين العرقين من نواحي المساواة الاجتماعية والسياسية، وأنا -كأي رجل آخر- أفضل أن يكون منصب الرئاسة بيد العرق الأبيض<sup>(١)</sup>.

وفي اجتماع أقامه لينكون مع قياديين سود في أواخر أغسطس (١٨٦٢م)؛ ناشدهم ليدعموا هجرة طوعية قائلًا: (ليست هنالك مساواة لأي رجل من عرقكم مع أي رجل من عرقنا)؛ وبهذا قد خيب الرئيس آمال الإلغائين بشدة؛ فعلى سبيل المثال وصف (Wendell Phillips)، وهو أحد رواد خطباء الإلغائين البيض، لينكون بعد كلامه ذلك بأنه: (متعثر، أعرج، مُراوغ، مُتردد، ضعيف، مخبول)<sup>(٢)</sup>.

كل تلك الشواهد تدل على أن راية تحرير العبيد استخدمها جيش الاتحاد في حربه على الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية كوسيلة وليست هدفًا في ذاتها، تحسّن بعدها وضع السود إلى حد ما، لكن ليس بالحد المرجو من تلك الحرب التي كان يظن الجميع أنها ستقضي على العنصرية بشكل نهائي، وقد لخص العبد السابق (Thomas Hall) وضع السود بعد الحرب الأهلية قائلًا: (لقد حاز لينكون الشناء لتحريرنا، ولكن هل حقًا حرّرنا؟ لقد منّنا الحرية دون أن يمنحنا أي فرصة كي نعيش لأنفسنا، وكان لا بد أن نعتمد على الرجل الأبيض كي نحصل على العمل والغذاء والملبس؛ ومن ثم فقد أبقانا لينكون تحت ضغط الحاجة والعوز في حال لا يُفضل كثيرًا على العبودية)<sup>(٣)</sup>، وذلك هو ما رددته أغلب زعماء التحرر والمساواة السود بعد ذلك؛ أن تحرر الأمريكي الأسود كان تحررًا صوريًا وتم

(١) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ص ٢٦٦، مرجع سابق.  
(٢) Black Liberation and Socialism, ahmed shawki, 2006, haymark etbox, chapter of (civil war), p56.

(٣) زن، هوارد. التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج ١، ص ٣١٦، مرجع سابق.



بشكل اضطراري، وأن الأمريكي الأبيض حاول بشتى الطرق حفظ التركيبة الطبقية التي تحفظ وضعه الخاص في المجتمع ولا تساويه بالأمريكي الأسود، وكل هذه المظاهر سيتناولها المبحث القادم.

## المبحث الثالث

### ما بعد عصر العبودية (نضال السود للتححرر)

انتهى عصر العبودية في الولايات المتحدة بانتهاء الحرب الأهلية عام (١٨٦٥م)، وتبني الكونجرس قبول التعديلات الدستورية التي أنهت دستورية العبودية، وتضمن قانون الحقوق المدنية لعام (١٨٦٦م) القوانين الآتية:

- منح الجنسية الأمريكية لأي شخص يولد على أرض الولايات المتحدة.
- إعطاء السود الحماية المتساوية والكاملة أمام القانون.
- إعطاء الحكومة الاتحادية - ممثلةً بشخص الرئيس - الحق في استخدام الجيش لفرض تطبيق هذا القانون<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من تلك القوانين التي حاول بها الشماليون إعطاء السود حق المواطنة في الولايات المتحدة؛ فإنها أقيت غير فاعلة ولم تؤدَّ إلى إعطاء السود حقهم الكامل في المواطنة؛ ويرجع ذلك إلى ثقافة التمييز بين الأعراق المتجذرة في عقل الأمريكي الجنوبي وعدم تقبله فكرة المعاشة مع الأمريكي ذي الأصل الإفريقي.

استرد الديمقراطيون<sup>(٢)</sup> نفوذهم السياسي في ولايات الجنوب وتمكنوا من سن قوانين تمتع السود بحقوقهم في المواطنة لكنها عنصرية المضمون، وسموها (منفصل لكن متساوٍ / separate but equal)؛ وتهدف تلك القوانين إلى الفصل

---

(١) ياغي، عبد الفتاح محمد. الحكومة والإدارة العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، دار

الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١م، ص ٢٧٢.

(٢) من أقدم الأحزاب السياسية الأمريكية، عُرف الحزب بالفكر المحافظ وارتبطت سياسته بحماية نظام العبودية قبيل الحرب الأهلية.

بين السود والبيض في الأماكن العامة والمدارس والمواصلات والمراحيض العامة وكذلك في الحياة العسكرية، وفي عام (١٨٩٠م) عَمَّت تشريعات الفصل العنصري في أغلب الولايات الجنوبية للولايات المتحدة، وسُمِّيت هذه الحِقْبة بحِقْبة (قوانين جيم كرو)<sup>(١)</sup>، وتفاقم الأمر اجتماعيًا حتى وصل الفصل العنصري إلى جميع مرافق الحياة العامة؛ فكان الرجل الأسود غير مسموح له بالأكل في مطاعم البيض، وُخِصَّت عَرَبَات ومقاعد خاصة بالسود في المواصلات العامة، وقد بلغ الأمر ذروته في بعض مناطق الجنوب إلى أن يتنحى الرجل الأسود جانبًا إذا كان الرجل الأبيض قادمًا على الرصيف ذاته!

وساهمت تلك القوانين العنصرية المُجْحِفَة في ازدياد وضع السود سوءًا داخل الولايات الجنوبية على جميع المستويات، وتفشَّت فيهم البطالة والجهل والجريمة بسبب حالة الاحتقان العِرقية الموجودة سلفًا، إضافة إلى الحرص على عدم دمج السود داخل المجتمع.

لم يقف الأمر عند تلك القوانين العنصرية فحسب؛ بل نشأت بعض التشكيلات المسلحة الإرهابية التي أزعجها تمتع الرجل الأسود ببعض المساواة؛ مثل منظمة (كو كلوكس كلان/ku klux klan)<sup>(٢)</sup> التي نشأت في ولاية (بلاسكي) عام (١٨٦٦م) على يد المحاربين القدامى في الجيش الكونفدرالي، وقد استخدمت

---

(١) مصطلح ساخر، أُشتق من أغنية ورقصة ساخرة عن السود أداها الممثل الأبيض (Thomas D. Rice)، واضعًا فيها مكيًا أسود على وجهه وسخر فيها من السود، وتُستخدم كعبارة تحقير للأمريكي الأسود، تعادل معناها (الزنجي)، وتُطلق على حِقْبة العنصرية التي تلت الحرب الأهلية وصدور قوانين (منفصل لكن متساو) التي تُخَصِّص مرافق للبيض وأخرى للسود في جميع مناحي الحياة.

(٢) منظمة عنصرية؛ تأسست عام (١٨٦٦م)، وتؤمن بتفوق العِرق الأبيض ومعاداة الأمريكان الأفارقة، وتستخدم العنف والإرهاب لاضطهاد من يكرهونهم.

أساليب تعذيب وحشية ضد الأمريكيان من ذوي الأصل الإفريقي؛ مثل: (الجلد، والحرق، والإخفاء، وأحياناً القتل)، ويتميز أعضاء تلك المنظمة الإرهابية بزئهم المثير للهلح والذي يخفي أشكالهم؛ وهو متمثل في أقنعة بيضاء ذات ثقوب للعين والأنف، وقبعات عالية تطيل قامة الذين يرتدونها، يتفاهمون فيما بينهم بصفارات مُعينة، وكان مرورهم من أمام كنائس ومنازل السود أمراً مثيراً للهلح<sup>(١)</sup>.

وقد انتشر ذلك التنظيم الإرهابي في ولايات (جورجيا، وألاباما، وفلوريدا)، وبلغ عدد أعضاء تلك المنظمة (١٠٠ ألف عضو) في عام (١٩١٦م)، وقد صرّح أحد المسؤولين الأمنيين في إحدى وسائل الإعلام الشهيرة أن: نشاط (ku klux klan) كان يستهدف تصفية النشطاء السود الأكثر وعياً، كما أنهم يستهدفون الضباط والجنود من قوات الاتحاد الشمالي، والسود منهم بشكل خاص، وقد بلغ عدد عملياتهم الإرهابية في كارولينا الشمالية وحدها (١٠٠ ألف عملية)<sup>(٢)</sup>.

وقد مارست تلك المنظمة موجةً من الإرهاب لمنع السود من ممارسة حقوقهم المُكتسبة من المساواة بينهم وبين البيض؛ ففي عشيّة الانتخابات عام (١٩٤٦م) طاف أعضاء المنظمة الإرهابية أرجاء ولاية (جورجيا) بالصلبان وعلقوا تحذيرات على أبواب الكنائس؛ نَصّها: (إن أول زنجي في جورجيا يتجرأ على التصويت سوف يكون ميتاً)، وذيّلت بالتوقيع باسم المنظمة، وأُرسلت مع هذه التحذيرات بعض طلقات البارود، وفي يوم الانتخابات كانت تُوزع على منازل الزوج دُمى على شكل توابيت<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الإرهاب الأمريكي، تأليف: ر. ف. إيفانوف، أي. ف. ليسينفسكي، الكوكلوكس كلان،

ترجمة: غسان رسلان، دار الحوار، سوريا، ط١، ١٩٨٣م، ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣.

وتعددت أحداث العنف والاشتباك بين البيض والسود والتي راح أغلب ضحاياها من السود؛ فعلى سبيل المثال: سقط (٤٧ زنجياً) في فتنة عنصرية اندلعت في (East St. Louis)<sup>(١)</sup>، وفي (١٩١٩ م) حدثت أحداث عنف بين البيض والسود راح ضحيتها (٦ سود)، وفي الشهر ذاته مات (٣٦ زنجياً) بسبب إضراب عنصري أقامه السود لمدة ثلاثة أيام، وتشير التقديرات إلى أن ضحايا العنف من السود في الحقبة (١٨٨٥ م - ١٩٣٠ م) بلغت أكثر من (٣٠٠٠ قتيل)<sup>(٢)</sup>.

### الوضع السياسي:

وَصَّغَت الولايات الجنوبية قوانين حدَّت من حقوق السود السياسية؛ فقد أصدرت محكمة العدل العليا تشريعاً خاصاً بحق الاقتراع، وظل معمولاً به حتى منتصف التسعينيات؛ وينص على<sup>(٣)</sup>:

- الفصل في أماكن الاقتراع بين السود والبيض.
- قيام الأحزاب السياسية بتبني ما يُعرف بالمؤتمر الحزبي الأول للبيض، وهي تجمعات اقتصرها البيض عليهم فقط واستثنوا منها السود.
- فرض ضريبة على كل مَنْ يريد المشاركة في التصويت.
- إجراء مقابلات وامتحانات تقيس المعرفة التاريخية والسياسية لكل مَنْ يريد المشاركة في الانتخابات من السود.

---

(١) مدينة بشكل رئيس في (سانت كلير)، وجزء صغير منها في مقاطعات (ماديسون) في جنوب غرب إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ص ٢٨٤، مرجع سابق.

(٣) ياغي، عبد الفتاح محمد. الحكومة والإدارة العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٢٧٢، مرجع سابق.

أما عن المقابلات التي كانت تتم للسود لتحديد مستواهم الثقافي الذي يُخَوَّل لهم حق الانتخاب؛ فكانت اختبارات تعجيزية، وكان يُطلَب من بعضهم أن يذكر عمره بالأعوام والأشهر والأيام، وفي بعض الولايات كان يُطلَب منهم فقط أن يذكر تاريخ سريان مفعول تعديل ما من التعديلات الدستورية أو متى قُبلت هذه في الولاية أو تلك في الاتحاد، وكان الخطأ الواحد في تلك الأسئلة كفيل برسوبه وحرمانه من حقه الانتخابي<sup>(١)</sup>.

### الوضع الاجتماعي:

بعد الحرب لوحظ أن هناك فرقاً كبيراً بين الوضع الاجتماعي للسود والبيض؛ بسبب سيطرة البيض على الثروات والوظائف العليا وتقصير الدولة بعدم تأهيل السود وأماكن تجمعاتهم اجتماعياً واقتصادياً؛ فالزواج الذين حُرروا لم تكن لديهم أموال أو ثروات لشراء الأراضي الزراعية، وعاش الأغلب منهم على الحِرَف التي كانوا يمارسونها في مرحلة العبودية، وكانت في الغالب حِرَفاً زراعية، واضطُر أغلبهم إلى العمل في الأماكن القديمة التي كانوا يُستعبدون فيها كعمال في الزراعة أو خُدام في المنازل، لكن مع اختلاف مسماه من (عبد) إلى (أجير)، أما الزوج الذين اتجهوا للعمل في المصانع فلم تترك لهم العناصر البيضاء سوى الوظائف الوضيعة التي أُطلق عليها (مِهَن الزوج)<sup>(٢)</sup>؛ لذلك كان وضع الزوج الاجتماعي والاقتصادي مذبذباً لقلّة فرص العمل وانخفاض رواتبهم أو لتخصيص فرص العمل الوضيعة لهم.

(١) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ص ٢٨٢، مرجع سابق.

(٢) دسوقي، ناهد إبراهيم. دراسات في التاريخ الأمريكي، ص ٤٣، مرجع سابق.

كان متوسط أعمار المواطنين السود، والذين من ذوي الأصول الإسبانية، والمواطنين الأصليين (الهنود الحمر)؛ منخفضاً عن أعمار البيض بمقدار عشرين عامًا، ومعدلات البطالة مرتفعة بينهم، ونسبة الفقر تتعدى (٥٠٪)، في حين تبلغ نسبة الفقر بين البيض (١١٪)<sup>(١)</sup>.

وقد وصفت الصَّحَفِيَّة (Agnes E. Meyer)<sup>(٢)</sup> الحي الزنجي في واشنطن بمقال في صحيفة (The Washington Post)؛ فقالت: (لقد جُزِّت البيوت ليسكنها عدة أسر، بل قد جُزِّت الغرف الصغيرة، وهي أقدر من أن تُزَرَبَ فيها الحيوانات ليكون في إمكانها أن تُؤوي أكبر عدد ممكن من البشر، ففي ساحة (يورك) غرفة تُغصُّ بـ(١٤ زنجياً وزنجيةً)، وفي (الشارع التاسع) منزل صغير فيه (١٩ ساكنًا)، في حين تعيش امرأة وثلاثة أولاد في الدور الأرضي من البناء، وليس نادرًا أن تجد في ذلك الحي ستة أشخاص يقطنون في غرفة واحدة، وينامون في فراش واحد في بعض الأحيان)<sup>(٣)</sup>.

### الوضع التعليمي:

في عام (١٩١٥م) بلغت نسبة الأمية بين السود (٥٠٪)، وكان مردود ذلك تَرَدُّدًا في أوضاعهم المهنية والحرفية، وقد طُبِّق الفصل في مجال التعليم، وحُرم أبناء السود من دخول مدارس البيض، وخُصِّصت لهم مدارس بمستوى أقل من مدارس البيض، كما اقتصر التعليم في المدارس الخاصة بالزنجي على المعلمين

(١) عناية، محمد جلال. أمريكا وأزمة الضمير، ص ١٠٠.

(٢) صحفية وناشطة في مجال الحقوق المدنية.

(٣) مصرع الديمقراطية في العالم الجديد، تأليف: فيكتور بيرلو، ألبرت إ. كان، ترجمة: منير البعلبيكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٦٨.



السود، وقد لجأ الكثير منهم إلى الذهاب إلى الكنائس للتعلم وتشكيل ثقافتهم<sup>(١)</sup>. وكانت الدولة تُولي اهتمامًا بمدارس البيض أكثر من مدارس السود؛ فعلى سبيل المثال: ولاية (Mississippi) كانت تُخصّص (٣٥ دولارًا) سنويًا لتعليم كل تلميذ أسود، يقابله (١١٧ دولارًا) لكل تلميذ أبيض، حتى في ولاية (نيويورك) كان الفارق بين الأسود والأبيض من إلى (١٠)؛ وهذا ما يترتب عليه انخفاض مستوى أبنية مدارس السود، وانخفاض مستوى كادر التعليم، وبعد انتهاء دراستهم يتسلّمون أعمالًا دون تعليمهم<sup>(٢)</sup>.

وفي وثيقة (الجمعية الوطنية للنهوض بالملوّنين / National Association for the Advancement of Colored People) التي قُدّمت للولايات المتحدة عام (١٩٤٧م) تحت عنوان (نداء إلى العالم)؛ ذكّرت أن الفصل بين الطلاب السود يحدث إلزاميًا في عشرين ولاية داخل أمريكا، وأما في ولاية (فلوريدا) فتقضي قوانينها بأن تُخزّن الكتب المدرسية الخاصة بالطلاب الزنوج في معزل عن الكتب الخاصة بالطلاب البيض!<sup>(٤)</sup>.

---

(١) دسوقي، ناهد إبراهيم. دراسات في التاريخ الأمريكي، ص ٤٤، مرجع سابق.

(٢) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ص ٢٨٩، مرجع سابق.

(٣) National Association for the Advancement of Colored People، وتُدعى اختصارًا (NAACP)؛ وهي منظمة حقوق مدنية للأمريكان ذوي الأصول الإفريقية في الولايات المتحدة؛ تشكلت في عام (١٩٠٩م) على يد (مورفيلد ستوري، ماري وايت أوفنتن، دو بويز)، ومهمتها ضمان المساواة السياسية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية بين جميع الأعراق، والقضاء على التمييز العنصري، وموقعها الرسمي على الشبكة العنكبوتية: [www.naacp.org](http://www.naacp.org).

(٤) مصرع الديمقراطية في العالم الجديد، تأليف: فيكتور بيرلو، ألبرت إ. كان، ص ٢٥٧، مرجع سابق.

## المرافق العامة:

بلغ الفصل العنصري مداه في المرافق العامة؛ فطال المواصلات والمشافي والسجون؛ فقد خُصّصت عربات للسود وعربات أخرى مساوية للبيض في القطارات؛ ما أدى إلى تضرر السكك الحديدية من هذا القانون بسبب تحميلها تكاليف زائدة لشراء عربات لتطبيق القانون أو خروج عربات بلا ركاب، وكانت (قضية بليسي ضد فيرجسون)<sup>(١)</sup> مثالاً فجعاً للتفرقة العنصرية التي حدثت في مواصلات الولايات الجنوبية وتحامل القضاء على السود<sup>(٢)</sup>، كما أن سيارات النقل العام كان يُمارس عليها قانون العزل بتخصيص سيارات للبيض وسيارات أخرى للسود، أو تخصيص مقاعد للسود أو البيض وإلزام السود بالوقوف للبيض حال امتلاء المقاعد!<sup>(٣)</sup>.

كما شُرعت قوانين في بعض الولايات تفصل بين المرضى البيض والمرضى السود في المستشفيات، وفي (١١ ولاية) كانوا يفصلون بين المصابين بالأمراض العقلية على أساس اللون والعرق أيضاً، وقضت بعض الولايات أيضاً الفصل في السجون والمؤسسات الإصلاحية، وطال الفصل العنصري كل المرافق العامة

---

(١) سُميت بهذا الاسم بسبب الدعوى التي رفعها المواطن الأسمر (هومر بليسي) ضد القاضي جون فيرجسون -القاضي بمحكمة لويزيانا-؛ وكانت بسبب أن بليسي ركب العربات المخصصة للبيض، فطُلب من بليسي أن يغادر من العربة إلى العربة الأخرى المخصصة للملّونين ولكنه رفض فأوقفَ القطار وطُرد منه، فلما رفع دعوى ضد الولاية بسبب سن هذا القانون الذي يخالف مقتضى التعديلات الدستورية التي أُقرت عقب الحرب؛ حكمت المحكمة في الولاية بأنه من حق المجلس التشريعي لولاية (لويزيانا) أن يسن القوانين التي يراها مناسبة لأوضاعها، طالما أن نطاق سريانها هو الولاية فقط، وقضى بتغريم بليسي غرامة لعدم التزامه بقوانين الولاية.

(2) <https://www.law.cornell.edu/supremecourt/text/163/537>.

(٣) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ص ٢٩٠، بتصرف، مرجع سابق.

حتى وصل في ولاية (أوكلاهاما) إلى تخصيص غرف هاتفية خاصة بالزواج، وفي (تاكساس) يحظر على المصارعين البيض أن ينازلوا المصارعين السود، وفي (كارولينا الجنوبية) لا يُسمح للعمال الزواج والبيض بأن يقيموا على صعيد واحد، وفي مصانع النسيج القطني لا يجوز للزواج الدخول أو الخروج من الأبواب عينها التي يستخدمها البيض. كما شرّعت (٨ ولايات)<sup>(١)</sup> تحريم الزواج بين البيض والسود وإبطاله لو تم مُسبقاً<sup>(٢)</sup>، ومع الوقت انتشرت لافتات التخصيص العنصرية (للبيض فقط، للملّونين فقط) على جميع المرافق العامة<sup>(٣)</sup>. وفي (واشنطن) وصل الفصل العنصري إلى منع دفن حيوانات السود النافقة بجانب مدافن حيوانات البيض النافقة، وكان يجب على السود إخلاء الشوارع عند العاشرة مساءً، وكان يُحظر على سائقي سيارات الأجرة السود توصيل البيض، وكذلك كان ركوب السود مع سيارات الأجرة التي يقودها البيض محظوراً، وفي المباني الإدارية كانت هناك مصاعد مخصصة للبيض وأخرى للسود، وكان أساتذة الجامعة السود ممنوعين من استخدام المكاتب العامة، والمرضات في المستشفيات يُمنَعن من معالجة السود، وإذا تُوفي المريض الأسود أنكرت المستشفى وجوده لديها، كما كانت هناك مدافن للسود منفصلة عن مدافن البيض<sup>(٤)</sup>.

## نضال السود:

لم يصمت الأمريكان السود على الممارسات العنصرية التي مُورِسَت عليهم ممارسة لاإنسانية وواجهوها بكل السبل؛ وأبرز تلك المواجهات كانت

(١) كاليفورنيا، كولورادو، إيداهو، إنديانا، نبراسكا، نيفادا، أوريغون، أوته.

(٢) مصرع الديمقراطية في العالم الجديد، تأليف: فيكتور بيرلو، ألبرت إ. كان، ص ٢٥٧، مرجع

سابق.

(3) The Jim Crow Encyclopedia, Nikki L. M. Brown Barry M. Stentiford, vol2, p348.

(4) Politics, Civil Rights, and Law in Black Atlanta, 1870-1970, Herman Mason, p13.

سُبل العمل الجماهيري المبني على الاحتكاك مع أنصار العنصرية في الأماكن  
المخصصة لهم، وإبراز القضية للرأي العام، والضغط على صانعي القرار؛ وقد  
اتخذ النضال اتجاهين متوازيين:

**الاتجاه الأول:** اتجاه العمل الجماهيري الذي كان يقوم على عمل فردي  
عشوائي، أو من خلال عمل مُدبّر من منظمة حقوقية مناهضة للعنصرية لطرح  
المسألة سلمياً، ومن وسائلهم الدخول على المناطق المُخصّصة للبيض كالمطاعم  
أو المسابح مخترقين قواعد التمييز العنصري وتحمل الإهانات والسباب وأحياناً  
الضربات التي كان يوجهها إليهم أنصار التمييز العنصري، والتجاوب مع غضب  
العنصريين بسلمية تامة تتسبب في تصعيد الحادث إلى الرأي العام، وبعد تكرار  
تلك المبادرات اتسعت هذه الحركة وسميت بـ(تنظيم دروب الحرية)، ثم تطورت  
الحركة إلى مظاهرات سلمية وتنظيم مقاطعات لبعض المرافق التي تطبق الفصل  
العنصري عبر حركة الحقوق المدنية؛ ومن أبرز تلك المقاطعات: مقاطعة  
الحافلات العمومية في (ألاباما) التي دعا لها القسّ (مارتن لوثر كينج) بعد الحادثة  
التي وقعت مع (روزا باركس)<sup>(١)</sup> التي رفضت أن تتخلى عن مقعدها في حافلة  
عمومية لشخص أبيض؛ فاستدعى سائق الحافلة الشرطة لتصرفها وحقق معها  
وغرّمت (١٥ دولاراً)؛ وعلى إثر تلك الحادثة أطلقت حملة مقاطعة لحافلات  
المدينة استمرت (٣٨١ يوماً) في (Montgomery) عاصمة ولاية (ألاباما)<sup>(٢)</sup>،

---

(١) سيدة رفضت طلب سائق الحافلة (جيمس بليك) بالتخلي عن مقعدها في (القسم الملون) إلى  
راكب أبيض البشرة، بعد امتلاء القسم الخاص بالركاب من أصحاب البشرة البيضاء، وبالرغم  
من أنها لم تكن أول من حارب العنصرية؛ فإنها كانت تلقى اهتماماً كبيراً من قِبَل العالم بعد  
اعتقالها بسبب مقاومتها وعصيانها لقوانين الفصل في (ألاباما)؛ وأصبحت رمزاً مهماً من رموز  
حركة الحقوق المدنية بل رمزاً دولياً لمقاومة الفصل العنصري.

(٢) ولاية في المنطقة الجنوبية الشرقية من الولايات المتحدة.

وقد بلغ عدد المقاطعين للحافلات (٥٠ ألفاً) من السود، وقد سُجن (١٠٠) من مُنظمي حركة المقاطعة؛ وانتهى الأمر بأن حظرت المحكمة العليا الفصل العنصري داخل وسائل النقل العامة<sup>(١)</sup>.

الاتجاه الثاني: الاتجاه القانوني والتشريعي الذي تتابع حتى صدور قانون الحقوق المدنية في (١٩٦٨م)، وكان أول مكاسب ذلك الاتجاه عام (١٩٥٧م) بصدور قانون يقضي بإيجاد فرع خاص في وزارة العدل مهمته العمل على التقيّد بتنفيذ الأحكام الصادرة بحق إلغاء الفصل العنصري، لكن لم تكن له قوة يملك بها تنفيذ الأحكام الصادرة، ثم اتسعت سلطته بالقوانين الصادرة في (١٩٦٠م، و١٩٦٤م، و١٩٦٥م، و١٩٦٨م) التي أتاحت أسلحة قانونية جديدة لتحقيق الاندماج في (المدارس، وضمان حق السود في الانتخاب، وحمايتهم القضائية، وإلغاء فحوص الانتخاب، ومكافحة التمييز العنصري في السكن، إلخ)؛ وبموجب هذه القوانين أصبح يحق للحكومة الفيدرالية التدخل المباشر لإزالة أي تمييز عنصري، وكانت من أمثلة النضال القانوني في التعليم قضية (براون ضد مجلس التعليم / brown v. board of education)؛ ففي ديسمبر عام (١٩٥٢م) عُرضت أمام المحكمة العليا بالولايات المتحدة في (توبيكا) بولاية (كانساس) خمس قضايا، واشتهرت القضايا الخمس باسم قضية (براون ضد مجلس التعليم)، وقد أنهى الحكمُ فيها عملية الفصل العرقي القانوني في التعليم الحكومي<sup>(٢)</sup>.

(١) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ص ٢٩٠، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) جوليان، كلود. الحلم والتاريخ - مئتا عام من تاريخ أمريكا، ص ٢٩٠، بتصرف، مرجع سابق.

## أبرز كيانات النضال:

ظهرت في أثناء نضال السود كيانات وأحزاب وأفراد تباينت في الأيديولوجيات والمذاهب والديانات، ولكن تلاقوا جميعهم في مساحة مشتركة وهدف واحد وهو إلغاء العنصرية واسترداد حقوق وكرامة المواطن الأمريكي الأسود؛ ففي منتصف القرن التاسع عشر ظهر (فريدريك دوغلاس) ونشر في (١٨٤٥م) عدة كتابات عن حياة العبيد في مزارع القطن، وأبرز من خلالها مأساة العبيد وأقنع الكثير من المجتمع العادل بعدم السماح بممارسة العبودية وبمناهضتها.

ومن أشهر الكيانات التي ظهرت (الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين/ National Association for the Advancement of Colored People) التي تُدعى اختصارًا (NAACP)، وفي عام (١٩١٤م) نشأت (الرابطة العالمية لتطوير الزواج/ Universal Negro Improvement Association and African Communities League) التي تُدعى اختصارًا (UNIA)<sup>(١)</sup>.

وفي عام (١٩٣٠م) ظهر تنظيم (أمة الإسلام/ Nation of islam)؛ وهي من المنظمات العاملة في صفوف الأمريكيان السود، وأنشأها شخص يُدعى (والاس

---

(١) منظمة تأسست خلال الحرب العالمية الأولى على يد المناضل ذي الأصل الإفريقي (ماركوس جارفي)؛ وهي منظمة تسعى للنهوض بالأفراد ذوي الأصل الإفريقي حول العالم، وكانت منظمة قومية تروّج بأنه يجب على الأمريكيان الأفارقة وغيرهم من السود حول العالم أن يقوموا بجهد موحد لتشكيل مؤسسات تستطيع أن تجمع الثروة والسلطة في أيديها، وموقعها الرسمي على الشبكة العنكبوتية:



فارد محمد)<sup>(١)</sup> في (ديترويت)<sup>(٢)</sup>، وحمل لواء الحركة بعده رجل اسمه (إليجاه محمد)<sup>(٣)</sup>، وقد بدأت المنظمة بمئات الأعضاء، ثم أصبحت مئات الآلاف بعد أن انضم إليها الحاج مالك الشباز (مالكوم إكس)، ومن ضمنهم أيضًا الملاكم الشهير (محمد علي كلاي)، وقد أخذت المنظمة من بعض تعاليم الدين الإسلامي مرجعية لها بشكل محرف<sup>(٤)</sup>، كما امتزجت أفكارها التي كانت تحض على العنصرية ضد البيض بأفكار (ماركوس جارفني)<sup>(٥)</sup> كتفوق العرق الأسود على الأبيض<sup>(٦)</sup>.

انتهى نضال السود بتشكيل (حركة الحقوق المدنية/ Civil Rights Movement)؛ وهي عبارة عن تحالفات بين كيانات ومنظمات حقوقية في الولايات المتحدة، من أجل تجريم العنصرية ضد الأمريكيين الأفارقة، وكان أبرز نشاط لهذه الحركة بين عامي (١٩٥٥م-١٩٦٨م)، وعلى وجه الخصوص في جنوب

---

(١) واعظ ديني ومؤسس منظمة (أمة الإسلام)، ظهر في مدينة (ديترويت) سنة (١٩٢٩م) بخلفيات غامضة وأسماء متعددة، وأنشأ أول مسجد للمنظمة في (ديترويت) وسماه المعبد رقم .  
(٢) أكبر مدن ولاية (Michigan) الأمريكية.

(٣) ويسمى أيضًا (والي فارد محمد)، وهو زعيم منظمة (أمة الإسلام) من (١٩٣٤م) حتى وفاته عام (١٩٧٥م)، علم أتباعه الاعتماد على أنفسهم، وتحقيق الاكتفاء الذاتي بإقامة مدارسهم وأعمالهم الخاصة بهم، ونادى بأنه ينبغي للسود أن يقتصدوا، وأن يكون سلوكهم نظيفًا، وأن يعملوا بجد واجتهاد، ويمتنعوا عن تناول لحم الخنزير والمخدرات والتبغ والكحول وكل المحرمات التي أكد الإسلام أهمية البُعد عنها؛ لما تسببه من أضرار للفرد والمجتمع.

(٤) كانوا يعتقدون بتفوق الجنس الأسود على الجنس الأبيض، وأن الملائكة سوداء اللون والشياطين بيضاء، ويعتقدون أن الإله ليس شيئًا غيبيًا، بل يجب أن يكون متجسدًا في شخص وهو (والاس) مؤسس الجماعة، وكانوا يعتقدون أن (إليجاه محمد) من ضمن رسل الله.

(٥) أحد القوميين السود، وُلد في (جامايكا) لكنه أمضى سنوات عمره في الولايات المتحدة، كان رأسماليًا متحمسًا، وكان مؤمنًا بأنه يجب على الأمريكيين الإفريقيين - وغيرهم من السود حول العالم - القيام بجهد مُوحد لتشكيل مؤسسات تجمع بين الثروة والسلطة في أيديهم؛ ولهذا الغرض أنشأ (الجمعية العالمية لتقدم الزوج).

(6) www.noi.org.



الولايات المتحدة؛ وكان من أبرز رموزها: جيمس فارمر<sup>(١)</sup> عن مؤتمر (المساواة العرقية)، ومارتن لوثر كينج عن مؤتمر (القيادة المسيحية الجنوبية)، ومالكوم إكس عن جماعة (أمّة الإسلام)، والناشطة (روزا باركس) التي ترتّب على موقفها الشهير بعصيان أوامر سائق الحافلة بالوقوف لراكب أبيض؛ مقاطعة حاشدة من السود للحافلات في (مونتغمري).

توّجت (حركة الحقوق المدنية) إنجازاتها بإصدار قانون الحقوق المدنية عام (١٩٦٤م) الذي أنهى الفصل في الأماكن العامة وحظر التمييز في التوظيف على أساس العرق أو اللون أو الدين أو الجنس أو الأصل الوطني، بعد مسيرة حاشدة دعا لها القسّ (مارتن لوثر كينج) في (٢٨/ أغسطس/ ١٩٦٣م) وقد بلغت نسبة المتظاهرين الذين تحركوا وتجمعوا عند نصب واشنطن التذكاري ما يقارب ربع مليون متظاهر، ربعهم من البيض، وتعد تلك المظاهرة أكبر مظاهرة للسود في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي عام (١٩٦٤م) وقّع الرئيس (Lyndon Johnson)<sup>(٢)</sup> على قانون الحقوق المدنية، الذي يحظر التمييز العنصري في التوظيف والمرافق العامة وغيرها من جوانب الحياة، وتبع ذلك قانون أحقية السود في حق الاقتراع دون الممارسات التمييزية؛ مثل (اختبارات القراءة والكتابة).

وتعد مسيرة الحقوق المدنية التي توجت في نهاية مطافها بحظر التمييز

---

(١) ناشط في مجال الحقوق المدنية وزعيم في حركة الحقوق المدنية، وسعى إلى تفكيك التمييز العنصري، وعمل جنباً إلى جنب مع (مارتن لوثر كينج).

(٢) سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس السادس والثلاثين للولايات المتحدة خلال (١٩٦٣م-١٩٦٩م)، وتسلم المنصب بعد أن شغل منصب نائب الرئيس السابع والثلاثين في عهد الرئيس (جون كينيدي) خلال (١٩٦١م-١٩٦٣م).

العنصري داخل الولايات المتحدة؛ مشهدًا ختامياً لسيناريو طويل استمر ثلاثة قرون؛ بداية من ثورات العبيد وانتهاء إلى مسيرات الحرية وفعاليات مناهضة العنصرية التي كانت تنظمها الكيانات الحقوقية ورموزها.

## المبحث الرابع

### المسلمون السود في الولايات المتحدة

لقد كان مالكوم صاحب تجربة إصلاحية أسهمت في إنهاء العنصرية داخل الولايات المتحدة، وقد كانت أيديولوجيته الإسلامية - لكونه خرج من رحم جماعة (أمة الإسلام) - محطَّ أنظار الكثيرين، وكان للأفكار العنصرية التي اعتنقتها الجماعة - التي يتزعمها (إليجاه محمد) - دور كبير في تشكيل أفكار مالكوم وصياغة خطابه، والتي تشابهت كثيرًا مع أفكار (ماركوس جارفي) القومية<sup>(١)</sup>.

ولدراسة تاريخ دخول الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية حتى الوصول لتنظيم (أمة الإسلام)؛ دورٌ كبير في فهم عطاء مالكوم الفكري والإصلاحي، وفهم التقلبات التي مر بها بعد تركه لها حتى اغتياله.

وصل الإسلام إلى القارة الأمريكية عبر ثلاث موجات (الموجة الأندلسية، والموجة الإفريقية، وموجة هجرة الآسيويين والعرب)<sup>(٢)</sup>، وقد بدأت الموجة الأندلسية بعد اكتشاف الإسبان للأراضي الأمريكية واتخاذ بعض (الموريسكيين)<sup>(٣)</sup> من إسبانيا خدمًا وعبيدًا في تلك الأراضي الجديدة، كما أن هناك دراسات تشير

---

(١) نظام سياسي واجتماعي واقتصادي يتميز بتعزيزه مصالح الدولة بهدف كسب والحفاظ على الحكم الذاتي أو السيادة الكاملة على وطن الجماعة؛ وعليه فإن الإيديولوجية السياسية ترى أن على الأمة أن تحكم نفسها، بعيدًا عن التدخل الخارجي غير المرغوب فيه، وترتبط بمفهوم تقرير المصير.

(٢) الهزايمة، محمد عوض. حاضر العالم الإسلامي، دار الحامد للنشر والتوزيع، ص ٥٨.

(٣) المسلمون الذين بقوا في إسبانيا تحت الحكم المسيحي بعد سقوط المملكة الإسلامية، وخيروا بين اعتناق المسيحية وترك إسبانيا.

إلى هروب بعض الموريسكيين إلى جزر الكاريبي<sup>(١)</sup> ومنها إلى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢)</sup>، إلا أنها محمولة على الضعف بسبب ضخامة التجهيزات اللازمة لقطع تلك المسافة، وفي الوقت نفسه كانوا بالكاد يهربون إلى بلاد المغرب التي لم تكن تبعد عنهم سوى أميال.

ولكن ما زالت تُكتشف أدلة توضح أن بعض هؤلاء الموريسكيين أُجبروا على المغادرة كخدم وعبيد نحو الأرض الجديدة - وهي الولايات المتحدة -، وبينما يواصل العلماء الذين ينتمون إلى مجموعة من التخصصات تدريس هذه النظريات؛ فإن من مسلمي أمريكا من يرون فيها دليلاً على أن الإسلام أدى دوراً في المراحل المبكرة من تاريخ هذا البلد، فضلاً عن أن إمكانية وجود صلات من هذا القبيل مع الثقافات الإسلامية؛ أمرٌ له جاذبيته الخاصة لمواطني الولايات المتحدة من ذوي الأصل الإسباني الذين تجذبهم التعاليم الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذا الرافد الإسلامي إلى الولايات المتحدة لم يكن له أثر في نشر الإسلام أو تثبيت أقدام المسلمين في تلك الأرض الجديدة، ولا تعدو أهميته تاريخياً سوى حِقبة من حِقَب الولايات المتحدة قبل وصول الأوروبيين إليها، وقد تَلَّت الموجة الأندلسية الموجة الإفريقية التي جلبت معها أفواجا من زنوج إفريقيا الذين استرقهم النخاسون للعمل في الأمريكتين - الشمالية والجنوبية -.

---

(١) تطلق على جميع الجزر التي تقع في البحر الكاريبي، وهي في الجنوب الشرقي من أمريكا الشمالية.

(٢) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج ١٤، القسم الثاني، ص ٢٧٥.

(٣) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ترجمة: محمد الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٨٤.

وقد تحدّثت السجلات أن خمس الرقيق الذين وصلوا إلى أمريكا الشمالية خلال القرنين (الثامن عشر، والتاسع عشر) كانوا مسلمين، وقد تحدّثت السجلات عن أنهم كانوا لا يأكلون لحوم الخنازير ويؤمنون بالنبي محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقد اختُطف الكثير من الأفارقة من قبائل إفريقية عُرف عنها أنها تدين بالإسلام؛ مثل: (المادنجو<sup>(٢)</sup>)، واليوروبا<sup>(٣)</sup>)، والفولا<sup>(٤)</sup>)، والهوسا<sup>(٥)</sup>)، وفيهم الكثيرون الحافظون لكتاب الله، ويذكر المؤرخون أن أولئك الرقيق كانوا يعقدون صلوات سرية ولقاءات تعليمية أول وصولهم، كما وُجدَ ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية قام بها أحد الأفارقة الأمريكيين عام (١٨٥٢م) وكان هذا الكتاب من الكتب الناجية من الحريق الذي شبَّ في جامعة (ألاباما) عام (١٨٦٢م) إبَّان الحرب الأهلية. وقد كان الإسلام مُكوِّناً ثقافيًا مهمًّا في تاريخ السود في الولايات المتحدة، فحركة المسلمين السود (أمة الإسلام) كانت تغذيها مشاعر التعليمات الإسلامية، والكثير من رواد حركة التحرير والمثقفين ربطوا بين الإسلام وحركة الاسترقاق؛ ومن أمثلة هؤلاء: الكاتب الروائي الأمريكي (أليكس هيلي) مؤلف كتاب (الجدور) الذي استقصى فيه جذروه الإسلامية، وقد حوّل الكتاب إلى فيلم؛ فازدادت شهرته وأهميته<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ج ١٤، القسم الثاني، ص ٢٧٥، مرجع سابق.  
(٢) قبيلة أسست دولة مالي، لها دور كبير في توحيد القبائل الزنجية داخل مالي ونشر الإسلام غرب إفريقيا.

(٣) أكبر المجموعات العرقية في نيجيريا وأغلبهم مسلمون.  
(٤) أناس يعيشون في مناطق الحشائش في غربي إفريقيا، وأغلبهم رعاة ماشية.  
(٥) مجموعات تعيش في إفريقيا، ويعد شعب الهوسا متنوعًا لكنه في الوقت نفسه متجانس ثقافيًا، ويعيشون في المقام الأول بمنطقة الساحل ومنطقة السودان، كما تعيش أعداد كبيرة منهم أيضًا في أجزاء من الكاميرون، وكوت ديفوار، وتشاد، وتوغو، وغانا.  
(٦) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ج ١٤، القسم الثاني، ص ٢٧٦، مرجع سابق.

وكانت صحيفة (عالم الزنوج/ Negro World) لماركوس جارفي، التي أسستها (الرابطة العالمية لتطوير الزنوج/ Universal Negro Improvement Association and African Communities League) التي تُدعى اختصارًا (UNIA)؛ كانت هذه الصحيفة هي أول من أصّل للربط بين الوحدة الإفريقية والإسلام.

تمسك المسلمون الزنوج بشعائر الإسلام، ولكن سرعان ما ذاب جيل المولدين في البيئة الجديدة وتحوّل الكثير منهم إلى المسيحية، وقد ذكر المؤرخ (Kambiz GhaneaBassiri)<sup>(١)</sup> الذي يُعد كتابه (تاريخ الإسلام في أمريكا/ A History of Islam in America) واحدًا من أكثر الكتب شمولًا لهذا الموضوع؛ حيث قال فيه: (كانت أحيانًا تُميّز المسلمين الأفارقة بعض الممارسات التعبدية والمعتقدات الإسلامية، والتي أحيانًا تعزلهم عن باقي العبيد الأفارقة أو الأمريكيين أصحاب البشرة البيضاء، وقد حاول الأفارقة الحفاظ على تقاليدهم وهويتهم الإسلامية؛ إلا أن أبناء ذلك الجيل وُلدوا دون التعرف على طقوس الإسلام، وذابوا مع المجتمع الأمريكي، وتحوّل منهم الكثير إلى المسيحية)<sup>(٢)</sup>.

وفي عام (١٨٥٠م) بدأت الموجة الثالثة للإسلام في الوصول إلى الأمريكتين، وأغلب الظن أنها بدأت من بلاد الشام في نهاية الحقبة العثمانية، واستوطن المسلمون في ولاية (Iowa)<sup>(٣)</sup>، والمسيحيون في مدينة (ديترويت)، وقد تلا تلك

---

(١) مؤرخ من أصل إيراني، ويعمل أستاذًا للدين والعلوم الإنسانية في جامعة (ريد) بمدينة (بورتلاند)، واختير كأحد الباحثين في مؤسسة (كارنجي) لكتابه (تاريخ الإسلام في أمريكا).  
(2) A History of Islam in America, kambiz ghaneabassiri, Cambridge university press, p80.

(٣) ولاية تقع في الغرب الأوسط من الولايات المتحدة الأمريكية.



الهجرة وصول آلاف المهاجرين مع نهاية الحرب العالمية الأولى من بلدان مسالمة من (الشرق الأوسط، ووسط وجنوب آسيا، وأوروبا الشرقية، ومناطق البلقان)<sup>(١)</sup>، وكان الكثيرون ممن وفدوا إلى أمريكا في ذلك الوقت أقرباء للمسلمين الذين سبقت لهم الهجرة واستقروا بصورة أو بأخرى في الولايات المتحدة، وقد فرّضت قوانين الهجرة التي صدرت عام (١٩٢١م) ثم عام (١٩٢٤م) نظام الحصص بالنسبة إلى دول وقوميات معينة؛ أدى إلى تحجيم شديد لعدد المسلمين الذين سُمح لهم بدخول البلاد<sup>(٢)</sup>.

وخلال حقبة الثلاثينيات من القرن الماضي كانت الهجرة مفتوحة للمسلمين، ولا سيما أقرباء من استقر في تلك الأراضي قديمًا، وبالرغم من ذلك فإن عدد المسلمين الفعلي الذين أُتيح لهم الاستقرار محدودٌ ولم يزد بعد الحرب العالمية الثانية، وللأسف تأثرت تلك الهجرات -التي سُمّيت بالهجرة الأولى والثانية- بالمجتمع الأمريكي، وذابت هوية كثير من أولادهم داخل هوية المجتمع الأمريكي غير المسلم، أضف إلى ذلك أن هؤلاء المهاجرين من العمال ومنخفضي التعليم قد جاء الكثير منهم لطلب الرزق وليس لنشر الدعوة والإسلام، ومجهوداتهم لحفظ الدين كانت مجهودات مُبعثرة غير مُنتظمة في عَقْد واحد.

وفد الكثير من المسلمين ما بين (١٩٤٧م - ١٩٦٠م) وخاصة بعد صدور قانون الجنسية عام (١٩٥٣م) الذي يعطي كل بلد حصة معينة سنوية من المهاجرين؛ من (الشرق الأوسط، والهند، وباكستان، وشرق أوروبا، والاتحاد السوفيتي)، ومعظم تلك الرحلات استقر أصحابها في المدن الكبيرة؛ مثل: (شيكاغو، ونيويورك)،

(١) شاكر، محمود. التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٥م، ص ٥٢٠.

(٢) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ٨٥، مرجع سابق.



وفي عام (١٩٦٥م) وقَّع الرئيس (Lyndon Johnson) قانونًا للهجرة يُلغي نظام الحصص التي كانت قائمة على أساس التنوع القومي؛ ومن بعدها انخفض مسار الهجرة من أوروبا، في حين ارتفع ارتفاعًا كبيرًا عددُ القادمين من الشرق الأوسط وآسيا، وكان أكثر الوافدين من المسلمين<sup>(١)</sup>.

وتميزت تلك الهجرات باختلاف نوعية المهاجرين؛ فكانوا من أصحاب المؤهلات العالية وأصحاب تخصصات نوعية في الطب والهندسة؛ فأصبح المهاجرون أكثر وعيًا بأهمية حفظ هويتهم الثقافية وأكثر تمسكًا بها<sup>(٢)</sup>.

أما عن حركة بناء المساجد؛ فقد بُني أول مسجد في الولايات المتحدة عام (١٨٩٣م) في أثناء فعاليات المعرض الكولومبي الذي أقيم في شارع (القاهرة) في شيكاغو، وكان نموذج محاكاة لمسجد (السلطان قايتباي)<sup>(٣)</sup> في القاهرة، وقد أقام فيه الزوار المسلمون الصلوات الخمس حتى نهاية المعرض، وبعدها فُكَّ وأزيل. وفي عام (١٩٢١م) ظهر ثاني مسجد في (Highland Park) بولاية (Michigan)<sup>(٤)</sup> وقد بناه مجموعة من المهاجرين المسلمين، ولكن لم يدم مثل المسجد الأول؛ لأنه كان غير ثابت<sup>(٥)</sup>. وأسست الجاليات السورية واللبنانية المسلمة بعض المساجد عن طريق التمويل الذاتي، وقد بنوا مسجدًا لهم عام (١٩٢٩م) في مدينة (Minot) بولاية (North Dakota) حسب تقرير نشرته صحيفة (New York Times) الأمريكية<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٢) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ج ١٤، القسم الثاني، ص ٢٨٠، مرجع سابق.

(٣) سلطان الديار المصرية من ملوك الجراكسة، ومن أشهر أعماله قلعة قايتباي بمدينة الإسكندرية.

(٤) ولاية تقع في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية.

(5) The Cambridge Companion to American Islam, Juliane Hammer, Omid Safi, Cambridge university press, p45.

(6) <https://www.nytimes.com/2016/05/28/us/north-dakota-mosque-a-symbol-of-muslims-deep-ties-in-america.html>.

## المسلمون السود:

المسلمون السود رافد من الروافد المهمة لانتشار الإسلام داخل الأراضي الأمريكية، وانتشار الإسلام بينهم كان مرتبطًا بمسألة الهوية أكثر من الديانة؛ فخرج من بينهم عدة رموز وكيانات تدعو إلى اعتناق دين الإسلام الذي كان يمثل لهم نزعة الاعتزاز بالماضي، والذي اقتلع أجدادهم منه اقتلاعًا إبان عصر العبودية، وأصبح الكثير منهم يفضل مصطلح (العودة إلى الإسلام) على مصطلح (التحوّل)؛ للتعبير عن حقيقة ارتباط الديانة الإسلامية بالعرق الأسود. واتخاذ الرجل الأسود للإسلام مرجعية جاء كردّ فعل للقصاص من الرجل الأبيض؛ فلم تكن العودة له خالصة بمفاهيمها الصحيحة المُبرّاة من البدع والعقائد المُحرّفة والقومية والعنصرية، ولعل أكثر ما أثر في تلك الأعداد التي اعتنقت الدين الإسلامي هي أفكار (ماركوس جارفي) مؤسس (الرابطة العالمية لتطوير الزوج) الذي تتلمذ على يد داعية سوداني ببريطانيا اسمه (دوس محمد)، وقد قدّم هذا الداعية لماركوس جارفي مفهوم التوحيد الإسلامي ومبادئ العدالة الاجتماعية في الإسلام؛ فتأثر به كثيرًا وإن لم يعلن انتماءه لدين الإسلام<sup>(١)</sup>.

وقد قام (ماركوس جارفي) بنشر مبادئه في بعض المدن الأمريكية، ولا سيما في (نيويورك، وشيكاغو، وديترويت، وغيرها من مدن الشرق والشمال الأمريكي)، ودعا السود إلى الرجوع إلى إفريقيا، وتحديدًا إلى دولة (ليبيريا)<sup>(٢)</sup>؛ وتبعه فريق هائل من الناشطين السود، وعُدّت حركته هذه بمنزلة الباعث الأول

(١) الوجود الإسلامي في أمريكا، تأليف: عثمان أبو زيد، محمد وقيع الله أحمد، ص ٣٣.

(٢) الدولة التي أعادت فيها أمريكا العبيد بعد تحريم العبودية.

لإيقاظ الشعور القومي لدى السود، ثم انطلقهم للمطالبة بحقوقهم في الحرية والعدالة. ومن رحم تنظيم (ماركوس جارفي) ظهر عدد من الزعماء الذين انشقوا عنه فيما بعد لإنشاء تجمعات تنسب نفسها للإسلام، وكان أول هؤلاء (Noble Drew Ali) الذي كان ينسب نفسه إلى أحد الأقطار الإفريقية، وكان يزعم أن نسب معظم السود في أمريكا ينحدر من المغرب وبعض الأقطار الآسيوية؛ لذلك سَمَّى التجمع الذي أنشأه باسم (الحركة الموريسكية القومية الإلهية)، ثم سماها باسم (معبد العلوم الموريسكية بأمريكا)<sup>(١)</sup>.

نشأت تلك الحركة في أوائل القرن العشرين، وشيَّدت أول معابدها في مدينة (Newark)<sup>(٢)</sup> عام (١٩١٣م)، واتَّخذت لها شعارًا حماسيًا ينادي بـ(الحب، والحقيقة، والسلام، والحرية، والعدالة)، وتبنَّت كتابًا أطلقت عليه مُسَمَّى (القرآن) كان يحمل أفكارًا قومية عامة تدعو السود إلى التحرُّر من الرجل الأبيض والتخلص من وصايته الدينية والفكرية<sup>(٣)</sup>.

وبعد وفاة (Noble Drew Ali) عام (١٩٢٩م)؛ ظهر داعية مثير للجدل يُدعى (والي فارد محمد) كان يزعم أنه من مكة المكرمة من أب حجازي وأم أوروبية، وكان معتنقًا أيضًا أفكار سلفه (Noble Drew Ali)؛ فكان يرى بحتمية رجوع الأمريكيين الأفارقة إلى موطنهم الأصلي -إفريقيا-، كما يعتقد أن السود كانوا في الأصل كلهم مسلمين ولكن فقدوا هويتهم، وعليهم الآن استعادة هويتهم المفقودة؛ وعلى إثر تلك الأفكار أسس حركة (أمة الإسلام)<sup>(٤)</sup>.

(١) الوجود الإسلامي في أمريكا، تأليف: عثمان أبو زيد، محمد وقيع الله أحمد، ص ٣٣.

(٢) مدينة في ولاية (نيوجيرسي) في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) الوجود الإسلامي في أمريكا، تأليف: عثمان أبو زيد، محمد وقيع الله أحمد، ص ٣٣.

(٤) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ج ١٤، القسم الثاني، ص ٢٨١، مرجع سابق.

وبدا (فارد) نشر دعوته في الولايات من خلال سفره للتجارة لبيع الأقمشة ومنتجات الحرف اليدوية، وكان في بادئ الأمر يجتمع أتباعه في البيوت الخاصة إلى أن استأجر صالة اجتماعات وأطلق عليها اسم (مَعْبَد)؛ وعند تلك النقطة ظهر تنظيم (أمة الإسلام) إلى حيز الوجود<sup>(١)</sup>، واستطاع (فارد) في ثلاث سنوات أن يُكوّن منظمة تتمتع بموارد تعليمية للرجال والنساء والأطفال، إضافة إلى قوة الأمن التي ما زالت موجودة وتُعرف باسم (ثمرة الإسلام)، وقد تخلّلت حقبة (فارد) الرئاسية لـ(أمة الإسلام) بعض الحوادث الخطيرة التي اتهم فيها بالتحريض على العنف من خلال تعاليمه العنصرية، وقُبض عليه عدة مرات إلى أن طُرد في النهاية من (ديترويت) عام (١٩٣٣ م)، وبعدها بقليل اختفى (فارد) بالغموض نفسه الذي ظهر به عام (١٩٣٤ م)<sup>(٢)</sup>.

وبعد اختفاء (فارد) انقسمت (أمة الإسلام) إلى فرعين؛ فرع: بقيادة رجل يُدعى (عبد المُحمّد) الذي كان منشقًا عن التنظيم قبل اختفاء (فارد). وفرع: بقيادة إيلجاه محمد؛ وقد بنى (عبد المحمد) مسجدًا خاصًا به وخالف مبادئ (فارد)؛ حيث أعلن الولاء لأمريكا واحترام الدستور الأمريكي، وهو عكس مبادئ تنظيم (أمة الإسلام)<sup>(٣)</sup>، ولكن حركته لم تدم طويلاً وتلاشت لصالح التنظيم الأقوى بقيادة (إيلجاه والي بول)<sup>(٤)</sup>، وقد استطاع بفضل قدراته الإدارية أن يدير دفعة (أمة

(1) The Lost-Found Nation of Islam in America, Clifton E. Marsh, ch4, p38.

(٢) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ١٢٩، مرجع سابق.

(3) Elijah Muhammad, Herbert Berg, p35.

(٤) وُلد (إيلجاه والي بول) عام (١٨٩٧ م) في مدينة (Sandersville) بولاية (جورجيا)؛ وُلد من الأب (والبي) والأم (ماري) اللذين كانا عبدين مملوكين لأسرة من البيض، وأنجب والبي الذي كان واعظًا للسلود (٢٣ ابنًا)، ولقد كان لمهنة والبي تأثير كبير على إيلجاه، فكون والده واعظًا مسيحيًا زوّد معرفته بالكتاب المقدس، ومكّنه من فن الخطابة، وقد عانى إيلجاه مآسي العبودية، وقد اضطر إيلجاه إلى الرحيل عن بيت أبيه لكثرة الإخوة والأخوات وقلة النفقات، =

الإسلام) باقتدار، وقد أنشأ الحركة بنظام هرمي، وضع نفسه على قمته، ومن تحته المرشدون أو النقباء، وقد تبنى (إليجاه والي) دور الرسول، وادعى الألوهية لـ (فارد محمد)، وكان يتعين على من يرغب في الانضمام إلى (أمة الإسلام) رفع طلب إلى المرشد الأكبر للتنظيم، وعند قبول عضويته يتعين على المنضم الجديد التخلي عن اسم العبودية الذي كان يحمله، أو يتنازل عن لقبه ويتخذ ببساطة حرفاً رمزياً مثل (X) بالحروف الإنجليزية على أنه من ذرية إفريقية مجهولة، وعلى وجه التحديد كانوا يعرفون أنفسهم بالاقتران مع قبيلة (شاباز)، وهي من أصل إفريقي، يقال إنهم اكتشفوا وادي النيل في مصر<sup>(١)</sup>.

### عقائد (أمة الإسلام):

أكمل (إليجاه محمد) البدع التي أنشأها (فارد)؛ فقد ادعى (الربوبية) لفارد؛ حيث كان يؤمن بأن الإله ليس شيئاً غيبياً بل يجب أن يكون متجسداً<sup>(٢)</sup>، كما ادعى (النبوة) لنفسه، وقال إنه النبي المرسل للسود لتحريرهم من رِبقة الرجل الأبيض، ليتناقض مع الجزء الأول من الشهادة بوحدانية الله، وكان يعد نفسه آخر المرسلين مبعوثاً من لدن (فارد)، وهذا ما يتناقض مع الشرط الثاني من شهادة الإسلام<sup>(٣)</sup>، وقد كان (إليجاه) يستدل بأنه نبي الله للسود؛ إذ إنه ما من رسول إلا ويأتي بلسان

---

= وتزوج بعدها من (كلارا إيفانز) عام (١٩١٩م)، وفي عام (١٩٢٣م) هاجر إليجاه إلى ولاية (ديترويت) فعمل في مصنع سيارات وانضم إلى حركة (نوبل درو علي) وكان يصطلح عليها (حركة المعبد المورية)، وظل تابعاً لها حتى وفاة قائد الحركة، وبعدها لقي (فارد محمد) واعتنق مبادئه وتعاليمه خلال ثلاث سنوات، حتى اختفى فارد كما أشرنا.

(١) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ١٢٩، مرجع سابق.

(٢) الجهني، مانع بن حماد. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ١، ط ٣، ص ٣٦٣.

(٣) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ١٣٠، مرجع سابق.



قومه، وقد أقر تلك العقيدة (لويس فرخان)<sup>(١)</sup> زعيم تنظيم (أمة الإسلام) الحالي عندما طرح عليه (Stephen Barbosa)<sup>(٢)</sup> في كتاب (الجهاد الأمريكي) سؤالاً عمّا إذا كان اعتقاده أن إليجاه نبي حقًا؟ فقال: (نحن لا نؤمن بنبي بعد النبي محمد ﷺ، ولكننا نرى أن القرآن يعلمنا أن لكل أمة رسولاً)، أما ابن إليجاه (وارث الدين) الملقب بـ(والاس) الذي انفصل عن تنظيم والده بعد عام (١٩٧٥م)؛ فقال: (إن والده كان يعرف أن بعضاً من التعاليم التي قال بها لا تتفق مع صحيح الإسلام، ولكنها كانت لازمة وقت أن روجها؛ كي يستطيع السود أن يخلصوا أنفسهم من رِبْقَة ظروف الانحطاط الحقيقي التي وَجَدَتْ جمهورتهم نفسها وهي تَرَسَفُ<sup>(٣)</sup> في أغلالها؛ ومن ثمَّ تَرَقَّى إلى مستوى الاعتزاز بالنفس واحترامها، فضلاً عن أهداف القصد المادي والانضباط السلوكي)، ومن معتقداته أن البيض ينحدرون من صلب الشيطان وأن السود هم شعب الله المختار، كما يعتقد أيضاً أن السود ليسوا مواطنين أمريكيين عرقيًا، وقد دخل السجن خلال الحرب العالمية الثانية عندما أبلغ أتباعه بأنهم لا ينبغي لهم المشاركة في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. كما حرّم (إليجاه محمد) على أتباعه: لعب القمار، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، والمخدرات، والإفراط في الطعام، والزنى، كما حرم بصورة صارمة الزواج بين السود والبيض حفاظًا على نقاء الجنس الأسود، كما أمر أتباعه بأداء

(١) زعيم تنظيم (أمة الإسلام) منذ عام (١٩٨١م)؛ غيّر اسمه في البداية إلى (لويس إكس)، ثم اتخذ عام (١٩٦٥م) اسمًا جديدًا وهو (لويس حلیم عبد الفرقان)، وتلمذ على يد زعيم التنظيم (إليجاه محمد).

(٢) مؤلف كتاب (الجهاد الأمريكي)؛ وهو كتاب يسرد التجربة التاريخية للإسلام داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) رَسَفَ السَّجِينُ فِي الْقَيْدِ؛ أي: مشى فيه رويدًا. انظر: عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٨٨٧، مادة (رسف)، مرجع سابق.

الصلوات الخمس يوميًا، وهي شعيرة مستعارة بوضوح من الإسلام الصحيح. وكان التعليم من الأهمية بمكان بالنسبة لإليجاه؛ فكان يؤيد بكل جهوده إنشاء المدارس الإسلامية، وقد أنشأ بالفعل (جامعة الإسلام) في الثلاثينيات؛ التي تمثل في جوهرها مجموعة من المدارس الدينية قد بدأ عملها مقترنًا بالمعابد الإسلامية التي ترمي إلى تعليم النساء حتى مرحلة المدرسة الثانوية<sup>(١)</sup>.

بعد موت (إليجاه) وتولي ولده (وارث الدين محمد) عام (١٩٧٥م)؛ غيّر اسم المنظمة إلى (البلاييون)، نسبةً إلى الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه، وقد أدخل (وارث الدين) عدة تعديلات على التنظيم لتقريبه إلى الإسلام الصحيح؛ منها: إلغاء قانون منع البيض من الانضمام للحركة، وقد أصدر قرارًا بصوم رمضان والاحتفال بعيد الفطر مع المسلمين في كل أنحاء العالم، وقد غيّر كلمة (معابد) إلى (مساجد)، وغيّر لقب (رئيس المعبد) إلى (إمام)، كما غيّر لقبه من (رئيس الرؤساء) إلى (الإمام الأكبر)، وأصدر قرارًا أن تُهيأ المساجد لتكون صالحة لإقامة الصلوات الخمس يوميًا، وأن تكون الصلاة على الهيئة الصحيحة لدى المسلمين<sup>(٢)</sup>.

وفي عام (١٩٧٧م) انشق (لويس فرخان) عن (وارث الدين محمد)، وأحيا عقائد (إليجاه محمد) وقام بفتح معابد جديدة في (نيويورك، وشيكاغو، ولوس أنجلوس)، وأصدر جريدته التي سماها بـ(النداء الأخير) التي دعا فيها للعودة إلى تعاليم (إليجاه محمد) التي -للأسف- ألغت كل الإصلاحات التي أقامها (وارث

(١) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ١٣٠، ١٣١، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) الجهني، مانع بن حماد. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ١، ص ٣٦٤، مرجع سابق.



الدين محمد)، وأُخِيَت خرافات (إليجاه محمد) مرة أخرى، وقد قام (لويس فرخان) بزيارة المملكة العربية السعودية، وعقد لقاءً بينه وبين بعض الدعاة، وقد وعدهم خيرًا بتصحيح معتقدات التنظيم، ولكن عندما عاد إلى أمريكا بقي على نفس أسلوبه دون تغيير، ولكن قلَّ إعلانها<sup>(١)</sup>.

### مبادئ وأفكار (أمّة الإسلام):

كانت (أمّة الإسلام) تعتقد أن الرجل الأبيض هو السبب في المأساة التي يعيشها الرجل الأسود، وأن جميع سكان أمريكا البيض متآمرون على وضع السود موضعًا دينيًا<sup>(٢)</sup>، كما كان من أفكار التنظيم رفض الاندماج مع مجتمع البيض، وإنشاء مجتمع مواز بكياناته السياسية والاجتماعية لا دور فيه للبيض إطلاقًا، كما كان من أفكارهم الدعوة إلى الانفصال عبر مطالبة الدولة بإعطائهم عدة ولايات لإقامة دولة للسود عليها<sup>(٣)</sup>، ولم تتبلور فكرة الانفصال بصورة واضحة في فكر (إليجاه)؛ حيث إنه لم يحدد قادة التنظيم متى سيكون ذلك وأي المناطق يرغبون في الاستقلال فيها!

رَفَضَت الحركة فكرة اندماج المسلمين السود داخل المجتمع الأمريكي، ورأت الحركة في الشعوب المُلَوَّنة - لا سيما المسلم منها - امتدادًا طبيعيًا لها، وقد جاءت زيارات بعض قادة الحركة إلى بلدان مسلمة وعربية وإفريقية، وكانت هناك مراسلات بين التنظيم والقادة العرب؛ مثل (جمال عبد الناصر)، وقد أظهر التنظيم تعاطفه وتأييده للقضايا العربية، لا سيما القضية الفلسطينية<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦٦.

(2) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p19.

(3) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص 130، 131، بتصرف، مرجع سابق (3)

(4) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p224.

من أفكار التنظيم عدم الإفصاح عن القوة العددية والقدرات التنظيمية للحركة، وكانت الحركة تُحجَم عن التصويت في الانتخابات خشية معرفة قوتها العددية، وكان شعارهم (لا أحد يعلم قوتك الحقيقية ما لم تصوت). ومن أفكاره أيضًا إنشاء أعمال تجارية يمتلكها السود، وغير ذلك من سُبُل إعالة الذات وتحقيق الأمن الاقتصادي والأمن الذاتي للتنظيم، وكان يسعى بقوة لتحقيق الاستقلال الاقتصادي للسود، وكان يعتقد أن السود داخل أمريكا إذا كَوَّنوا اقتصادًا يَخُصُّهم؛ فسيفوق معدل ربحه السنوي بعض الدول الأوروبية<sup>(١)</sup>. وقد أقامت الحركة العديد من المعارض الاقتصادية لزيادة دخل التنظيم، وشدَّدت الحركة على مفهوم المقاطعة الاقتصادية للرجل الأبيض ما دام هناك بديل عند أخيه المسلم، ونشرت الكثير من النشرات والتوعيات داخل الحركة بالتحذير من الاستدانة تحت شعار (الاستدانة هي العبودية)<sup>(٢)</sup>.

واعتمدت الحركة على نشر تعاليمها داخل المدارس الخاصة بها، وكان لها مدرستان باسم (الجامعة الإسلامية) في شيكاغو وديترويت لتدريس العلوم والرياضيات والتاريخ واللغة العربية<sup>(٣)</sup>، وبلغ عدد الطلاب فيها (٨٠٠٠ طالب)، وأُلْحِقَ بها مركز للفتيات لتعلُّم مهارات إدارة المنزل وتعلُّم مهارات تربية الأولاد، وقد لَقِيَت المدرسة إقبالًا شديدًا من الطلاب السود المسلمين والسود غير المسلمين من الفقراء، وظهرت تلك المدارس إبَّان الحقبة العنصرية ووجود (قوانين جيم كرو/

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩، ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٠-٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

Jim Crow Laws)<sup>(١)</sup> العنصرية التي تقضي بفصل السود عن البيض<sup>(٢)</sup>.

وكان تنظيم (أمة الإسلام) يؤمن بحق الدفاع عن النفس؛ فأُسِّسَ فرقةٌ سميت بـ(ثمرّة الإسلام) أو (فَيْلَقُ النخبة)، وفرقة أخرى لتدريب النساء سميت بـ(تدريب البنات المسلمات / T.M.G.)<sup>(٣)</sup>، وكانت من مهام (ثمرّة الإسلام) حماية المعابد وحماية (إليجاه محمد) وقادة التنظيم، إضافة إلى مراقبة الأعضاء وكتابة تقارير عن مدى التزامهم بتعاليم الحركة، وكانوا مُدرِّبين على الاشتباك بالأيدي والسلاح<sup>(٤)</sup>، واقتصرت الحركة على عضوية السود من ذوي الأصل الإفريقي أو الهند الغربية، ولكن الأغلبية كانت لحساب ذوي الأصول الإفريقية، وكان غير المسلمين من السود أو العرب المسلمين مُرَحَّبًا بهم كضيوف، لكن دون حصولهم على عضوية داخل التنظيم، وقد اعتمدت الحركة على العرب المسلمين في عدة وظائف؛ مثل (تدريس اللغة العربية)، وكان الشيخ (دياب الفلسطيني) من أكبر معلمي اللغة العربية داخل مدارس الحركة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) مصطلح أصبح شائع الاستخدام في الغرب في ثمانينيات القرن التاسع عشر، عندما صار الفصل الاجتماعي مشروعًا في كثير من الأجزاء الجنوبية للولايات المتحدة، وطالبت القوانين بفصل الأعراق في كثير من الأماكن العامة، ولكن أعلن عن عدم شرعية أغلب هذه القوانين في الولايات المتحدة، وذلك بموجب قرارات أصدرتها محاكم عليا متعددة في خمسينيات وستينيات القرن العشرين.

(2) The Life and Times of Elijah Muhammad, Claude Andrew Clegg III, p252.

(٣) الجهني، مانع بن حماد. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ١، ص ٣٦٠، مرجع سابق.

(٤) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، من إنتاج قناة Public Broadcasting

(Service (PBS)، عام (١٩٩٤م)، الدقيقة (٤٠).

(5) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p29.

وقد ارتبط تاريخ (أمة الإسلام) بشخصية البحث (مالكوم إكس) ارتباطًا وثيقًا؛ حيث إنها احتضنته (١٢ عامًا)، وقد استقى منها الكثير من المفاهيم والمبادئ، وتعد دراسة تاريخ الجماعة ومنهجها أمرًا ضروريًا لفهم المرجعية الفكرية لحياة مالكوم إكس وفهم الكثير من الكواليس التي دارت في حياة شخصية البحث.

## الفصل الثاني

### كيف تشكلت شخصية مالكوم وأفكاره؟

وينقسم إلى أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: نشأة مالكوم.

المبحث الثاني: حقبة سجنه وإسلامه.

المبحث الثالث: مرحلة (أمة الإسلام).

المبحث الرابع: تغير أفكاره واغتياله.

## المبحث الأول

### نشأة مالكوم

وُلد (مالكوم ليتل) في (١٩ / مايو / ١٩٢٥ م) بمدينة (Omaha) بولاية (Ne-braska) الأمريكية، وكان ترتيبه الرابع بين ثمانية إخوة. وكانت أمه (لويز ليتل) من جُزر الهند الغربية، وضعتَه وعمرها (٢٨ عامًا)، ووالده (إيرل ليتل) كان قَسِيًّا مَعْمَدَانِيًّا وناشطًا سياسيًا في أكبر منظمة للسود آنذاك؛ وهي (الجمعية العالمية لتقدُّم الزنوج)<sup>(١)</sup>. أثَّرت في تكوين شخصيته وتوجهاته عدة عوامل؛ من أبرزها (أمه، وأبوه، والمدرسة، وأخته إيلا<sup>(٢)</sup>، والعمل والجريمة).

#### تأثير الأم (لويز):

كانت لويز من زنوج جُزر الهند الغربية؛ لذلك لم تكن لها لهجة الزنوج، وكانت سمراء ذات شعر مسترسل بسبب أبيضها الأبيض، ومن ذلك الجد وَرِثَ مالكوم شعره الأحمر الذي كان يُلقَّب به (الأحمر)، وسمرته غير الداكنة التي تَمَيَّزَ بها عن باقي إخوته، وكانت أمه تُعَيِّرُه بها وتقول: (اخرج إلى الشمس ودعها تمسح عنك هذا الشحوب)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) Malcolm x a biograph, A.B. assensoh and Yvette m. alex - assensoh, ch1, p1.

(٢) كانت ناشطة أمريكية في مجال الحقوق المدنية وأخت غير شقيقة لمالكوم إكس، عملت في منصب سكرتير الكونجرس، واستثمرت في الممتلكات المنزلية التي تركتها والدتها، وانضمت إلى تنظيم (أمة الإسلام) في منتصف الخمسينيات، وساعدت في تأسيس مسجدها في (بوسطن) ومركز رعاية نهارية ملحقه به، وغادرت تنظيم (أمة الإسلام) عام (١٩٥٩ م) لتصبح مسلمة سنية، ودعمت برامج الدراسات السوداء والعرقية في الجامعات في جميع أنحاء الولايات المتحدة، وأسست مدرسة للفنون التحضيرية في (بوسطن).

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٤، مرجع سابق.

وكانت أمه عُضوة في (الجمعية العالمية لتقدّم الزوج) التابعة لـ(ماركوس جارفي)، وكانت تقرأ لماكولم وإخوته صحيفة (عالم الزوج) التابعة لمنظمة جارفي، وكانت تغرس فيهم معاني الحرية وتمنعهم من تسمية أنفسهم بالزوج أو السود، كما كانت تحثهم على الشعور بالفخر لكونهم أفرقة<sup>(١)</sup>.

وكما كان مالكوم يختلف عن إخوته في اللون، كان أيضًا مختلفًا في الطبع؛ فقد كان مُحبًا للمشاعبة ومتفنًا في أخذ حقه منذ الصغر، ويدرك أن الحق لا يُعطى لمن يسكت عنه، وأول مَنْ مارَس عليه تلك القاعدة هي أمه (لويز)؛ فكان يرفع صوته بالصراخ حينما تنقضُّ عليه لتضربه حتى تُخفف من ضرباتها عليه؛ فيقول: (قلتُ سابقًا إن أمي كانت تضربني، والحقيقة أنني لم أكن أسهلَّ عليها ذلك، فكانت كلما رفعت يدها رفعتُ صوتي بالصراخ حتى يظن المارُّ في الطريق أنها تقتلني، فإذا كان هناك فعلاً مَنْ يمر؛ أحجّمت واكتفت بضربات خفيفة)، كما يزيد قائلاً: (لقت تعلمت باكراً أن الحق لا يُعطى لمن يسكت عنه، وأن على المرء أن يُحدث بعض الضجيج إذا أراد أن يحصل على شيء، كان إخوتي الكبار يسكتون إذا رجعوا من المدرسة وطلبوا من أمي خبزًا وزبدة أو أي شيء ولم تعطه لهم، أما أنا فكنْتُ أصرخ وأجعل عاليها سافلها حتى تعطيني ما أريد، وأذكر أنها سألتني ذات يوم: لِمَ لا تكون مثل ويلفريد؟<sup>(٢)</sup>، ولكنني قلتُ في نفسي: إنَّ ويلفريد لكثرة ما يسكت؛ يموت من الجوع معظم الوقت)<sup>(٣)</sup>.

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (١٤)، مرجع سابق.

(٢) شقيق مالكوم إكس الذي يكبره.

(٣) هيلبي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٤، مرجع سابق.



## تأثير الأب (ليتل):

أبوه (إيرل ليتل) كان قسيسًا معمدانيًا ومن أتباع (ماركوس جارفي)، وناشطًا في (الجمعية العالمية لتقدم الزوج) التي تؤمن بصفاء العرق الأسود، وكان يؤمن بأن الحرية والاستقلال والكرامة يستحيل أن تُحقق للسود داخل أمريكا، وأن السود عليهم أن يعودوا إلى إفريقيا ويتركوا أمريكا للبيض؛ الأمر الذي سبّب له متاعب كثيرة أدت إلى حرق بيته وقتله على يد عصابات (ku klux klan) البيض المتعصبين<sup>(١)</sup>، ويصفه مالكوم قائلًا: (كان أبي رجلًا طويلًا عريضًا، ولم يكن رعيديًا<sup>(٢)</sup> مثل زوج هذا الزمان، وكان من بلدة (Reynolds)<sup>(٣)</sup>؛ حيث التحق بالمدرسة الابتدائية وتركها قبل الأوان، وكان مقتنعًا بأفكار (جارفي) أنه على زوج أمريكا العودة إلى أرض أجدادهم في إفريقيا)، وقد اعتنق أفكار (جارفي) نتيجة لما رآه من مقتل ثلاثة من إخوته على يد البيض، وقد كان يشير في خطبه الوعظية إلى: (ذلك القطار الأسود الآتي)، (تصفية الأمور استعدادًا للرحيل)؛ وهما لا شك فكرتان من أفكار (جارفي) المُحرّضة على الرجوع إلى أرض الوطن -إفريقيا-<sup>(٤)</sup>.

كان والد مالكوم يصطحبه في اجتماعات (الجمعية العالمية لتقدم الزوج)، وكانت العبارات التي تتردد خلال الاجتماعات بمنزلة أول طرقات لوعي مالكوم في صغره لمشكلة السود في أرض أمريكا<sup>(٥)</sup>، كما أن تحركات والده والتزامه

(1) Malcolm X: A Life of Reinvention, Manning Marable, ch1, p24.

(٢) جِبَان يرتعد ويضطرب من شدة الخوف. انظر: عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٩٠٧، مادة (رعدد)، مرجع سابق.

(٣) بلدة تقع في ولاية (جورجيا) في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٤) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٣، مرجع سابق.

(5) Malcolm x a biography, A.B. assensoh and Yvette m. alex -assensoh, ch1, p6.

نَشَرَ أفكار (جارفي) داخل نطاق السود في ولايته؛ زرعت في نفس مالكوم معنى الحياة من أجل قضية وتحمل الصعاب في سبيلها؛ فيقول: (بالرغم من صغر سني؛ فإنني كنت فخورًا بنشاط والدي السياسي الذي كان يجعله مهمًا في عيني، وهذه الأهمية كرسستها ما كنت أسمعه من أقوال الناس؛ مثل تلك المرأة التي قالت لوالدي وهي تضحك: (إن كلامك يزرع الرعب في قلوبهم). وكان أبي يأخذني إلى اجتماعات جمعية التقدم الزنجي التي كانت تُعقد في البيوت، ويحضرها حوالي (٢٠ شخصًا) تكتظ بهم غرف الاستقبال، ويبدون لي في منتهى الرصانة والذكاء والواقعية، حتى يغمرني الشعور أنا أيضًا بذلك، ومما كان يقال في تلك الاجتماعات: (طُرد آدم من الجنة فهبط إلى كهوف أوروبا)، (إفريقيا للأفارقة)، (انهضوا يا أحباش)، (ساعة التحرر الإفريقي آتية، لا نعرف متى ولكن آتية)، وكان أبي يقول: (إن إفريقيا سيحكمها الأفارقة الذين كان يسميهم الرجال السود، وكانت صور (جارفي) الكبيرة اللامعة التي يحملها أبي إلى هذه الاجتماعات في ظرف سميك، تنتقل من يد إلى يد وتُظهر (جارفي) في استعراض على متن سيارته الجميلة ومن ورائه ما يُخيّل لك أنهم ملايين الزوج، كان يبدو في هذه الصور ضخماً، شديد السواد، يلبس بدلة رسمية رائعة تُزيّنُها شرائط ذهبية، وقبعة مثبتة فيها ريشات طويلة، وكان يقال إن له أتباعاً في كل أنحاء الدنيا وليس في الولايات المتحدة فحسب، وكان أبي يختم الاجتماع بنشيد يردده معه الجميع؛ فيقول: إلى الأمام أيها الجنس الجبار، بوسعك أن تحقق المعجزات)<sup>(١)</sup>.

مثّلت الاعتداءات التي فعلتها عصابات (ku klux klan) العنصرية ضد أسرة مالكوم ووالده علامة فارقة في تكوين صورة الصراع بين السود والبيض في

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٣، مرجع سابق.

أمريكا، وكانت بداية لتراكم مشاعر الكراهية بداخله لكل مَنْ هو أبيض؛ ففي عامه الرابع اعتدت تلك العصابات على منزل أسرة مالكوم وأحرقوه كاملاً، وبعدها بعامين ترصّدت تلك العصابات والد مالكوم وضربوه ثم وضعوه في طريق حافلة كهربائية لتدهسه!<sup>(١)</sup>.

كانت وفاة والد مالكوم صدمة كبيرة له ولأسرته، وبخاصة الأم التي أصبحت أرملة وهي في الرابعة والثلاثين من عمرها وتعول ثمانية أطفال؛ فترك بعض الأبناء دراستهم وعملت الأم خادمة في بعض بيوت البيض، لكنها كانت تُطرَد بعد مدّة قصيرة لأسباب عنصرية، ومع هذه الظروف العصبية عانت والدة مالكوم صدمة نفسية أودت بها إلى دخول مستشفى الأمراض العقلية وقضت فيه نصف حياتها؛ فتجرع مالكوم وإخوته الثمانية مرارة فقد الأب والأم معاً، وأصبحوا أطفالاً تحت رعاية الدولة التي قامت بتوزيعهم على بيوت مختلفة<sup>(٢)</sup>.

### تأثير المدرسة:

تردّت أخلاق مالكوم وعاش حياة التسكُّع والتطفُّل والسرقة؛ فطُرِد من المدرسة وهو ابن (١٦ عاماً) وأودع في سجن الأحداث؛ فاستكمل تعليمه الثانوي وهو في السجن، وفي المدرسة الثانوية حدثت بعض الأحداث العنصرية التي أسهمت في تشكيل أفكاره ووعيه عن العلاقة بين البيض والسود داخل مجتمعه، فكانوا في المدرسة يلقبونه بالزنجي، وكان يتمتع بشعبية كبيرة لأنه الأسود الوحيد في الفصل، وكان مالكوم يشارك في الأنشطة الثقافية والرياضية، وكان عضواً في فريق السلة، فكان الجمهور ينهال عليه بنداءات: (يا زنجي، يا سارق

(1) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p7.

(٢) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (١٨)، مرجع سابق.

البطيخ الأحمر، يا صديء)، وكان مالكوم مادة للسخرية من الزوج من قبل معلميه العنصريين، فكان أستاذ التاريخ يسخر منه أمام الفصل عن طريق إلقاء النكات على الزوج والتهكم على أوصافهم الجسدية<sup>(١)</sup>.

وكان مالكوم ذكيًا فطنًا متفوقًا على جميع أقرانه، إلى أن حدث مع أستاذ له موقف عنصري صادم؛ حطمه نفسيًا ومعنويًا وكان لحظة فارقة في حياته غير مجراها إلى الأسوأ، وترك المدرسة بعدها وتنقل بين الأعمال المختلفة المهينة التي تليق بالزوج<sup>(٢)</sup>؛ فيحكى مالكوم قائلًا: (ثم وقع شيء غير مجرى حياتي، كنا في بداية السنة الثالثة الثانوية وكنا في الصف مع المستر (ستراوسكي)، أستاذ اللغة الإنجليزية الذي كان رجلًا طويلًا، وبياضه مائل للحمرة، وكان ذا شارب كثيف، وكنت قد حصلت منه على بعض أجود درجاتي، واستشعرت أنه يحبني، وكان يغالي في إسداء النصائح إلينا حول ما يجب علينا قراءته أو فعله، وكنا نسخر منه ونقول: لو كانت نصائحه تنفع؛ لنفَع نفسه بها، ولَمَّا قضى دهره مدرسًا في مايسون!)، المهم أنه قدّم لي نصيحته ذلك اليوم -الذي غير مجرى حياتي-، وهذه النصيحة لم يقصد بها إحراجي أو إهانتي، وإنما نبعت من موقفه كرجل أبيض في أمريكا، وكنت من أجود تلاميذه، بل كنت من أجود تلاميذ المدرسة كلها، ولكنه تنبأ لي بذلك المستقبل الذي يتنبأ به معظم البيض للسود؛ مبتدئين بـ(لو كنت مكانك؛ ل...)، فقال لي: هل فكرت بمستقبلك؟ ولم أكن قد فكرت فيه ولكنني قلت له -ولا أدري لماذا-: نعم يا أستاذ، أريد أن أصبح محاميًا. ولم يكن في (Lansing)<sup>(٣)</sup> أي محامٍ أو طيب زنجي، فكيف خطرت المحاماة ببالي؟!

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٨، مرجع سابق.

(2) Malcolm x a biography, A.B. assensoh and Yvette m. alex - assensoh, ch1, p10.

(٣) عاصمة ولاية (ميشيغان) الأمريكية.

وظهرت الدهشة على وجه الأستاذ واعتدل في جلسته، وقال وهو يشبك يديه خلف رأسه ويهم بالابتسام: ينبغي أن نكون واقعيين في الحياة، لا تُسِعْ فَهْمِي، فنحن كما تعلم نحبك ولكنك تحلم بالمستحيل، يجب عليك أن تفهم أنك زنجي وأن المحاماة مهنة غير واقعية لك، أنت ممتاز في دروس النجارة والجميع يعرف ذلك، فلم لا تفكر في أن تصبح نجارًا؟ إن لك شخصية محبوبة ولن تجد صعوبة في التعامل مع الزبائن. لم أنس كلامه هذا أبدًا، وظل كلما ذكرته يحزُّ في نفسي، ولا سيما أنه شجع كل التلاميذ البيض على ما أرادوه، وكان معظمهم يريد أن يكون مزارعًا ليتسلم أراضي آبائه أو أن يمارس مهنة حرة ليتخلص من نفوذهم، في حين أراد ولد أن يكون موظفًا في إدارة قروية وآخر أراد أن يكون بيطريًا، في حين أرادت البنات أن يكنَّ معلمات باستثناء واحدة أرادت أن تكون ممرضة، ولم يُخَيِّب لأحد رجاءً، مع أنني كنت متفوقًا عليهم، ولكن لم أكن مؤهلًا في نظرهم لأن أكون ما أريد<sup>(١)</sup>.

### تأثير أخته (إيلا):

بعد ذلك الموقف الفاصل في المدرسة ترك مالكوم المدرسة، وصادف وقتها خروجه من سجن الإصلاحية عام (١٩٤٠م)، فانتقل مالكوم إلى (بوسطن) للعيش مع أخته غير الشقيقة (إيلا ليتل)، وفي (بوسطن) أصيب بنوع من الانبهار بالمدينة وانغمس في حياة اللهو والمجون<sup>(٢)</sup>، وكان لأخته (إيلا) تأثير في تكوين شخصيته، ومن الممكن أن نقول بأنها من أقرب الشخصيات لشخصيته -بحسب وصفه-؛ حيث كان أول لقاء بينهما في زيارتها عقب وفاة والده؛ حيث وصَّفَهَا

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٣، مرجع سابق.  
(2) Malcolm x a biography, A.B. assensoh and Yvette m. alex - assensoh, ch1, p13.

بقوله: (كان لزيارتها أثر سحري عَلَيَّ؛ إذ وضعتني وجهاً لوجه أمام امرأة سوداء شامخة الكبرياء، تنظر إلى لونها باعتزاز شديد، وكانت شديدة السواد مثل أبي وفي مستوى كل ما سمعته عنها). وكان والد مالكوم يحكي عنها أمامه أنها ساعدت الكثير من أفراد أسرتهم على الرحيل من (جورجيا) إلى (بوسطن)، وأنها تملك عقارات وتعرف شخصيات، وأنها ذهبت إلى الشمال وهي مُعَدِّمَةٌ وتحسّنت أحوالها وتزوجت طبيباً؛ فساعدت أختها على الالتحاق بها، ثم أخاها، فابن عمي، فابن عمته<sup>(١)</sup>.

وعن شخصيتها التي كانت مقاربة لشخصيته؛ حيث قال عن وصوله إلى (بوسطن) واستقبالها له: (استقبلتني إيلا في المحطة وأخذتني إلى بيتها، وهناك تعرّفتُ على أخيها المُغَنِّي، وأختها ماري التي تختلف عنها إلى حد كبير، والغريب أن أعتبر ماري أخت إيلا وليست أختي، ولعل ذلك راجع إلى أن إيلا تشبهني بحزْمها وعزمها، في حين أن ماري لينة وديعة خجولة)<sup>(٢)</sup>.

### تأثير العمل والجريمة:

بعد وصول مالكوم إلى (بوسطن) ابتلعت حياة المدينة التي انبهر بها، وعمل ماسح أحذية، ثم نادلاً، ثم تعلم الرقص حتى أصبح راقصاً مشهوراً يشار إليه بالبنان، وفي داخل تلك المراقص والأندية الليلية استهوته حياة اللهو والضياع، وبدأ يشرب السجائر والخمر والمُخدّرات ويمارس القمار، ودخل في علاقات نسائية مع النساء الزنوج والبيض على حد سواء<sup>(٣)</sup>.

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٠، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١، بتصرف.

(٣) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٢٣)، مرجع سابق.



عمل مالكوم بعد ذلك بائع شطائر داخل قطار بين (بوسطن ونيويورك)، ثم تركه بسبب صدامه مع زملائه وبعض الركاب العنصريين، ثم انتقل للعيش في (نيويورك) وهناك عمل في النوادي الليلية نادلاً مع استمراره في ممارسة القمار وتعاطي المخدرات، ثم تدنى أمره إلى أن عمل قوَّادًا، وفي أثناء تلك المرحلة أُعفي من الخدمة العسكرية؛ لأنه صرح من قبيل الخديعة أنه يريد إنشاء جيش زنجي؛ فاتَّهَمَ بالجنون<sup>(١)</sup>.

ظل مالكوم يعمل نادلاً في الخمَّارات والنوادي، إضافة إلى المقامرة التي كانت سُودِي بحياته أكثر من مرة؛ الأمر الذي جعل السلاح لا يفارقه ليلَ نهار؛ ومن ثمَّ تطور الأمر إلى تكوينه عصابة لسرقة منازل الأثرياء البيض في حي (هارلم)<sup>(٢)</sup>، وكانت تتكون من رَجُلَيْن من الزنوج وامرأتين من البيض<sup>(٣)</sup>؛ ونتج ذلك عن عمله في النوادي الليلية ومخالطة أهل الجريمة والانحلال؛ حيث يقول مالكوم: (في النادي الليلي أخذت فيه المعلومات، وسمعتُ زبائن يوحون بدافع الرغبة في الكلام أو بدافع الشُّكر بما اقترفوه من أعمال غير قانونية لكسب قوتهم، ويعطونني من حيث لا يدرون دروسًا عالية المستوى في: التجارات المحظورة، والرهان، وتجارة الدعارة، والغش في أنواع اللعب، وإعداد المخدرات، وكل أنواع السرقات بما فيها السرقة بقوة السلاح)<sup>(٤)</sup>، ولكن لم يدمَّ حال تلك العصابة؛ حتى وقعت في قبضة الشرطة فأصدروا بحقه حُكْمًا مُبالِغًا فيه بالسجن لمدة عشر

(1) Malcolm x a biography, A.B. assensoh and Yvette m. alex - assensoh, ch1, p20.

(2) أحد الأحياء في مدينة (نيويورك)، عُرف منذ وقت طويل بأنه مركز ثقافي للأمريكيين ذوي الأصل الإفريقي، وأنه مركز تجاري، وبالرغم من أنه ارتبط على مر القرن العشرين بالجريمة والفقر؛ فإنه يشهد حاليًا تنمية اجتماعية واقتصادية.

(3) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p20.

(4) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٦٨، مرجع سابق.



سنوات، في حين لم تتجاوز مدة السجن للبيض خمس سنوات؛ لإشراكه امرأتين من البيض في عملياته<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من أن تلك المرحلة كانت أخطأ مراحل مالكوم الأخلاقية؛ فإنها أضافت تأثيرًا كبيرًا لمالكوم في تشكيل عقله وشخصيته، وفهم عقليات الزوج والبيض بمختلف مستوياتهم الاجتماعية وطرق التعامل معهم؛ حيث يقول مالكوم عن نفسه: (لم يكن زبائني طلابًا صغارًا، ولكنهم كانوا كهولًا فما فوق، كانوا شخصيات بارزة؛ من بينها: رجال سياسة كبار، ورجال مال ونفوذ، وأعضاء مجالس بلدية في مدن أخرى، وكل أنواع المهنيين، ونجوم المسرح، ونجوم هوليوود، وبالطبع أصحاب الأعمال غير القانونية؛ وكان حي (هارلم) بالنسبة لهم وكرّ معاص وفجور، يأتونه متسللين، ثم يغسلون جرائمهم بمادة مطهرة ويلبسون أقنعة الوجاهة الوهمية ويرجعون إلى عالمهم الأبيض، كانوا من ذلك النوع الذي يستطيع إنفاق مبالغ طائلة على ساعتي فاحشة أو ثلاث أو أربع، ولم يكن ليديهم أحد في هذا العالم الأسود -الأبيض المنحط-؛ لأنهم يدفعون الثمن. وليس المسؤولون الأمريكيون بأفضل من نظرائهم الإنجليز، أقولها وأكررها؛ لقد رأيت فواحشهم بعيني وسمعتها بأذني، ويتكلمون عن الانحلال الأخلاقي عند الزوج وهم يغوصون في أخطأ أنواعه!)<sup>(٢)</sup>.

شكلت تلك المرحلة عقلية مالكوم؛ فكان يحاول فهم التركيبة النفسية للزوج في (بوسطن)، والفروق بين أحيائهم الفقيرة والغنية، وفهم طريقة معيشتهم التي يحاولون فيها التشبه بالرجل الأبيض، والعنصرية التي بين الزوج وبعضهم؛

---

(1) Malcolm X: A Life of Reinvention, Manning Marable, ch2, p68.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٩٤، مرجع سابق.

فيقول: (لاحظتُ غطرسة زنوج حي روكسبري<sup>(١)</sup> الذين يسمون أنفسهم (The four hundred)، ويترَفَعون عن زنوج الحي الفقير المعروف بالمدينة، خدعتني بيوتهم الهادئة، والحشيش المقصوص على مداخلها، ومشيتهم وهم في الطريق إلى العمل أو السوق أو الكنيسة؛ فتصورتُ أنهم من طبقة مهمة ذات شهادات جامعية ومناصب، والحقيقة أنهم لم يكونوا إلا من قبيل ماسحي أحذية (Lansing) وبوابيها، مع فرق واحد؛ وهو أنهم يعيشون الأوهام فيقلدون البيض ويحتقرون إخوانهم - سكان المدينة الذين يقيمون على بُعد رَمِيَّة حجر-، كان كل مَنْ امتلك بيتًا وسكن المرتفع يَعِد نفسه أفضل، حتى إن دَفَعته الحاجة إلى تأجير بعض غرفه، وكان الذين يُولَدون هناك ينظرون باستعلاء إلى الجنوبيين النازحين والكادحين من أمثال (أختي إيلا)، في حين كان الزنوج الأمريكيون بمن فيهم - الشماليون والجنوبيون - يحتقرون زنوج الهند الغربية ويسمونهم بـ(اليهود السود)، وكان أصحاب المهن كالمعلمين والواعظين والممرضات يَعِدون أنفسهم (خواصَّ الخواصَّ)، في حين كان سعاة البريد والبوابون والنادلون يتهادون في مشيتهم وكأنهم سفراء في اللباس الداكن المُذَيَّل، وكانت الأغلبية الساحقة من زنوج المرتفع تقوم بأعمال حقيرة تطلق عليها أسماء طَنَّانة؛ مثل قولهم: إنه يعمل في البنك أو في الأمن، وكأن الأمر يتعلق بروكفلر زمانه، وليس ببواب عجوز مغلوب على أمره، وكانت العبارة الشائعة لتجميل عمل الخادِمات والطباخات هي (أعمل مع أسرة عريقة)، وأنا لا أفهم كيف يستطيع الإنسان أن يتمادى في خداع نفسه إلى هذا الحد!)<sup>(٢)</sup>.

(١) أحد الأحياء الـ(٢٣) الرسمية في بوسطن، ويعد قلب الثقافة السوداء في بوسطن.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٦، مرجع سابق.

ويحلل مالكوم سلوك بعض الزوج الذين كانوا يتشبهون بالبيض عن طريق الشعر المستعار للنساء، أو تسريحة الـ(كونك / conk)<sup>(١)</sup> للرجال، والتي مارسها مالكوم نفسه على شعره؛ فيقول: (بلغ بي الغباء درجة الوقوف موقف المُعجَب بشعره، وقد أصبح مثل شعر الرجل الأبيض، والصبر على ذلك العذاب وإحراق لحمي وطبخ شعري الذي خلقني الله تعالى به، ذلك اليوم كنتُ خطوتُ خطوة نحو الانحطاط وانضمتُ إلى مئات الزوج الأمريكيين الذين تعرضوا لغسيل الدماغ؛ فشرعوا يغيرون خلق الله تعالى ليصبحوا جُملاء بمقاييس البيض، إن هذه التسريحة التي يحملها الرجل الأسود على رأسه في كل مكان في أمريكا -في المدن الصغرى والكبرى- وتلك الباروكات الملوّنة بين الأخضر والوردي والأحمر والفضي على رؤوس السوداوات؛ إنها لتبَعث على الشك في أن يكون الزنجي ما زال يعرف أنه زنجي؛ ولذلك أقول لو كان السود -رجالاً ونساء- ينفقون من الوقت لتنمية عقولهم كما ينفقونه لتلين شعورهم؛ لأصبحت أحوالهم أفضل آلاف المرات مما هي عليه)<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ أن مالكوم امتاز بعقلية تحليلية فذة اتضح في سرده تفاصيل حياته؛ فكان يحلل تصرفات مَنْ حوله بداية من أسرته وحتى مرتادي النوادي الليلية، وهذا بالطبع كان له الكثير من الأثر في رسم تصوراتهِ واستنتاجاته لمنهجهِ الإصلاحي وعلاقته بَمَنْ حوله، كما أن المُتَبَّع لسيرة مالكوم يلاحظ حدية مزاجه؛ وذلك أيضًا كان له الأثر الكبير في صياغة أفكاره وقناعاته، وستتضح في المباحث القادمة تلك الشواهد بشكل أكثر.

(١) تسريحة كانت منتشرة بين أوساط الأمريكيان السود لتنعيم الشعر عن طريق كَيْهِ بالصودا.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٤٧، مرجع سابق.

## المبحث الثاني حِقة سجنه وإسلامه

تعد حِقة السجن في حياة مالكوم من أهم الحِقب التي مر بها في حياته؛ حيث أعلن فيها إسلامه وانضم بعد خروجه من السجن لمنظمة (أمة الإسلام)، إضافة إلى أن تلك المرحلة هي التي بنى فيها ثقافته التي تلتها حِقة نضاله في توسيع نشاط (أمة الإسلام) وخطبه ضد التمييز العنصري.

في أول أيام سجنه كان سيئ المزاج كثير السب؛ بسبب انقطاع المخدرات عنه، وقد حاول بشتى الطرق شراء المخدرات داخل السجن، فأحياناً كان يحصل عليها وأحياناً أخرى كان يلجأ لخلط بعض المواد الشبيهة التي لها المفعول نفسه<sup>(١)</sup>؛ مثل (جوز الطيب)<sup>(٢)</sup>، وكان يشتريه بالنقود أو بالسجائر من زميله الذي كان يعمل في المطبخ، فكان له مفعول سجائر الـ (Marijuana)<sup>(٣)</sup> التي اعتادها<sup>(٤)</sup>.

لكن ذلك الحال لم يدم طويلاً؛ بسبب انضمام إخوة مالكوم لجماعة (أمة الإسلام) واعتناقهم أفكارها<sup>(٥)</sup>، وبدؤوا مراسلة مالكوم ومحاولة جذبه إلى الدين

(1) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p21.

(2) ثمر تتجده شجرة (جوزة الطيب) التي مهدها البلاد الاستوائية، ويُستخدم كتابل للطعام. انظر: عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٤٢١، مادة (جوز)، مرجع سابق.

(3) عشبة مُخدِّرة يُستخرج منها المُخدِّر المعروف بـ(الحشيش). انظر: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/marijuana>

.com/ar/dict/ar-en/marijuana

(4) هيلبي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١١٧، مرجع سابق.

(5) لم تكن تلك الجماعة تدين بالإسلام الصحيح؛ حيث كانوا يعتقدون بتفوق الجنس الأسود على الجنس الأبيض، وأن الملائكة سوداء اللون والشياطين بيضاء، ويعتقدون أن الإله ليس شيئاً غيبياً، بل يجب أن يكون متجسداً في شخص وهو (والاس) مؤسس الجماعة، وكانوا يعتقدون أن (إليجاه محمد) من ضمن رسل الله.

الجديد الذي سيغيّر حياته، وسيكون له الفضل في خروجه من السجن كما وصفوا له في مراسلاتهم<sup>(١)</sup>؛ فكان أول خطاب تلقاه من أخيه (فيلبيرت)<sup>(٢)</sup> الذي كان يصفه بأنه كثير الانتساب إلى التنظيمات، يخبره في الخطاب أنه اهتدى إلى (الدين الطبيعي للرجل الأسود)، وأنه التحق بالتنظيم الذي يحتضنه في أمريكا المعروف بـ(أمة الإسلام)، ونصحته أن يدعو الله تعالى أن يفرج كربته، ولكنه رد عليه برسالة توبيخ شديدة اللهجة، إلا أن هذه الرسالة تلتها رسالة أخرى من أخيه الأصغر (ريجينالد)<sup>(٣)</sup>، وكان فيها من الدهاء ما اجتذب عقل مالكوم، وبدأ يفكر في الأمر جدّياً، وقد قال له أخوه (ريجينالد) في رسالته أمراً شد انتباه مالكوم؛ حيث قال له: (إياك أن تأكل لحم الخنزير أو تدخن بعد اليوم يا مالكوم، وسأدلك على طريقة تخرجك من السجن)؛ إلا أن مالكوم لم يربط بين ذلك الأمر ودعوته للإسلام، وتصور أن أخاه يفكر في تهريبه، ولكنه امتثل لأمر أخيه على أمل الخروج من السجن كما وعده<sup>(٤)</sup>.

كان أخوه (ريجينالد) موفّقاً في مدخله إلى مالكوم؛ حيث طرّق عقل مالكوم من المداخل الصحيحة التي حركت ماءه الراكد، حيث بدأ بمخاطبته عن مقاطعة التدخين ولحم الخنزير، وحين نفّذ مالكوم الوصية؛ تميز بين أقرانه في السجن وبدأ يشعر بالعزة لاختلافه عن باقي السجناء، ولا سيما أن المعروف عن الزوج حبهم للحم الخنزير، كما أن (ريجينالد) نجح في ربط ذلك بهدف الحرية والخروج من السجن، وليس أسمى من ذلك الهدف بالنسبة لشخص مسجون،

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٣٠)، مرجع سابق.

(٢) أكبر إخوة مالكوم الأشقاء.

(٣) أصغر إخوة مالكوم الأشقاء.

(٤) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٢٠، مرجع سابق.

وتوالى زيارات (ريجينالد) لمالكوم داخل السجن، ومع كل زيارة كان يعطيه جرعة من الأفكار التي تركه في حيرة وتُشغل عقله بالبحث والتفكير حتى الزيارة التي تليها، وكان كل إخوته في (ديترويت) قد أسلموا وانتدبوا أخاهم (ريجينالد) لإكمال المسير مع مالكوم لمحاولة إدخاله في (أمة الإسلام)، ودار بينهما حوار أثار انتباه عقل مالكوم؛ فيقول: (إذا افترضنا أن يكون هناك إنسان يعرف كل شيء، فمن تراه يكون يا مالكوم؟ فنظرتُ إليه وقلتُ: لا بد أن يكون إلهاً، فقال: إن هناك إنساناً يعرف كل شيء<sup>(١)</sup>، وقلت: ومن يكون؟ فقال: الإله، إن الإله إنسان اسمه الحقيقي الله، وتذكرتُ أن هذه الكلمة وردت في رسالة فيليبس<sup>(٢)</sup>، وبعد تلك الزيارة بدأ مالكوم يفكر ويبحث ويسأل في معنى الألوهية ومقدرة الإله ومقدرة الشيطان في إغواء الناس، ولم يفتأ مالكوم يفتق من تلك الجرعة حتى يباغته أخوه (ريجينالد) بجرعة فكرية أشد، وللأسف كانت مليئة بالعنصرية، وكانت إحدى أهم الجرعات التي شكلت معتقدات مالكوم الفكرية إبان وجوده في (أمة الإسلام)؛ وهي: أن الرجل الأبيض هو الشيطان، وأن الإله الذي كلم مالكوم عنه وصل أمريكا وتجلّى لرجل اسمه (إليجاه)، وأخبره بأن زمان الشيطان (الرجل الأبيض) قد ولى.

ويروي بعدها مالكوم أنه دخل في حيرة أكبر من الأولى؛ فقال: (وذهب ريجينالد؛ فسقطتُ في متاهة من التفكير، وكانت صور البيض الذين عرفتهم منذ فجر حياتي تزحف إلى ذهني، ذهب فتركني لأول مرة في حياتي أسيراً لأفكار كبيرة، فكرت أن الرجل الأبيض بدأ يفقد قدرته على قمع السود واستغلالهم، إنه يسير نحو الانحطاط وزوال النفوذ وأن السود ينهضون من جديد ليقودوا العالم،

(١) الكلام بحسب معتقدات (أمة الإسلام) المُحرّفة وقتها.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٢٢، بتصرف، مرجع سابق.



كان (ريجينالد) قد قال لي: إنك لا تعرف حتى أصلك؛ لقد أخفى عنك الشيطان الأبيض أنك من جنس عريق الحضارة وحافل بالثروة والمُلْك، أنت لا تعرف حتى اسمك العائلي، لا تعرف لغتك ولن تعرفها حتى إن سمعتها، لقد قطع الشيطان الأبيض جذورك وصب عليك شره منذ مارس عليك القتل والاغتصاب، واقتلاع من أرض آبائك وأجدادك<sup>(١)</sup>.

وتمحورت رسائل إخوة مالكوم كلها على (المعرفة الحقيقية عن الرجل الأسود)، والتي تضمنت كلامًا يكشف بعض الحقائق عن الاستعباد الذي مُورس على الأفارقة الأوائل الذين جاؤوا إلى أرض الولايات المتحدة كعبيد وتعرضوا لاضطهاد كبير، كما تضمنت الرسائل كلامًا عنصريًا من قبيل أن الديانة المسيحية هي ديانة البيض، وأن الزنجي تعلم من المسيحية أن يكره نفسه، وتعلم منها الخنوع وتقبل الإهانة!<sup>(٢)</sup>.

يصف مالكوم حالته النفسية بأنه أصابته حالة من انقطاع الشهية عن الطعام، وأصبح يعيش على الماء؛ حتى استدعى له الحراس طبيبَ السجن، لقد كانت مرحلة تغيّر قناعات ونقلة نوعية في حياته؛ أسفرت عن حالة نفسية أثرت في تفكيره؛ وصفها مالكوم قائلاً: (كنتُ أمرُّ بتجربة إنسانية صعبة وعظيمة تقضي بتقبلي لأشياء موجودة أصلاً من حولي وفي داخل نفسي)<sup>(٣)</sup>.

استمرت مراسلات إخوة مالكوم له بتوجيهه نحو الإسلام وإرشاده لتعليمات الدين الجديد كالصلاة واللجوء إلى الله، كما لم تنقطع مراسلاتهم عن وصف

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٤، بتصرف.

(٢) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٣١)، مرجع سابق.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٢٦، مرجع سابق.



(إليجاه محمد) ومعتقداته في الخلق والنبوة القائمة على تفوق العرق الأسود؛ حتى تشجّع مالكوم ذات يوم وراسل بنفسه (إليجاه محمد) برسالة قال فيها إنه عرّفه عن طريق إخوته، واعتذر فيها عن رداءة خطه وكثرة أخطائه<sup>(١)</sup>، وجاء بعدها ردُّ (إليجاه محمد) عليه مُذَيِّلاً بتوقيع (رسول الله)، وقد أوقع في نفسه أثراً بالغاً، لِمَا كان من اهتمامه بالرد، ورَحَّب به إلى (المعرفة الحقة)، وقال له: (إن السجين الأسود رمز إجرام المجتمع الأبيض الذي يُبقي السود تحت القمع والفقر والجهل والعجز عن شغل أي عمل محترم؛ فيحولهم إلى مجرمين)<sup>(٢)</sup>.

انخرط مالكوم في العبادة بناء على طلب إخوته وتوجيهاتهم، وكان للعبادة أثر كبير في تغيير سلوكه وعاداته، واستعادة ما فاته من تعلم ودراسة، وشرع في تلك المرحلة يبني نفسه ثقافياً بشكل كبير<sup>(٣)</sup>، ولكن الصلاة كانت من أثقل الاختبارات التي مر بها مالكوم في حياته؛ فقد احتاج أسبوعاً كاملاً كي يتمكن من الصلاة والسجود؛ حيث يصف مالكوم مشاعره المترددة في ذلك الموقف قائلاً: (كنتُ أهُمُّ بالسجود فأشعر بالخرج والخجل وأراجع؛ ذلك لأن الاعتراف بالذنب أمام الله تعالى وطلب مغفرته شيء عسير على المذنب! وكنت أعود فأرغم نفسي على السجود حتى تعودتُه، ولكنني عندما نجحتُ في ذلك أخيراً وقعتُ ساجداً ولم أعرف ماذا أقول! ثم انقطعتُ للعبادة في السجن خلال السنوات التالية؛ فَمَلَأْتُ عليّ وقتي كما لم يملأه أي شيء آخر، وفجأة تركتني أفكارني السابقة وانزلت عني كما ينزل الثلج عن سطح مُحدَوْدَب<sup>(٤)</sup>، وكأن كل ذلك الماضي لا يعنيني،

(1) Malcolm x a biography, A.B. assensoh and Yvette m. alex –assensoh, p26.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٢٩، مرجع سابق.

(٣) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٣٣)، مرجع سابق.

(٤) إحديداب الظهر: تقوُّسُه واعوجاجُه. انظر: عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة،

ص ٤٥١، مادة (حدب)، مرجع سابق.

كنت أجدني أفكر في شخصي السابق من بعيد وكأنه كيان آخر، وكنت أحاول دون جدوى شرح مشاعري في رسائلني إلى السيد إيجاه<sup>(١)</sup>.

بدأ مالكوم مشواره الدعوي وهو في السجن؛ حيث بدأ في مراسلة أصدقائه ومعارفه في حِقبة الإجرام، وبعث إليهم بالرسائل الدعوية عن معرفة الله والإسلام، ولكن لم يكن هناك مردود على تلك الرسائل<sup>(٢)</sup>، وذلك الفعل شاهدٌ على الهمة العالية لمالكوم وإيجابيته التي استطاع من خلالها توسيع نشاط (أمة الإسلام) بعد خروجه من السجن؛ حيث يروي مالكوم أولى خطوات طريق الدعوة قائلاً: (ولأنني رجل عملي؛ حاولتُ أن أفعل شيئاً بمعرفتي الجديدة؛ فكتبت عن الله تعالى وعن الإسلام وعن السيد (إيجاه محمد) إلى كل المجرمين الذين عرَفْتهم؛ أمثال: (سامي سمسار الدعارة، وجون يوه صاحب نادي القمار في بوسطن، وجامب ستيدي اللص، وبعض باعة المخدرات)، ولم أكن أعرف عناوينهم، فبعثت لهم بتلك الرسائل إلى البارات والأندية الليلية، ولكن لم يُجب أحدٌ منهم)<sup>(٣)</sup>.

ولم ييأس مالكوم بعدم رد أصدقاء عالم الإجرام على رسائله، بل سعى سعياً حثيثاً لنشر الدعوة داخل السجن؛ فكان يتحدث مع السجناء السود عن تاريخهم ويُبصِّرهم بتاريخ العبودية داخل الولايات المتحدة والفضائح التي ارتكبت في حق أسلافهم، وكان يقول لهم: (إن بعض العبيد من أسلافهم كانوا يتكلمون العربية ويدينون بالإسلام عندما جاؤوا من إفريقيا)، وكانت تتنوع استجابة المدعوين لكلام مالكوم، فكان بعضهم يرفضونه وبعضهم يقبلونه وبعضهم يسمعون ثم

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٣٠، مرجع سابق.

(٢) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p25.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٣٠، مرجع سابق.

يُخبرون به إدارة السجن، وأما مَنْ يقبله فكان يلقيها في وجهه أن (الرجل الأبيض شيطان)<sup>(١)</sup>.

## كيف كَوّن مالكوم ثقافته؟

كان مالكوم يتفاخر بسجله الإجرامي داخل السجن، حتى التقى بمسجون أسود يُدعى (بيمبي) الذي أدهش مالكوم بثقافته وحسن اطلاعه<sup>(٢)</sup>، وكانت تلك الشرارة التي أشعلت جذوة الثقافة عند مالكوم، لا سيما وقد قابل صعوبة في قراءة مراسلات إخوته البريدية، فكان هو والمساجين يتحلّقون حول (بيمبي) لسماع موضوعاته الشيقة التي يطرحها، وكانت مليئة بالمعلومات الجديدة والكلام المُتضلع، الذي كان من قوته يجذب بعض السجناء البيض بل بعض الحراس، وكان مستوى مالكوم الثقافي ضحلاً للدرجة التي يقول فيها عن نفسه: (وكنّت قد نسيّت في الشارع كل ما تعلمته في المدرسة؛ حتى أصبحت لا أعرف الفرق بين الفعل والمنزل!)؛ حتى اقترح عليه أحد إخوانه أن يأخذ دروساً في الإنجليزية والخط؛ بعدما وجد صعوبة في قراءة مراسلات مالكوم البريدية<sup>(٣)</sup>، والمُميّز في طريقة بناء مالكوم لثقافته كان في التدرّج الذي اتبعه في تكوينها؛ حيث بدأ بالقراءة ومراجعة الحروف الأبجدية من المعجم، ثم بدأ يكوّن حصيلةً من الكلمات، ومع كثرة مراسلاته لإخوانه وإليجاه محمد؛ تحسّنت حصيلته اللغوية التي خدمته بعد ذلك في صياغة خطاباته، كما تحسّنت خطه وإملاؤه، ثم بدأ مرحلة القراءة التي انقسمت إلى: قراءة عامة لأغلب العلوم، وقراءة تخصصية في اهتمامه الذي ناضل

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٢) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p22.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١١٨، ١١٩، مرجع سابق.

من أجله<sup>(١)</sup>؛ فيقول: (ثم خطر لي أن ألجأ إلى المعجم لتعلم بعض الكلمات، وأن أوأظب على تحسين خطي الذي لم يكن رديئاً فحسب بل كان أيضاً يزيغ عن الخط المستقيم بشكل شنيع؛ فذهبتُ إلى مكتبة السجن وطلبتُ معجماً ولوحاً وبضعة أقلام، وانزويتُ في الزنزانة وقضيتُ يومين في تقليب أوراق المعجم على غير هدى، وأذهلني عدد ما يحتويه من كلمات؛ فاحترتُ ولم أعرف من أين أبدأ، ثم شرعتُ لمجرد أن أشرع في شيء؛ أنسخ الصفحة الأولى بجهد جهيد وخط مُخلخل، نَسَخْتُهَا على اللوح بنقطها وفواصلها واستغرق ذلك يوماً كاملاً، وفي الأخير قرأتُ على نفسي ما نسخته بصوت عالٍ مراراً وتكراراً، ثم استيقظتُ في اليوم التالي مَزْهُوًّا؛ فوجدتُ ذكرى تلك المفردات في رأسي؛ فسَرَّني أنني كتبتُ كل هذه الكمية من الكلمات التي لم أكن أعلم بوجودها، فسَرَّني عملي فهجمتُ على الصفحة التالية وما بعدها؛ حتى انتهيتُ من باب حرف الألف، كنتُ مع كل صفحة جديدة أتعلم المزيد عن الأماكن والأعلام والأحداث، مع أن معجم دائرة المعارف صغير، ثم انتقلتُ إلى حرف الباء وهكذا، حتى نسختُ المعجم بأكمله خلال مدتي المتبقية في السجن؛ أي ما لا يقل -بغالب ظني- عن مليون كلمة بما فيها الرسائل<sup>(٢)</sup>.

بعد تلك المدة تمكَّن مالكوم من صياغة الخطابات لإخوانه ومن بعدهم لإليجاه محمد<sup>(٣)</sup>، ثم انتقل مالكوم بعد تلك المرحلة إلى التي تليها؛ وهي القراءة والاطلاع؛ فيقول: (وأصبحتُ قادرًا على أن أفتح كتابًا وأفهم ما فيه؛ فأقبلتُ على القراءة بنهم شديد، وأصبحتُ لا أرى إلا وفي يدي كتاب، ولم تعد هناك قوة على

(1) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p22.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٣١، ١٣٢، مرجع سابق.

(3) Malcolm x a biography, A.B. assensoh and Yvette m. alex -assensoh, p26.

وجه الأرض تستطيع أن تنزعني منه، وفتحت لي القراءة أبوابًا عجيبة، وعندما بدأت أفهم ما أقرؤه وانفتح لي ذلك العالم الجديد؛ بدأت بدوري ألتهم الكتب وأستعير فوق ما يسمح به قانون المكتبة وأقرأ أكثره في الزنزانة<sup>(١)</sup>.

لقد كان مالكوم صاحب همة عالية وحماس شديد حتى في مرحلة ما قبل إسلامه؛ فكان يثير سخطه انطفاء الأضواء ليلاً في الزنزانة، فكان يجلس على البلاط طيلة الليل ويستضيء بضوء خافت لمصباح في طرقة الزنازين، وبمجرد ما يسمع حُطى الحارس وهو يمر؛ يقفز إلى سريره ويتظاهر بالنوم إلى أن يمر، ثم يظل يقرأ حتى الثالثة أو الرابعة من صباح كل يوم، وكان لا ينام إلا ثلاث أو أربع ساعات في الليلة، وكان يقدر مدة مطالعته في الكتب بـ(١٥ ساعة) يوميًا<sup>(٢)</sup>.

لم يكتفِ مالكوم بالقراءة العشوائية، بل اهتم بتكامل ثقافته وبدأ يكون أرضية في كل مجال فكري، ثم تعمق بقوة في تخصصه والمجال الذي ناضل واستشهد من أجله - قضية السود - أو حقوق الأمريكيان من ذوي الأصل الإفريقي؛ فقرأ في تاريخ الحضارات وفي الفلسفة الغربية والشرقية، وفي الأديان والعلوم البيولوجية، وقرأ في السياسة والأدب، وتعمق بقوة في القراءة داخل قضيته؛ وهي معرفة أصل الأمريكيان السود<sup>(٣)</sup>، وكانت أغلب قراءاته بدافع إثبات فكرة شيطنة الرجل الأبيض؛ فكان يقول: (وكنت أخرج من كل واحد من هذه الكتب بمزيد من الدلالات على أن الرجل الأبيض استغل شعوب الأرض أجمعها؛ أسودها وأسمرها وأحمرها وأصفرها على حد سواء)<sup>(٤)</sup>. وكان من شدة نهمه في القراءة والبحث وإيمانه

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٣٢، مرجع سابق.

(2) Imagining Literacy: Rhizomes of Knowledge in American Culture and Literature, Ramona Fernandez, p76.

(٣) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٣٢)، مرجع سابق.

(٤) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٣٥، مرجع سابق.

بقضيته؛ يبحث في قضايا متعمقة؛ مثل: هل المسيح -عليه السلام- كان أسمر اللون أم أبيض؟! وهل كان أول إنسان مخلوق على وجه الأرض أسمر اللون أم أبيض؟!

شكّل مالكوم ثقافته بعد أن كانت شبه معدومة بسبب حياة الانحراف التي عاشها قبل سجنه، والمُميّز فيها أنه بناها بمرحلة وتأنّ، وسخّر كل ما قرأه في خدمة قضيته، وكانت مرحلة السجن من أفضل مراحل حياة مالكوم التي بنى فيها نفسه، حتى أنه قال: (ولو لم أخض تلك الحرب الضروس ضد الرجل الأبيض؛ لأمضيت بقية عمري في القراءة وإشباع رغبتني في المعرفة، ومن هذه الناحية لا أظن أن هناك شخصاً استفاد من السجن كما استفدت أنا منه؛ ذلك لأنني لم أكن لأتعلم في الجامعة القدر الذي تعلمته في السجن)<sup>(١)</sup>.

توجّ مالكوم تلك المسيرة الثقافية بإخلاصه لهدفه وأنه لم يتعلم ذلك العلم من أجل الشهرة أو الصيت ولا تقلد المناصب -مع أنه نال ذلك لاحقاً دون قصد-، ولكن من أجل بناء ثقافته وعلمه فقط؛ فيقول: (لقد غيرت القراءة مجرى حياتي تغييراً جذرياً، ولم أكن أهدف من ورائها إلى كسب أي شهادات لتحسين مركزي؛ وإنما كنت أريد فقط أن أحيًا فكرياً!)<sup>(٢)</sup>.

وكانت حِقبة السجن بمنزلة التمهيد لِمَا قبل الانطلاق؛ ففيها استعاد معاني إنسانيته واكتشف ذاته التي فقدتها في عالم الجريمة، وفيها صاغ حصيلته المعرفية التي بدأها من الصفر بداية من تعلمه الحروف الأبجدية والكلمات وانتهاءً إلى إجادته أبجديات أغلب فروع المعارف الاجتماعية، كما أن مالكوم وجد في ظل

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٧.



السجن وقتًا كافيًا لتكوين ثقافته التي بالكاد سيجمعها لو كان طليقًا؛ نظرًا لطبعه الاجتماعي ونشاطه الوافر الذي كان حتمًا سيشتت تركيزه عن التحصيل المعرفي.

## المبحث الثالث

### مرحلة (أمة الإسلام)

في عام (١٩٥٢م) أُطلق سراح مالكوم من السجن؛ ليخرج منه بشخصية أخرى غير التي دخل بها في أول سجنه؛ حيث خلع عنه رداء الجريمة وإدمان المخدرات، وارتدى حُلة العلم والثقافة والاعتقاد، حتى إنه غيّر اسمه من (مالكوم ليتل) إلى (مالكوم إكس) بعد انضمامه مباشرة إلى جماعة (أمة الإسلام) بعد خروجه من السجن ولقائه بقائدها (إليجاه محمد)<sup>(١)</sup>.

#### دخوله (أمة الإسلام):

فور خروج مالكوم من السجن ذهب إلى (ديترويت) حيث يقيم أغلب إخوته، وأقام في بيت أخيه (ويلفريد)، وفي بيت ويلفريد رأى مالكوم أول نموذج حي من تعليمات (أمة الإسلام) في ويلفريد وزوجته وأبنائه<sup>(٢)</sup>؛ فكان يراهم يتوضؤون ويصلون في هدوء ونظام، ووجدهم كل صباح يحيون بعضهم بـ(السلام عليكم)، ووجد زوجة أخيه وبناته يرتدين قمصاناً طويلة وخُمراً يغطين بها رؤوسهنّ أوقات الصلاة، وكان الجميع يواظب على صلواته كل يوم في العمل والبيت حتى الطلاب في مدارسهم<sup>(٣)</sup>.

ذهب مالكوم إلى المسجد في (ديترويت) كي يجتمع مع إخوانه من (أمة الإسلام)، وكان لذلك التجمع تأثير كبير في وعي مالكوم؛ حيث كانت أول مرة

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٣٤)، مرجع سابق.  
(2) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p33.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٤٨، مرجع سابق.

يشهد زواجًا بهذا الرقي في التعامل والاعتزاز بالهوية والاحترام؛ فيقول: (أذهلتني أخلاق المسلمين التي لم أكن قد رأيتُ لها مثيلاً بين الزوج، كان زي الرجال بسيطاً في أناقته، وكانت النساء يرتدين ثياباً طويلة ويغطين رؤوسهن بالخمر ولا يضعن أي زينة على وجوههن، وكان الأطفال مهذبين ليس مع الكبار فحسب بل مع غيرهم من الأطفال أيضاً، كنتُ لأول مرة في حياتي أرى سوداً يعتزون بهويتهم وبلونهم ويحملون الحب في قلوبهم محل الحسد والريبة، وهزنتني طريقة السلام عند الرجال؛ حيث يأخذ الرجل يد أخيه بين يديه والبسمة على شفثيه ولسانه يلهج بعبارات الفرحة باللقاء، ورأيتُ الرجال يحترمون النساء ويحترمونهن كما لم أرَ أي رجل أسود يفعل في حياتي، وكانوا يخاطبون بعضهم بعضاً بعبارات تنم عن الود والاحترام والكرامة؛ مثل: (أخي، وأختي، وسيدي، وسيدتي، إلخ) حتى الأطفال كانوا يفعلون ذلك؛ إنه حقاً شيء رائع!)<sup>(١)</sup>.

وفي تلك الجلسة كان أول لقاء لمالكوم بإليجاه محمد؛ حيث ترك فيه أثراً طيباً جعله عند حسن ظن توقع مالكوم:

أما الأثر الأول: فكان في خطبة إليجاه ذلك اليوم حين ناداه في وسط الخطبة وأمره بالوقوف، وأثنى عليه وسط الحاضرين، وحكى لهم كيف كان يتبادل الرسائل معه وهو في السجن، وأن الأخ مالكوم يتمتع برباطة الجأش، وترك الخمر والمُخدرات والتدخين والإجرام وأصبح مسلماً حرّاً، كما أضاف أنه يأمل في أن يثبت مالكوم على دينه ولا يرجع لماضيه مرة أخرى، وبالطبع كان لذلك الموقف أثره البالغ في نفس مالكوم.

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٤٨، ١٤٩، مرجع سابق.

وأما الأثر الثاني: فكان دعوة إيجاه محمد لمالكوم وأخيه (ويلفريد) عنده في البيت، وترك المساحة لمالكوم بالتحدث، وكان خلال تلك المقابلة متواضعًا وسهلاً في التعامل معه؛ ما ترك أثرًا إيجابيًا في نفس مالكوم وصار يحدثه عن رغبته في توسيع قاعدة جماعة (أمّة الإسلام)، ووافق إيجاه محمد على التحرك لتحقيق تلك الرغبة ونصّحه بالتركيز على صغار السن<sup>(١)</sup>.

وكتب مالكوم إلى فرع شيكاغو لطلب عضوية في (أمّة الإسلام)، فاستلم منهم بطاقة عليها اسمه الجديد (مالكوم إكس) وهو الاسم الذي عُرف به حتى مماته، وصار من بعدها عضوًا في تنظيم (أمّة الإسلام)<sup>(٢)</sup>؛ حيث يقول: (جاءتني بطاقة عضوية أمّة الإسلام وعليها حرف (إكس) الذي يرمز إلى اسمنا العائلي المجهول الذي عوّضه أحد الشياطين البيض باسمه (ليتل)، اسم الاسترقاق المفروض على جدنا الأبعد، وهكذا أصبحت منذ اليوم لا أعرف في تنظيم أمّة الإسلام إلا بـ(مالكوم إكس)، وبعدهما قال لنا السيد إيجاه محمد بأن هذا هو اسمنا الذي سنحيا ونموت به)<sup>(٣)</sup>.

### مساره الدعوي:

بدأ مالكوم حياته الدعوية خارج السجن بعد دخوله (أمّة الإسلام)، وتعرفه على (إيجاه محمد) وطلب منه الإذن في الدعوة وتوسيع القاعدة العددية لـ(أمّة الإسلام)، واستثمر مالكوم إمكاناته التي اكتسبها إبان عمله في الملاهي الليلية واختلاطه بالزئوج بكل طبقاتهم، فكان يعرف الطرق المناسبة لاجتذاب كل فرد

(1) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p34.

(2) Racism in the autobiography of Malcolm x, Candice Mancini, p24.

(3) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٥٢، مرجع سابق.

لكلامه وأفكار (إليجاه محمد)؛ فكان ينزل لأماكن انتشارهم في الملاهي الليلية والحانات والمنعطفات، وكان يسمي عملية اجتذاب السود إلى مساجد الأمة بـ(الصيد)، وكان يدعوهم لحضور اجتماعات (أمة الإسلام)، فكان بعضهم يحضر، ومع الوقت ازداد عدد القافلة الدعوية التي ينزل بها مالكوم، حتى بلغ عددها (٢٥ سيارة)، حتى بلغ أمر اجتهاده إلى (إليجاه محمد)، وراق له ذلك حتى قرر شكره شخصيًا<sup>(١)</sup>.

قضى مالكوم تلك المدة في الدعوة إلى أفكار (أمة الإسلام) والتعلم من (إليجاه محمد) عن طريق مرافقته وزيارته في بيته بشكل شبه يومي، وازداد ارتباط مالكوم به حتى أرسله إلى (بوسطن) في مهمة دعوية للقاء ببعض الإخوة من (أمة الإسلام) وتنظيم الأمور في (المسجد الحادي عشر)<sup>(٢)</sup>، وبعد تلك اللقاءات استغل مالكوم الفرصة ليدعو أصدقاءه القدامى في عالم الجريمة في بوسطن؛ فلم يجد أي مردود لكلامه، وبعد زيارته لبوسطن توجه في مهمة بعدها إلى (فيلادلفيا) حيث قام بفتح (المسجد الثاني عشر) بها<sup>(٣)</sup>.

وبعد تلك المهمات التي أثبت بها مالكوم جدارته وإمكاناته في حمل أفكار (أمة الإسلام) ونشرها؛ عينه (إليجاه محمد) مفوضاً في أهم مسجد من مساجد (أمة الإسلام) وهو (المسجد السابع) في نيويورك<sup>(٤)</sup>، وكانت مدينة زاخرة بالزنج، وبمجرد وصول مالكوم إلى (هارلم) في نيويورك سعى لمقابلة من كان

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٢) كانت المساجد في (أمة الإسلام) تُسمى بالأرقام حسب تسلسل بنائها. انظر: Biography of

.Malcolm x, Michael Benson, p38

(3) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p37.

(٤) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٣٧)، مرجع سابق.

يعرفهم في عالم الجريمة لدعوتهم، ولكن لقي منهم القليل وللأسف لم يُوفَّق في دعوتهم، وبالرغم من اختلاف شكله؛ فإن الناس قد عرّفوه وذاع أمره وسط من يعرفهم بإسلامه وامتناعه عن المُخدِّرات والخمر؛ ما أسهم في تغيير صورته الذهنية عند أغلب الناس في (هارلم)<sup>(١)</sup>.

سعى مالكوم في توسيع قاعدة (أمة الإسلام) في نيويورك بشكل كبير؛ عن طريق حُطبه التي كان يهاجم فيها الرجل الأبيض ويكشف فيها للسود حقائق الاستعباد التي مُورِست على أسلافهم من العبيد؛ فتنامى عدد الأعضاء الجدد، وبالتوازي كان ينطلق في مهام دعوية أخرى؛ مثل (الخطب الدعوية في ولايات أخرى، أو تأسيس مساجد جديدة)، وازدادت ثقة (إليجاه محمد) بمالكوم للدرجة التي فُرِّغ فيها للدعوة وخصّصت له سيارة وراتب شهري؛ حيث يقول مالكوم: (كانت ثقة السيد محمد بي تزداد يوماً بعد يوم، فكنت أترك نومي في سبيل الدعوة لأكون عند حسن ظنه، وفي عام (١٩٥٦ م) أعطى موافقته لمسجدنا السابع لشراء سيارة توضع رهن إشارتي، وكانت (أمة الإسلام) تدفع لي تكاليف معيشتي ومصروفاتي، كما كانت تفعل مع غيري من باقي رجال الدين، ذلك المال الذي كنت في الماضي مستعداً لفعل أي شيء من أجله؛ ها هو الآن قد أصبح آخر ما يخطر على بالي، وقطعتُ بتلك السيارة في طريق الدعوة حوالي (٣٠ ألف) ميل خلال أشهر)<sup>(٢)</sup>.

كان مالكوم صاحب همة عالية في الدعوة، شَهِد له بها كلُّ مَنْ حوله؛

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٦٤، مرجع سابق.  
(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٧١، ١٧٢، مرجع سابق.



حيث يقول (وارث الدين محمد)<sup>(١)</sup> ابن (إليجاه محمد): (تكمن قوة مالكوم في إيمانه بشيء ما، فيمنح هذا الشيء كل طاقته؛ كان يعمل ليلاً ونهاراً من أجل أمة الإسلام). ويقول أخوه (ويلفريد): (كان مالكوم ينام حوالي (٤ ساعات)، ومرات عديدة لم يكن يحصل عليها، وكنت أتعجب كيف يملك الحفاظ على ذلك الإنجاز والمداومة عليه يوماً بعد يوم، إنه إنسان تناغم مع الحياة بطريقة لا يفوته منها أي شيء)<sup>(٢)</sup>.

وفي عام (١٩٥٨م) أعلن مالكوم زواجه من أخت في (أمة الإسلام) وهي (بيتي إكس)<sup>(٣)</sup>، وكان شديد الحساسية في مسألة اختيارها؛ حيث كان صاحب موقف هجومي في بعض الأحيان على المرأة، وكان يرى أن الزوجة غير المناسبة لرجل قيادي هو إنهاء لمسيرته، وكانت خبراته القديمة مع المرأة في زمن الجريمة قد شكلت تصوراً مشوّهاً عن المرأة وعلاقتها بالرجل، فكان شديد الحساسية في مسألة اختيار من سيرتبط بها، إلى أن التقى بالأخت (بيتي) وعرض عليها أمر الزواج بعد استشارة (إليجاه محمد)؛ فأخبره برضاه عن الأمر ونصحه بحسم الموضوع<sup>(٤)</sup>.

---

(١) وُلد وارث الدين في شيكاغو عام (١٩٣٣م)، وهو الابن السابع لإليجاه محمد؛ درس في مدرسة (أمة الإسلام) ودرس في جامعة (الإسلام)، وعمل داخل الحركة كمسؤول لمعهد (فيلادلفيا)، وحُكم عليه عام (١٩٦١م) بالسجن لمدة ثلاث سنوات لرفضه الخدمة العسكرية، وفي داخل السجن بدأ يدرس الإسلام الصحيح، وبعد خروجه من السجن انشق عن والده، ولكنه عاد بعد وفاة مالكوم إكس إلى التنظيم، وحاول أن يعيد التنظيم إلى الإسلام الصحيح لكنه فشل، وتم تعليق عضويته ثلاث مرات بسبب آرائه المخالفة لمعتقدات التنظيم. انظر: إدريسي، عزيز الكبيطي. التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية - مظاهر حضور التصوف المغربي وتأثيراته، دار الكتب العلمية، ص ٣٨.

(٢) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٤٢)، مرجع سابق.

(٣) اسمها الأصلي (Dean Sanders)، واشتهرت باسم (بيتي شبار).

(٤) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٧٢، ١٧٥، مرجع سابق.

وبعد مجهودات مالكوم في توسيع القاعدة العددية لـ (أمّة الإسلام)، ونظرًا لقدراته التنظيمية والقيادية؛ أصبح اسمه في عام (١٩٥٩ م) هو الاسم الأكثر بروزًا في (أمّة الإسلام) بعد (إليجاه محمد)<sup>(١)</sup>، وقد زاد القوة العددية للتنظيم من بضع مئات إلى ما يزيد على (٣٠ ألف عضو) في (١٥ ولاية) على مستوى الولايات المتحدة<sup>(٢)</sup>، وسعى مالكوم لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الوظائف والمهن الخاصة؛ وعن ذلك يقول (وارث الدين محمد): (كانت الستينيات أفضل أيام أمّة الإسلام على الإطلاق، كنا نفتح المطاعم ومتاجر البقالة، ونرى منافسة صحيفة التنظيم مع الصحف الأخرى)<sup>(٣)</sup>، وكان ربيع المتاجر السنوية يمثل دخلًا مهمًا للتنظيم؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر: إن ربيع متاجر المسجد السابع في هارلم (٢٣ ألف دولار)، ومتاجر المسجد الثاني في شيكاغو (١٤ ألف دولار)<sup>(٤)</sup>.

بدأ مالكوم في تأسيس منبر إعلامي لـ (أمّة الإسلام)؛ ففي البداية سمح لهم رئيس تحرير صحيفة (Amsterdam News)<sup>(٥)</sup> الأسبوعية بتخصيص مقال للتنظيم يكتبه مالكوم بنفسه أسبوعيًا حتى نقله لإليجاه محمد ليكتبه بنفسه، ونقل مالكوم عموده إلى صحيفة أخرى، ولكن طموح مالكوم لتأسيس صحيفة خاصة بالتنظيم جعله يزور مقر صحيفة (The Herald-Dispatch)<sup>(٦)</sup> في (لوس

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٤٤)، مرجع سابق.

(2) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p49.

(٣) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٥٣)، مرجع سابق.

(4) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p49.

(٥) صحيفة أمريكية أسبوعية تصدر من (هارلم)، وهي موجهة إلى الأمريكان ذوي الأصل الإفريقي.

(٦) صحيفة يومية تخدم مدينة (Huntington) والمجتمعات المجاورة في جنوب أوهايو وشرقي كنتاكي.

أنجلوس) والاطلاع على مراحل إعدادها، ولما رجع إلى نيويورك بدأ يؤسس صحيفة (محمد يتكلم / muhamed speaks)، وكانت تجمع جميع أخبار وأنشطة (أمّة الإسلام)، وبدأ أعضاء التنظيم يوزعونها ويبيعونها في الحوارية الزنجية<sup>(١)</sup>.

لقد أوصل مالكوم (أمّة الإسلام) إلى مكانة رفيعة، ووسّع قاعدتها العددية، وعرّف وسائل الإعلام الأمريكية كلها بها؛ وذلك بفضل مجهوداته وسعيه الحثيث في نشر أفكارها، ويروي مالكوم طرفاً من ذلك النجاح قائلاً: (وحققت تجمعاتنا نجاحاً منقطع النظير؛ فبعدما كان مسجدنا الصغير في (ديترويت) يتعب في جمع (١٠ سيارات) ليرسلها إلى شيكاغو؛ بدأت مساجد الساحل الشرقي - قديمها وحديثها - ترسل ما بين (١٥٠ - ٢٠٠) حافلة إلى مقر التجمعات لمشاهدة (إليجاه محمد)، وكانت الحافلات تطوي الطرق وتعبر المدن، وفي كل واحدة اثنان من فتیان (ثمرة الإسلام)، وعليها لافتات كبيرة تعلن عن هويتها ووجهتها، زد على ذلك مئات المسلمين والفضوليين الذين كانوا يأتون بسياراتهم الخاصة أو في وسائل النقل العمومي)<sup>(٢)</sup>.

### الظهور الإعلامي لمالكوم:

ظهور (أمّة الإسلام) إلى الساحة الإعلامية وتسليط الضوء على مالكوم - لكونه المتحدث الرسمي باسمها -؛ ترتب عليه عدة حوادث وقعت بين الشرطة وأعضاء من (أمّة الإسلام)؛ أولها عام (١٩٥٧م) حادثة الأخ (Johnson Hinton)<sup>(٣)(٤)</sup>.

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٨١، مرجع سابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(٣) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٤٤)، مرجع سابق.

(٤) الأخ (Johnson Hinton) هو عضو في (أمّة الإسلام)؛ أصيب بكسر في الجمجمة في أثناء =

جاء الخبر لمالكوم أن الأخ (Johnson) يحتضر في مركز الشرطة؛ فعلى الفور طلب مالكوم أعضاء (أمّة الإسلام)، ولم يمضِ نصف ساعة حتى كان حوالي (٥٠) منهم واقفين أمام مركز الشرطة في صفوف منتظمة، وانضم إليهم بعض السود؛ فأصبحت تظاهرة كبيرة، ودخل مالكوم مركز الشرطة لرؤية الأخ ولكنهم لم يسمحوا لمالكوم برؤية الأخ إلا بعد ضغط المتظاهرين، وكان في شبه غيبوبة والدم يغطي وجهه، فأمرهم مالكوم أن ينقلوه إلى المستشفى، فطلبوا له سيارة الإسعاف وأخذته إلى مستشفى (هارلم)، وتبعه أنصار التنظيم جماعات حتى أوصلوه إلى المستشفى، بعدها أعطى مالكوم الإشارة إلى أعضاء التنظيم بالانصراف فانصرفوا، وأجريت العملية للأخ (Johnson)، وعندما خرج من المستشفى ساعدته (أمّة الإسلام) على متابعة شرطة نيويورك وصدر الحكم ضدها بغرامة تقدر بـ (٧٠ ألف دولار)، كان هذا الحدث كفيلاً أن يجعل (أمّة الإسلام) ومالكوم همًا حديث الساعة في نيويورك وفي باقي الولايات، وبعدها تصدّر هذا الخبر الصفحات الأولى في الجرائد اليومية والأسبوعية؛ ما جعل (أمّة الإسلام) حديث الساعة وجعل لها شعبية، لا سيما داخل السود<sup>(١)</sup>.

وفي عام (١٩٥٩م) تمت إذاعة فيلم وثائقي بعنوان (الكراهية التي ولدت الكراهية/ Hate that generated hatred)، وكان الفيلم يبرز الوجه العنصري لـ (أمّة الإسلام)، وأظهر الفيلم (إيجاه محمد ومالكوم) يخطبان في المسلمين السود، وأبرز الفيلم الكلمات العنصرية في خطبهم، كما عرض الفيلم نشاط فتیان

---

=فض قوات الشرطة نزاعاً نشب بين بعض الزوج، وتفريق المارة الذي كان (Johnson) في وسطهم، وضربه شرطيّ بالهراوة على رأسه فأصيب، وبعدها وُضع في سيارة الشرطة وذهبوا به إلى المركز.

(1) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p42, 43.

(ثمرة الإسلام)، والأخوات المحجبات من كل الأعمار يرتدين الزي الأبيض، كما عرض مطاعمهم ومتاجرهم التي تمنع بيع الخمر ولحوم الخنزير، وكانت ردات الفعل عنيفة على ذلك الفيلم؛ حيث ظهرت عدة توصيفات لـ (أمة الإسلام ومالكوم)؛ منها: (مُلَقَّنو الكراهية، ودُعاة العنصرية السوداء، والفاشيون السود، والباحثون عن العنف، ورُسل الكراهية)<sup>(١)</sup>.

ازداد ظهور مالكوم في اللقاءات التلفازية ممثلًا (أمة الإسلام)، وكتبت عنه الصحافة، وشارك في كثير من المناظرات التلفازية والإذاعية والصحفية، وكان يشتهر بردوده اللاذعة والمنطقية التي يرد بها على أسئلة المذيعين المستفزة له بعض الأحيان؛ وعن ذلك يقول (وارث الدين محمد): (كنا نشاهد مالكوم على التلفاز كثيرًا، كنا فخورين به، برأيي كان يقوم بعمل ممتاز في أثناء تمثيله للسيد إيلجاه محمد وأمة الإسلام)<sup>(٢)</sup>، كما يروي مالكوم انشغاله بتلك اللقاءات والتصريحات قائلاً: (وكان جهاز الهاتف في مطعم مسجدنا الصغير لا يهدأ، وسماعته لا تفارق أذني، وكنت أسمع وأكتب لممثلي الإعلام ردنا على تصريحاتهم واتهاماتهم الموجهة لنا، وجرح حلقي من كثرة ما كنت أرفع صوتي!)<sup>(٣)</sup>، وفي عام (١٩٦٠م) أجرت صحيفة (New York Times) الأمريكية استطلاعًا للرأي؛ تبين منه أن مالكوم هو ثاني أكثر شخصية مطلوبة للجماهير في الجامعات بعد السيناتور (Barry Goldwater)<sup>(٤)</sup>، وفي ذلك الوقت خطب مالكوم في حوالي (٥٠ جامعة)

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٨١، ١٨٢، مرجع سابق.

(٢) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٥٣)، مرجع سابق.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٨٣، مرجع سابق.

(٤) سياسي وضابط أمريكي؛ وكان عضوًا في الحزب الجمهوري، وكان عضوًا في مجلس الشيوخ الأمريكي.

داخل الأراضي الأمريكية، قبل أن يكون مطلوبًا في جامعات أخرى عالمية في (لندن، وفرنسا)<sup>(١)</sup>، وفي تلك الأوقات أوفده إليجاه محمد في رحلة طويلة إلى (مصر، والسعودية، وإيران، وسوريا، وغانا)، وكان من المفروض أن يزور مكة، لكنه اضطر إلى العودة بسبب مرضه.

كان لهذا الظهور الإعلامي لـ (ماكولم، وأمة الإسلام) تبعات أمنية؛ فوضعت الشرطة هواتف «الأمة» و«مالكوم» تحت المراقبة؛ فيقول مالكوم: (وأصبحنا مراقبين وأصبحتُ محادثاتنا الهاتفية تحت الاستماع ولا يزال ذلك الشأن معي إلى الآن، فلو أنني قلت مثلًا في الهاتف: (بيتي) إنني سألغم منطقة ما؛ لأصبحت تلك المنطقة مُطَوَّقة بالشرطة في ظرف خمس دقائق، كما أنني كنت أتعرف في تجمعاتنا على وجوه المُخبرين التابعين للشرطة الفيدرالية وباقي الوكالات الأخرى، وكانت الشرطة المحلية والفيدرالية تأتي إلينا وتستجوبنا في بعض الأحيان)<sup>(٢)</sup>، وقد أدلى شرطي<sup>(٣)</sup> كان يعمل في شرطة نيويورك بشهادته قائلًا: (إنَّ بعد حادث الأخ (Johnson) برزت أهمية مالكوم لدى جهاز الشرطة، وأصبح مراقبًا لأهمية تأثيره على حركة أعضاء تنظيم أمة الإسلام)<sup>(٤)</sup>.

احتضنت (أمة الإسلام) مالكوم إكس (١٢) عامًا احتضانًا كبيرًا بعلاقة نفعية متبادلة؛ فكان لها بمنزلة ذلك ورقة الحظ الراححة التي كانت سببًا في ذياع صيتها ورفعة مكانتها بسبب خطبه ومجهوداته الدعوية الكبيرة داخل الولايات المتحدة

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢١٤، مرجع سابق.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٩٧، مرجع سابق.

(٣) اسمه: روبرت مانغوم؛ وفقًا للفيلم الوثائقي الذي في المرجع التالي.

(٤) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٤٦)، مرجع سابق.



وخارجها، ولكن سرعان ما عكَّرتَها عدة أحداث كانت سببًا في قطع الحبل السُّري بين مالكوم والجماعة، بل كانت سببًا في المُعاداة وليس القطع فحسب؛ وهذا ما سيُشرَح في المبحث القادم.

## المبحث الرابع تغيير أفكاره واغتياله

كان لتصدُّر مالكوم في الساحة الإعلامية كممثل لـ(أمة الإسلام) وبروزه في بضع سنين كأحد رموز النضال الحقوقي؛ ثمن من حقد وضغينة بعض رفاقه في التنظيم، ولا سيما أن (إليجاه محمد) قد تدهورت صحته؛ وترتب على ذلك توسُّع صلاحيات مالكوم بشكل كبير داخل (أمة الإسلام)، ولم تكن لتلك الصلاحيات صداها الإيجابي على مالكوم، بل سببت له عداوات داخل التنظيم؛ أدت به في النهاية إلى تركها! وقد فوجئ مالكوم في عام (١٩٦٢م) أن أخباره في صحيفة (محمد يتكلم) بدأت تقل بشكل ملحوظ! وقد كان ابن إليجاه محمد (هيربرت)<sup>(١)</sup> مشرفاً عليها حينئذ، وأصبحت الصحيفة تنقل أخبار زعماء الحركات الأخرى المخالفين لهم في الأيديولوجية<sup>(٢)</sup>، وفي الوقت ذاته كانت الصحف العالمية تنقل أخبار مالكوم وتصريحاته، كان ذلك الموقف أول المواقف التي أثارت ريبة مالكوم؛ أن ثمة شيئاً ما يُرتب ضده، وظهر ذلك بقوة في قلة الاحتفاء به من قِبَل إدارة التنظيم في عدة فعاليات نظمتها (أمة الإسلام)<sup>(٣)</sup>.

(١) كان رجل أعمال ومؤسساً مشاركاً لشركة (Top Rank)، وكان المدير القديم للملاكم الأسطوري محمد علي كلاي، وهو الابن الثالث لإليجاه محمد، وشغل منصب كبير مستشاري والده حتى رحيله عام (١٩٧٥م)، كما عمل كمدير أعمال رئيس لـ(أمة الإسلام).

(٢) مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمة أو حزب أو جماعة.

(3) The Lost-Found Nation of Islam in America, Clifton E. marsh, The scarecrow press, ch5, p58.

وقد حلَّ مالكوم تلك التصرفات؛ فقال: (لقد كنتُ أحب أُمَّة الإسلام والسيد إلیجاه محمد وأعيش لهما؛ فأثار ذلك أحقاد باقي المسؤولين عليّ؛ لأنه كان يؤدي إلى ظهور صورتي باستمرار في الصحافة اليومية، لم يكونوا يدركوا أن السيد إلیجاه لا يمكنه أن يعبر البلاد من أقصاها إلى أدناها كناطق رسمي باسم نفسه، وأن الشخص الذي كلّفه بتلك المهمة لم يكن بمقدوره أن يرد عنه الأضواء)<sup>(١)</sup>.

وفي عام (١٩٦٣م) أوردت صحف أمريكية كبرى خبراً مفاده أن (إلیجاه محمد) متهم من قبل امرأتين كانتا تعملان معه سكرتيرتين؛ اتهمتا بأنه أب لأولادهما الأربعة من الزنى، وقد أكدت السكرتيرتان (الآنسة روزاري، والآنسة وليامز)، وكتاهما دون الثلاثين، أنهما في علاقة معه منذ عام (١٩٥٧م)، وكان الأمر قد لوحظ على الفتاتين في أول الأمر، وقد ظهرت عليهما أعراض الحمل، وقد تعرّضتا لمحاكمة قبل كشف الأمر؛ نتج عنها مقاطعتهما مدة تراوحت ما بين (١-٥) سنوات<sup>(٢)</sup>.

كان لهذا الحدث أثر نفسي كبير على مالكوم للدرجة التي ينتابه فيها الفزع لمجرد التفكير فيه، ومثّل عليه ضغطاً شديداً عندما تسرّب الخبر لأعضاء التنظيم والصحافة؛ فيروي مالكوم: (علمتُ أن عدداً كبيراً من المسلمين قد هجر مسجد (شيكاغو)، وكانت الفضيحة الشنيعة قد بدأت تنتشر حتى بين الزوج غير المسلمين، فخفت أن تصل إلى الصحفيين السود أو البيض، ولا سيما أن الجميع كان بالمرصاد للنيل من (أُمَّة الإسلام)، حتى بدأت أعيش في كوابيس وأرى

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٢٤، مرجع سابق.  
(2) The Lost-Found Nation of Islam in America, Clifton E. marsh, The scarecrow Press, ch5, p57.

الفضيحة في عناوين الأخبار، ولم يكن هناك صحفي واحد يقترب مني ويقول:  
هل ما سمعناه صحيح يا سيد مالكوم؟! وماذا كان بإمكانني أن أقول؟! (١).

عاش مالكوم حالة الحيرة بين مطرقة إنقاذ إيجاه وسندان الفضيحة التي تسبب  
فيها للتنظيم الذي بذل مالكوم له الغالي والنفيس من الوقت والجهد؛ فتواصل  
مع سكرتيرتي إيجاه السابقتين، وخرق بذلك الحُكم الذي أُصدر بحقهما سلفاً،  
وسمع منهما قصة علاقتهما بإيجاه كاملة، واعترفتا له بغيرة إيجاه منه؛ حيث كان  
يعتقد أن مالكوم يمثل خطراً كبيراً عليه، وكان يخطط لعزله خوفاً من انقلابه عليه  
مستقبلاً (٢).

وتوجّه بعد ذلك مالكوم لزيارة إيجاه في (أريزونا) (٣) لمواجهته بذلك  
وأخبره عما سمعه؛ فأقرّ إيجاه بتلك الوقائع ورفض نفيها، وقدم تبريرات غريبة  
من ضمنها أن ما حدث هو من متممات النبوة! واستحضر له كلاماً من العقائد  
اليهودية المُحرّفة؛ مثل: (وقوع بعض الأنبياء في الفاحشة - بحسب زعمهم-)،  
وهو ما أظهر مالكوم أنه مقتنع بتلك الحُجة، وجاهد نفسه في محاولة إقناع نفسه  
ورفاقه، لكنه لم يستطع (٤).

ولا يزال مالكوم يدرس كيفية التعامل مع الفضيحة، حتى حدث اغتيال الرئيس  
الأمريكي (جون كينيدي) في (٢٢/ نوفمبر/ ١٩٦٣ م)، وعقب ذلك الحدث صرّح  
مالكوم تصريحاً مثيراً للجدل فيما يتعلق بمقتل كينيدي: (إن الإنسان لا يحصد إلا

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٢٦، مرجع سابق.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٢٧، مرجع سابق.

(٣) لاية في المنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة، وهي أيضاً جزء من غرب الولايات

المتحدة والولايات الجبلية الغربية.

(4) The Lost-Found Nation of Islam in America, Clifton E. marsh, Thescarecrow  
press, ch5, p57, 58.

ما زرعه، وإن الحقد سلاح فتاك يترد إلى نحر صاحبه)، واحتل تصريحه العناوين الرئيسية في الصحف اليومية ونشرات الأخبار في الولايات المتحدة، في حين أعلنت (أمّة الإسلام) الحداد العام على مقتل الرئيس وتبرؤها من تصريحات مالكوم، وأنها قيلت على مسؤوليته الشخصية، وبعدها بيوم التقى بإليجاه في منزله وحكّم عليه بالتزام الصمت لمدة (٩٠ يوماً)؛ بسبب عصيانه بإليجاه في عدم إعلان أي تصريح بخصوص حادثة الاغتيال<sup>(١)</sup>.

استسلم مالكوم لأمر إليجاه وصرّح بعدها بأنه أخطأ في تصريحه عن مقتل (كينيدي) وأنه ممثّل لقرار (أمّة الإسلام)، وظن مالكوم أن أمر عقوبته هي مسألة داخل التنظيم وبعيدة عن التغطية الإعلامية، إلا أنه فوجئ باتصالات من أغلب الصحف والقنوات المحلية والدولية، ونشرت الصحف في اليوم التالي عناوينها الرئيسية بعنوان (إسكات مالكوم إكس)<sup>(٢)</sup>، واكتشف مالكوم بعد ذلك أن (إليجاه) وإدارة (أمّة الإسلام) بنفسها هي من أبلغت الوكالات الإخبارية والصحف بخبر إسكاته، وكان مالكوم يظن أن قرار إسكاته كان عن الإدلاء بالتصريحات الإعلامية فقط، لكنه فوجئ بأنه ممنوع من الاتصال بأي عضو من تنظيم (أمّة الإسلام)، وأدرك حينها أن كل ذلك مقدمات لطرده وفصله من (أمّة الإسلام)، ولم يقتصر الأمر على فضله وحسب، بل اعترف له أحد المقربين بعد ذلك أن التنظيم قد أمر بتفخيخ سيارته!<sup>(٣)</sup>.

وعن حادثة التفخيخ يروي مالكوم: (جاءني أول تهديد بالقتل من شخص كان من أقرب من عملوا إلى جانبي في المسجد (السابع) بنيويورك، ثم كلف

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٠٠:٢٣:٠١)، مرجع سابق.

(٢) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٠٠:٢٤:٠١)، مرجع سابق.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٣١، مرجع سابق.

أحد مساعديَّ الآخرين؛ نظرًا لخبرته في أعمال التخريب بوضع قنبلة في سيارتي بحيث تنفجر بمجرد تشغيل المحرك؛ وكانت محاولة قتلي هذه هي الحد الفاصل الذي تم به الطلاق السيكولوجي<sup>(١)</sup> بيني وبين أمّة الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وفي (٨ / مارس / ١٩٦٤ م) أعلن مالكوم ترکه (أمّة الإسلام)، وشكّل مُنظّمته الجديدة التي تسمى بـ(المسجد الإسلامي الموحّد)، ولحقه في مُنظّمته الجديدة المنشقون عن (أمّة الإسلام)؛ حيث يقول مالكوم عن مُنظّمته الجديدة: (إنني أنوي تنظيم مسجد في (نيويورك) وترؤسه؛ هذا المسجد يحمل اسم (المسجد الإسلامي الموحّد)، ويكون لنا بمنزلة قاعدة دينية نستمد منها القوة الروحية التي نحتاج إليها لانتشال قومنا من الرذائل التي تنخر في أجسامهم، وأعلنتُ أن المسجد سيكون مقره في فندق (تيريزا) في (هارلم)، وأنا سنطبق فيه برنامج عمل يهدف إلى مناهضة ما يتعرض له (٢٢ مليونًا) من الأفروأمريكيين من تعسّف سياسي واستغلال اقتصادي وتردّد اجتماعي)<sup>(٣)</sup>.

### رحلة الحج:

وفي تلك المرحلة تعرّف مالكوم على الدكتور (محمد يوسف الشواربي)<sup>(٤)</sup>، وعرض عليه الدكتور الشواربي فكرة الحج، وكان مالكوم بالفعل يفكر في الحج منذ مدة؛ فدبّر نفقات السفر من أخته (إيلا) التي كانت تتبنى عقيدة الإسلام

---

(١) حالة يعيش فيها الزوجان منفردين عن بعضهما بعضًا رغم وجودهما في منزل واحد، ويعيشان في انعزال عاطفي؛ ونتيجة لذلك تصاب الحياة الزوجية بينهما بالبرود وغياب الحب والرضا.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٣٧، مرجع سابق.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٤٣، مرجع سابق.

(٤) شغل منصب مستشار في الأمم المتحدة، وكان يشغل منصب مدير جامعة الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا، واشتهر بكتاب (الإسلام والمسلمون في أمريكا).



الصحيح وقتها، وحصل على تزكية من الدكتور الشواربي إلى القنصلية السعودية لتسهيل حصوله على تأشيرة الحج، وزوّده الدكتور الشواربي بأرقام الدكتور (عبد الرحمن عزام)<sup>(١)</sup> وابنه (عمر عزام) لزيارتهما في مدينة جدة بالسعودية<sup>(٢)</sup>.

وفي (يوليو/ ١٩٦٤م) سافر مالكوم إلى القاهرة يومين وقابل خلالهما شيخ الأزهر ومفتي مصر، ومنها انطلق إلى جدة ثم مكة لتأدية فريضة الحج، وفي الحج اكتشف مالكوم ما كان فيه من الخطأ في الاعتقاد والأفكار العنصرية التي يؤمن بها؛ فيقول في الخطاب الذي أرسله لزوجته (بيتي) من مكة: (خلال سفري في العالم الإسلامي قابلتُ وكلمتُ بل أكلتُ مع رجال يُعدّون بيضاً في أمريكا ولكن الإسلام محا الموقف الأبيض من سلوكهم، ورأيت لأول مرة في حياتي أناساً من كل الألوان لا ينظرون إلى ألوانهم ويعيشون في إخاء صادق حقيقي، وما رأيته وعشته في هذه الحجة قلب أفكاري وجعلني أتخلص بسهولة من بعض استنتاجاتي القديمة)، وذيل توقيع خطابه بلقبه الجديد الذي لُقّب به نفسه بعد الحج (مالك الشباز)<sup>(٣)</sup>.

وبعد انتهاء مالكوم من فريضة الحج ومقابلة الملك فيصل بن عبد العزيز<sup>(٤)</sup> -ولي العهد حينها- وتكريمه له؛ توجه إلى بيروت وألقى هناك محاضرة في

---

(١) صهر الملك فيصل بن عبد العزيز وأحد مستشاريه المقربين.

(2) Malcolm X: From Political Eschatology to Religious Revolutionary, dustin j.byrd, sayed javad miri, p349.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٤٧، ٢٦١، مرجع سابق.

(٤) ملك المملكة العربية السعودية الثالث، والابن الذكر الثالث من أبناء الملك عبد العزيز آل سعود؛ تولى مقاليد الحكم بعد تنحي أخيه غير الشقيق عن حكم الملك سعود بسبب أمراضه المتعددة، وشهد عهده الكثير من الأحداث؛ أبرزها قيامه بقطع النفط عن الولايات المتحدة الأمريكية وكل الدول الداعمة والموالية لإسرائيل، كما جهر برفضه الشديد إقامة موطن لليهود في فلسطين.

الجامعة الأمريكية، ومنها ذهب إلى جولة إفريقية زار فيها ( ١١ دولة)، التقى فيها ببعض رؤساء تلك الدول وخطب في برلماناتها؛ أبرزها كانت (نيجريا، وغانا، والسنغال، والمغرب، والجزائر)، كما التقى ببعض الوزراء والسفراء<sup>(١)</sup>، ثم عاد بعد تلك الجولة إلى (نيويورك) وهناك في مطار (كيندي) حَظِيَ بأكبر مؤتمر صحفي في حياته، أعلن فيه عن أفكاره الجديدة وتوجُّهاته تجاه قضية السود في أمريكا، وأكد خلال المؤتمر سُنِّيَّةَ مذهبه؛ حيث قال: (أرجو أن يُثبِت حجي بصفة نهائية انتماء مسجدنا إلى الـ (٧٥٠ مليوناً) من المسلمين السُّنة الموجودين في العالم)، كما أكد خطأ اعتقاده بإدانة كل ما هو أبيض مقتنعاً أن لون الإنسان ليس له علاقة بسلوكه؛ فقال: (نعم؛ كنت أدين البيض كلهم بشدة، ولكنني اكتشفت الآن أن هناك بيضاً قادرين على أن يُكِنُّوا للإنسان مشاعر أخوة صادقة، ولقد فتح الإسلام الصحيح عيني على أن إدانة كل البيض كإدانة البيض للسود؛ شيء خاطئ)<sup>(٢)</sup>.

وبعد مدة رجع مالكوم إلى إفريقيا مرة أخرى؛ قضى فيها (١٨ أسبوعاً) قابل فيها عدة رموز إفريقية؛ مثل (الرئيس المصري: جمال عبد الناصر<sup>(٣)</sup>، والرئيس التنزاني: جيوليوس نيريري<sup>(٤)</sup>، والرئيس النيجيري: نامدي أزيكيوي<sup>(٥)</sup>، ودبلوماسيين آخرين)، وطلب مساندة تلك الدول في رفع قضية السود في أمريكا

(1) Black Crescent: The Experience and Legacy of African Muslims in the Americas, Michael A. Gomez, cambridge university press, Michael A Gomez, p352.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٧٩، مرجع سابق.

(٣) ثاني رؤساء مصر، تولى السلطة من سنة (١٩٥٦ م) إلى وفاته (١٩٧٠ م).

(٤) رئيس تنزانيا من عام (١٩٦٤ م) إلى تقاعده عام (١٩٨٥ م)، وقاد نيريري الحركة التي أدت إلى

استقلال (تنجانيقا) عن (بريطانيا) عام (١٩٦١ م)، وقد أصبح رئيساً لتنجانيقا عام (١٩٦٢ م)،

كما ساعد أيضاً في اتحاد (تنجانيقا وزنجبار) لتكوين (تنزانيا) عام (١٩٦٤ م)؛ فأصبح رئيس

الدولة الجديدة.

(٥) أول رئيس لنيجيريا، وقد تولى الحكم خلال (١٩٦٣ م - ١٩٦٦ م).

إلى هيئة الأمم المتحدة<sup>(١)</sup>، وفي (فبراير/ ١٩٦٥ م) حاول مالكوم دخول فرنسا ولكن السلطات الفرنسية منعتة من الدخول؛ لأنها تعلم بمخطط اغتياله على أراضيها؛ فعاد سريعاً إلى نيويورك<sup>(٢)</sup>.

### اغتيال مالكوم:

في تلك الأوقات بدأت (أمة الإسلام) في ملاحقة وتهديد مالكوم بالاغتيال، وكانت التهديدات تصل إلى مكتب منظمته وبيته؛ فقد نشب اشتباك بين رجال مالكوم ورجال (أمة الإسلام) أمام المطعم الإسلامي في (هارلم)، وبعد ذلك في (بوسطن) اعترضت سيارته سيارة أخرى ونزل منها رجال مسلحون ولكن رجال مالكوم أخرجوا لهم بندقية فتفرقوا، وتلا ذلك إصدار حكم عليه بإخلاء بيته في (Elmhurst)<sup>(٣)</sup> وإرجاعه إلى (أمة الإسلام) بعد دعوى قضائية رفعتها (أمة الإسلام) ضده؛ فتركه وذهب إلى بيته في (لونغ آيلاند)<sup>(٤)</sup>.

وفي شهر (فبراير/ ١٩٦٥ م) تعرض منزل مالكوم لهجوم بقنبلة (Molotov)<sup>(٥)</sup> نجا منه هو وأسرته، والتهمت النيران نصف البيت، بعد أن احتاج رجال الإطفاء إلى ساعة كاملة لإطفائه، وفي مساء اليوم التالي عقد مالكوم مؤتمراً صرح فيه أن (أمة الإسلام) هي من هاجمت بيته، في حين (أمة الإسلام) صرحت أن هذه

(1) Malcolm x and Africa, A.B. assensoh and Yvette M. alex assensoh, cambria press, new York, p51,52.

(2) The Assassinations probe magazine of JFK, MLK, RFK and Malcolm x, p404.

(٣) مدينة في ولاية (إلينوي) في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٤) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٢٨، ٣٢٩، مرجع سابق.

(٥) من الأسلحة التي تصنع منزلياً، وغالباً ما تستخدم في أعمال الشغب والتخريب بسبب سهولة تصنيعها واستعمالها، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى السياسي والدبلوماسي السوفييتي (فاياشسلاف مولوتوف).

الحادثة افتعلها مالكوم لغرض الدعاية والشهرة، ومن حينها أيقن مالكوم أن أمر اغتياله أصبح قريبًا وبدأ في التأهب لذلك!<sup>(١)</sup>، وقد قال عقب إحدى ملاحظات (أمّة الإسلام) له: (إنهم سيتمكنون مني، فالمسألة مسألة وقت، إنني أعرف أكثر مما ينبغي عن المسلمين، ولكن تهديداتهم لن تمنعني عن عمل ما عقدت العزم عليه)<sup>(٢)</sup>.

وفي (٢١/فبراير) رتب مالكوم لعقد مؤتمر لاجتماع منظمة الوحدة الأفروأمريكية - التي أسسها-، والمسجد الإسلامي الموحّد، بعد انفصاليه عن (أمّة الإسلام)، وطلب من زوجته إحضار بناته إلى الاجتماع، وبمجرد صعوده على المنصة أمام المئات من مؤيديه؛ نهض ثلاثة رجال سود وقاموا بإطلاق النار عليه بعد افتعال حالة من الهرج في الصلاة؛ فأصابوه بـ(١٢ رصاصة) فارق على إثرها الحياة! وتلت حادث الاغتيال موجة من العنف في نيويورك؛ إذ اتهم أتباع مالكوم (أمّة الإسلام) باغتياله، في حين صرحت (أمّة الإسلام) بأنها لا علاقة لها بالحادث، وطُرحت وجهات نظر وتحليلات عديدة لاحقًا لتحديد المتورط في الجريمة، وكان النصيب الأوفر منها لـ(أمّة الإسلام)<sup>(٣)</sup>.

وفي جنازته كانت التهديدات بوضع القنابل تصل بالهاتف إلى مكان الجنازة، وكان جثمان مالكوم موضوعًا داخل نعش خشبي ويلبس ملابسه كاملة - حسب عادات الدفن في المسيحية-، ولكن تدخل الشيخ (أحمد حسون السوداني)<sup>(٤)</sup> وشرع في تجهيز جثمان مالكوم بحسب الشريعة الإسلامية، وخلع ثيابه وغسله

---

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٥٧:٠٠)، مرجع سابق.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٣٢، مرجع سابق.

(٣) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٠٤:٠٠)، مرجع سابق.

(٤) قد التقى بمالكوم في مكة، ثم لحق به في الولايات المتحدة ليكون مستشاره الديني.

وكفنه، ثم دفن جثمانه في مقبرة (Ferncliff)<sup>(١)</sup>، وكان موكب جنازته يزيد على (٥٠ سيارة)<sup>(٢)</sup>.

ترك مالكوم أسرته بلا عائل، ومات مُعَدَّمًا، وكان أحيانًا يطلب من (أليكس هيلي) إعطائه بعض أرباحه من كتابه (السيرة الذاتية) مقدّمًا لكي يغطي مصروفاته، ولا سيما بعد طرده من (أمة الإسلام)، وقد كتبت صحيفة (Amsterdam News) عنوانًا بعد اغتياله (مات مالكوم إكس مُعَدَّمًا)؛ وجاء في المقال أن مالكوم ترك بناته الأربع وزوجته الحامل دون أي تأمين أو رصيد أو مُورَد، وقد فُتِح بعدها حساب بنكي لمساعدة الأخت (بيتي) على تربية بناتها<sup>(٣)</sup>.

تتابعت ردود الفعل العالمية على مقتل مالكوم، ونعته عدة صحف من دول متعددة؛ فنشرت صحيفة (Daily Times) الصادرة من (Lagos)<sup>(٤)</sup> في نيجيريا: (لم يكن مالكوم إكس خاليًا من العيوب، شأنه شأن سائر البشر، ولكن لا أحد يشك أنه كرس حياته لتحرير إخوانه، لقد كافح ومات في سبيل ما يعتقد أنه الحق؛ فالتحق بالشهداء)؛ ووصفته صحيفة (The) Ghanaian Times<sup>(٥)</sup> بأنه: (كان أكثر الزعماء الأمريكيين السود شعبيةً والمناهضين للتمييز العنصري)، وأضافت اسمه إلى قائمة شهداء الحرية في إفريقيا وأمريكا؛ وقالت صحيفة (الحرية الباكستانية) الصادرة من (كراتشي)<sup>(٦)</sup>: (إن مالكوم إكس كان زعيمًا زنجيًا وطنيًا)؛ وقالت صحيفة (The Pakistan Times): (إن موت مالكوم إكس يُعد انتكاسة للحركة

(١) مقبرة في نيويورك.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٤٩، ٣٥٦، مرجع سابق.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

(٤) أكبر مدن نيجيريا وغرب إفريقيا.

(٥) الصحيفة الحكومية في دولة (غانا)، تأسست عام (١٩٥٧م).

(٦) أكبر مدن باكستان وأكثرها ازدحامًا بالسكان.

الزنجية المطالبة بالحرية)؛ ونشرت صحيفة (الصين اليومية) الصادرة من (بكين)<sup>(١)</sup>: (قُتل لأنه كان يصارع لتحرير (٢٣ مليونًا) من الزنوج الأمريكيين).  
وقيل إن الصحافة الصادرة في (القاهرة، وبيروت، ونيودلهي) لم تورد إلا خبرًا روتينيًا، في حين لم تهتم به الصحافة في (باريس، وأوروبا الشرقية) إلا يومًا واحدًا فقط!<sup>(٢)</sup>.

كانت حياة مالكوم -على قصرها- بمنزلة ملحمة إنسانية سمّت فيها معاني الإنسانية وحلّقت في فردوسها الأرضي، وعَلّت على دناياها بالانتقال من النقيض إلى النقيض؛ ففي (٣٩ ربيعًا) استطاع مالكوم تخليد ذكراه عبر إرسائه مبادئه التي عاش من أجلها وإخلاصه لها ودورانه مع الحق، رحمه الله!

---

(١) عاصمة جمهورية الصين الشعبية، وهي ثاني أكبر مدن الصين بعد (شنغهاي).  
(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٥٢، ٣٥٣، مرجع سابق.



## الباب الثاني

عطاء مالكموم إكس الفكري  
ومنهجه الإصلاحي

# الفصل الأول

## عطاء مالكوم إكس الفكري

وينقسم إلى خمسة مباحث، هي:

المبحث الأول: إسهاماته الدعوية.

المبحث الثاني: إسهاماته في حركة الحقوق المدنية.

المبحث الثالث: التلاقح الفكري بين مالكوم إكس والعرب.

المبحث الرابع: تأثيره في حركة الأدب والفنون الأفروأمريكية.

المبحث الخامس: امتداد أفكار مالكوم بعد موته.

## المبحث الأول

### إسهاماته الدعوية

يُعد مالكوم إكس علامة بارزة في تاريخ أمريكا السياسي والديني؛ حيث أسهم إسهامًا ملموسًا في تحسين وضع الأمريكيان ذوي الأصل الإفريقي، وتقويم مسار حركة الحقوق المدنية، ومحاربة العنصرية، كما كان له دور كبير في نشر الدين الإسلامي في أرجاء الولايات المتحدة، وأسلم بفضل مجهوداته الدعوية عشرات الآلاف من الأمريكيان.

وفي هذا الفصل سيُعرض العطاء الفكري لمالكوم إكس والإسهامات التي أسهم بها طيلة الـ (٣٩ عامًا) التي عاشها، ولم يكن لمالكوم عطاء نظري سوى خُطبه التي كان يلقيها في المحافل الحقوقية، وسيرته الذاتية التي ألقاها على الكاتب الروائي الأمريكي (أليكس هيلي) وبيعت بعد موته ملايين النسخ، وقد حاولت الغوص في حياته وإبراز إسهاماته الفكرية سياسيًا ودعويًا، ومدى تأثير ذلك العطاء وامتداده داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وبالبحث اتضح إلى أن عطاء مالكوم الفكري ارتكز على إسهاماته الدعوية في حقبة دخوله كيان (أمة الإسلام) وبعد خروجه منه، كما ارتكز على إنتاج فكري مهم ومتميز في حركة (الحقوق المدنية) في حقبة الخمسينيات والستينيات، كما كانت له إسهامات تمثلت في تشكيل مدرسة أدبية ذات طابع جديد في الأدب الأفروأمريكي.

لم يكن عطاء مالكوم الفكري محدود النطاق داخل الولايات المتحدة، بل تجاوز أثر النطاق الجغرافي؛ حيث كان بينه وبين العرب تلاقح فكري أثر في تكوين أفكاره، كما كان له تأثير واضح في بعض مفكري العرب، كما تجاوزت أفكاره النطاق الزمني لعمره؛ حيث كان لها أثر في بعض الكيانات والشخصيات الانتفاضية والحقوقية التي تبنت أفكاره بعد موته كـ(الفهود السود، حركة القوة السوداء). ففي تلك المحاور تمثلت العطاءات الفكرية لمالكوم إكس التي كانت حياته سلسلة من التحولات الجذرية التي أضفت شيئاً من الصعوبة في عملية إحصاء عطائه الفكري.

فطن (إليجاه محمد) إلى أن مالكوم إكس سيكون الحصان الأسود بالنسبة لتنظيم (أمة الإسلام)، واستطاع إليجاه تهيئته وتوجيهه بشكل يخدم ذلك؛ فبالرغم من فساد منهج إليجاه العقدي وادعائه النبوة فإنه كان يملك قدرات تربوية وتنظيمية عالية؛ استطاع بها أن يضبط إيقاع التنظيم ويحافظ على المؤسسة والالتزام بلوائحه الصارمة، واستفاد مالكوم من التنظيم ومؤسساته وإمكاناته في نشر الدعوة وأفكار التنظيم، كما استفاد التنظيم من طاقة مالكوم وإمكاناته الخطابية والدعوية في توسيع قاعدته العددية؛ وفي ذلك يقول مالكوم: (كانت ثقة السيد محمد بي تزداد يوماً بعد يوم؛ فكنت أترك نومي في سبيل الدعوة لأكون عند حسن ظنه، وفي عام (١٩٥٦م) أعطى موافقته لمسجدنا السابع لشراء سيارة توضع رهن إشارتي، وكانت الأمة تدفع لي تكاليف معاشي ومصروفي، كما كانت تفعل مع غيري من باقي رجال الدين، ذلك المال الذي كنت في الماضي مستعداً لفعل أي شيء من أجله؛ قد أصبح آخر ما يخطر ببالي، وقطعت بتلك السيارة في طريق الدعوة في ظرف خمسة أشهر حوالي ثلاثين ألف ميل)<sup>(١)</sup>.

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٧١، ١٧٢، مرجع سابق.

وتُعد دراسة عطاء ومنهج تنظيم (أمة الإسلام) دراسة ضمنية لعطاء ومنهج مالكوم الدعوي؛ فقد ظل في ترقُّ داخل التنظيم حتى حاز ثقة إيجاه وصار المتحدث الرسمي باسم التنظيم، كما كانت كلمة مالكوم هي النافذة بعد كلمة إيجاه، ولقد كان تأثيره لافتًا للأنظار للدرجة التي قال عنه أحد السفراء العرب المسلمين: (لو أننا أنفقنا مليون دولار لإحداث نفس الأثر الذي أحدثه هذا الرجل لفشلنا؛ إن هذا الرجل يذكرنا بقصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويمكن اعتباره بحق عمر أمريكا)<sup>(١)</sup>.

بدأ مالكوم إكس مسيرته الدعوية بعد رحلة السجن، بعد عقد العزم على تكبير القاعدة العددية لتنظيم (أمة الإسلام)، بعد مقابلته إيجاه محمد في بيته بمدينة (ديترويت)؛ ومن حينها ارتقى مالكوم في مناصب تنظيم (أمة الإسلام) حتى صار المتحدث الرسمي لها وصاحب الكلمة النافذة بعد إيجاه محمد. ولقد كان لإيجاه أثر كبير في تربية وتوجيه مالكوم، وبالرغم من منهجه العقدي المنحرف فإنه كان ذا قدرات تربوية وتنظيمية عالية استفاد منها مالكوم في تطوير نفسه. وأول إسهامات مالكوم كانت في تكبير القاعدة العددية لتنظيم (أمة الإسلام)؛ فقد شكّل دخول مالكوم إكس في التنظيم نقلة نوعية أسهمت في مضاعفة أعضاء التنظيم من (٥٠٠ عضو) إلى أكثر من (٢٥٠ ألفاً) في الحقبة ما بين (١٩٥٢م - ١٩٦٣م)<sup>(٢)</sup>، كما أسهم في إسلام بعض المشاهير من الأمريكان ذوي الأصل الإفريقي؛ أبرزهم الملاكم كاسيوس كلاي (محمد علي كلاي) الذي كان صديقًا مقربًا له وكان قد دعاه إلى المباراة الشهيرة مع بطل العالم (ليستون) عام (١٩٦٤م) التي حقق فيها الفوز وصار بطل العالم في الملاكمة

(١) العشي، عرفات كامل. رجال ونساء أسلموا، المكتب المصري الحديث، ج ٣، ص ٣١٤.  
(2) Law, Culture, and Africana Studies, James L. Conyers, Jr, voume2, p1.

في الوزن الثقيل، وانضم بعدها لتنظيم (أمّة الإسلام) وغير اسمه إلى (محمد علي كلاي)<sup>(١)</sup>؛ يقول محمد علي عن مالكوم: (لقد كان مالكوم مفكراً عظيماً وصديقاً أعظم، ومن دونه ما كنت سأعرف طريقاً للإسلام)<sup>(٢)</sup>، كما كان له دور في جذب الكثير من ذوي المناصب والوجهات، ومنهم الكثير الذين كانوا يتخفون بإسلامهم نظراً لحساسية مناصبهم<sup>(٣)</sup>.

لقد كان مالكوم سبباً رئيساً في زيادة عدد مساجد تنظيم (أمّة الإسلام) في أمريكا إلى أكثر من (٣٠ مسجداً) في (١٥ ولاية)<sup>(٤)</sup>، وبعد تلك المهمات التي أثبت فيها مالكوم جدارته وإمكاناته في حمل أفكار (أمّة الإسلام) ونشرها؛ عينه إلبجاه مفوضاً على أهم مسجد من مساجد أمّة الإسلام وهو المسجد السابع بنيويورك<sup>(٥)</sup> وكانت مدينة زاخرة بالزنوج، وكان من أسرع المساجد نمواً في العدد والموارد المالية، وبمجهودات مالكوم بلغت (أمّة الإسلام) أوج ازدهارها عام (١٩٦١م)؛ حيث تنامت مواردهم المالية وأعلنوا عن مركزهم الجديد في شيكاغو<sup>(٦)</sup> الذي نشأ بغلاف مالي قدره (٢٠ مليون دولار)، والذي يضم مسجداً ومدرسة ومستشفى ومتحفاً للسود ومكتبة<sup>(٧)</sup>.

---

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٢٦:١)، مرجع سابق.  
(٢) The Soul of a Butterfly: Reflections on Life's Journey, Hana Yasmeen Ali, Muhammad Ali, p85.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٠١، مرجع سابق.  
(٤) Malcolm X, African American Revolutionary, Dennis D. Wainstock, p49.

(٥) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٣٧)، مرجع سابق.  
(٦) ثالث أكبر مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية من حيث التعداد السكاني بعد نيويورك ولوس أنجلوس.

(٧) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٠١، مرجع سابق.



لقد كان مالكوم مهتمًا بمواكبة كل ما هو جديد وحريصًا على إيصال دعوته إلى كل من حوله؛ فأسس جريدة (محمد يتكلم / Muhamed Speaks)، وكانت تجمع جميع أخبار وأنشطة (أمة الإسلام)، وبدأ أعضاء التنظيم في توزيعها وبيعها في الحوارية الزنجية، وقد طرأت الفكرة في ذهن مالكوم بعدما زار مقر جريدة (The Herald-Dispatch) في لوس أنجلوس واطلع على مراحل إعدادها وقرر نسخ التجربة لتنظيم الأمة، وقد صدر العدد الأول منها عام (١٩٦٠م)<sup>(١)</sup> وقد بلغ عدد مبيعاتها (٦٠٠ ألف نسخة) في الأسبوع، وكانت من أفضل الصحف التي يهتم بها السود داخل أمريكا<sup>(٢)</sup>، كما كان مالكوم مشرفًا على مجلة (The Mas-senger magazine) التي كانت تنقل أخبار وفعاليات تنظيم الأمة خاصة الفعاليات الاجتماعية التي تتعلق بمدارس الحركة وفعاليات المرأة<sup>(٣)</sup>.

وبعد خلافه مع تنظيم الأمة أسس مالكوم كيانين أحدهما سياسي والآخر دعوي لممارسة دوره الفعال في محاربة العنصرية ونشر الدين الإسلامي داخل الولايات المتحدة فأسس عام (١٩٦٤م) منظمة دعوية سمّاها (المسجد الإسلامي)، ومنظمة سياسية سمّاها (منظمة الوحدة الأفروأمريكية) لتدعيم فكرة القومية السوداء<sup>(٤)</sup> وربط الأمريكان من ذوي الأصل الإفريقي بأصولهم العرقية؛ أما بالنسبة لـ(المسجد الإسلامي) فقد حرص مالكوم على تأسيسه على الإسلام

(١) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(2) A History of Islam in America: From the New World to the New World Order, KambizGhaneaBassiri, p243.

(3) On the Side of My People: A Religious Life of Malcolm X, Louis A. Decaro Jr, p108.

(٤) تيار فكري أسسه عدد من المناضلين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ مثل (ماركوس جارفي، ومارتن روبناند لياني، وبنيامين سينجلتون) يهدف إلى رفع مستوى وعي السود بحضاراتهم وثقافتهم.

الصحيح، وحاول محاكاة تجربة (أمّة الإسلام) في النظام المؤسسي من ناحية إنشاء نظام اقتصادي واجتماعي داخل منظومته الدعوية الجديدة<sup>(١)</sup>، كما حرص مالكوم على فصل النشاط الدعوي عن السياسي إداريًا بحيث تمارس الأنشطة الاجتماعية والفعاليات الدعوية والاقتصادية داخل المسجد، أما السياسية فتكون في كيان (منظمة الأفروأمريكان)<sup>(٢)</sup>، لكن الضغط النفسي الذي لاقاه ومحاولات الاغتيال وأخيرًا اغتياله في عام (١٩٦٥م) كان حازمًا عن نمو تلك المنظمة وسببًا في حلّها.

ومن عطائه الدعوي الأبرز في محيطه الأسري؛ أنه كان السبب في إسلام أخته الكبرى (إيلا) التي كان لها عطاء دعوي متميز، بعد محاولة جذبها للإسلام طيلة خمسة أعوام؛ فيروي مالكوم قائلًا: (و ذات يوم ختمتُ خطبتي في مسجد بوسطن بالسؤال المعهود: مَنْ منكم يريد أن يتبع السيد إليجاه محمد؟ وإذا بي أرى أختي إيلا ضمن الواقفين. عندنا مثل يقول: إن الذين يصعب إقناعهم هم الذين يحسن إسلامهم، ولقد تطلب إقناع إيلا خمس سنوات)<sup>(٣)</sup>، وقد صدقت فإسامة مالكوم في أخته؛ لأنها بعد ذلك تركت معتقدات (أمّة الإسلام) المحرفة واعتنقت الإسلام الصحيح، ثم فتحت مدرسة لتعليم اللغة العربية وسمّتها (Sarah A. Lit-tle School of Preparatory Arts)<sup>(٤)</sup>.

ومن ضمن تأثير مالكوم الدعوي؛ تأثيره على مؤسس مسجد الأخوة الإسلامية (MIB) في هارلم (خالد أحمد توفيق)<sup>(٥)</sup> عام (١٩٧٠م)، وقد كان تحت إشرافه

(1) The Cambridge Companion to Malcolm X, Robert E. Terrill, p102.

(2) Malcolm X: From Political Eschatology to Religious Revolutionary, dustin j. byrd, sayedjavadmiri, p241.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٨٧، مرجع سابق.

(4) The Autobiography of Malcolm X, alexhaley, p512.

(٥) من أتباع مالكوم إكس.

دون قبول أفكاره العنصرية، وقد سافر إلى القاهرة ودرس بالأزهر، وحين عاد إلى هارلم بدأ جماعة (مسجد الأخوة الإسلامية)، وقد ركز على فئة الأفروأمريكيين. وقد حاول توفيق المزج بين تعاليم (ماركوس جارفي) وتعاليم (حسن البنا<sup>(١)</sup>) وجماعة الإخوان المسلمين<sup>(٢)</sup> في مصر، وقد تُوفي توفيق عام (١٩٨٨م)، وظل نشاط المسجد مستمرًا بشكل بسيط نسبيًا<sup>(٣)</sup>.

### منهجه الدعوي:

لقد كان لتنظيم الأمة دور مهم في تشكيل منهج مالكوم إكس الدعوي؛ حيث كان التنظيم يهتم بالخطاب الدعوي العام؛ من خلال: الخطب الجماهيرية واللقاءات التلفازية وتنظيم الفعاليات العامة للأمريكان ذوي الأصل الإفريقي، وبشكل مواز يهتم بالعمل الدعوي الخاص؛ من خلال: ممارسة الدعوة والتربية مع أفراد التنظيم بشكل فردي، وقد كانت أول خطبة لمالكوم في مدينة (ديترويت) عام (١٩٥٣م) حينما طلب منه إمام المسجد أن يخطب في الحاضرين بناء على

---

(١) وُلِدَ عام (١٩٠٦م)، وهو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين عام (١٩٢٨م) في مصر، والمرشد الأول لها، ورئيس تحرير أول جريدة أصدرتها الجماعة عام (١٩٣٣م)؛ نشأ في أسرة متعلمة مهتمة بالإسلام كمنهج حياة؛ حيث كان والده عالمًا ومحققًا في علم الحديث، تأثر بالتصوف عن طريق احتكاكه بالشيخ (عبد الوهاب الحُصافي) شيخ الطريقة الحُصافية الشاذلية، وكان له أثر كبير في تكوين شخصيته، كما تأثر بعدد من الشيوخ؛ منهم: والده الشيخ أحمد، والشيخ محمد زهران -صاحب مجلة الإسعاد وصاحب مدرسة الرشاد التي التحق بها لفترة وجيزة بالمحمودية-، ومنهم أيضًا الشيخ (طنطاوي جوهرى) صاحب تفسير القرآن (الجواهر).

(٢) جماعة إسلامية، تصف نفسها بأنها (إصلاحية شاملة)، وتعد أكبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، وقد وصلت لسدة الحكم أو شاركت فيه في عدد من الدول العربية؛ مثل: الأردن ومصر وتونس وفلسطين.

(٣) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ١٤٨، مرجع سابق.

طلب إليجاه محمد<sup>(١)</sup>؛ ومن بعدها بدأ في استقطاب الجماهير من خلال خطبه التي كانت مبنية على عرض المظالم التي تعرّض لها العرق الأسود، ومهاجمة العرق الأبيض وعرض الإسلام بأفكار (أمة الإسلام).

تضمنت خطب ولقاءات مالكوم حديثاً عن الإسلام لكونه معتقداً دينياً لفكرة القومية السوداء التي كان يروج لها، وأن الإسلام هو الديانة الأولى للرجل الأسود<sup>(٢)</sup> -بحسب أفكار أمة الإسلام المنحرفة-؛ ولذلك كانت محاربتة للعنصرية تتضمن دعوة للإسلام في الوقت نفسه.

واتسمت خطب مالكوم إكس بالمنطقية والردود الدفاعية الحاسمة، وكان يتعامل مع الطرف الآخر كأحمق يتطلب شرح البديهيات له لتوضيح مراده وتوصيل رسالته له، ففي مقابلة تلفازية قام بالرد على سؤال المذيع الذي سأله عن إيمانه بدين الإسلام: (نعم، أدين بدين الإسلام الذي يحث على الأخوة والتآخي التام مع جميع الناس، ولكن في الوقت الذي أؤمن فيه بهذه الأخوة فإنني لا أؤمن بفرض رغبتني في هذه الأخوة على أحد، لا سيما على من ليست لديهم الرغبة -يقصد البيض- في قبولها؛ حينها قاطعه المذيع بأن المسيحيين أيضاً يؤمنون بالأخوة؛ فرد مالكوم: (نعم، يؤمنون بها ولكن لا يطبقونها!)<sup>(٣)</sup>. وفي مقابلة أخرى بعد رجوعه من الحج وجه له المذيع سؤالاً: (هل تجربتك مع

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٥٣، مرجع سابق.

(٢) إدريسي، عزيز الكبيطي. التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية - مظاهر حضور

التصوف المغربي وتأثيراته، ج ١، ص ٣٧، مرجع سابق.

(٣) حلقة على موقع يوتيوب بعنوان: (Malcolm X on Front Page Challenge, 1965: CBC)

(Archives | CBC)

البيض في إفريقيا والشرق الأوسط جعلتك تشعر بأن العلاقة ممكنة بين الزوج والبيض في أمريكا؟ فرد عليه مالكوم: عندما كنت في الحج كانت علاقات بمسلمين يصنفهم الأمريكيون أنهم بيض، لكنهم لم يقولوا عن أنفسهم إنهم بيض، وكانوا يعدون أنفسهم جزءاً من العائلة الإنسانية وينظرون إلى غيرهم كأفراد من العائلة نفسها، وكان لديهم أسلوب مختلف عن الأمريكيين الذين يسمون أنفسهم بالبيض، وإذا كان الإسلام الذي صنع بهم هذا، فإن الأمريكيين لو درسوا الإسلام لربما يصنع بهم الشيء نفسه). كما استخدم مالكوم الفلسفة وضرب الأمثلة والقصص الواقعية لترويج مفاهيمه وأفكاره في خطبه للتأثير على أتباعه، ولقد ظهرت تلك الطريقة في خطبته المشهورة (زنجي الحقل وزنجي المنزل)؛ ففي تلك الخطبة ضرب مثلاً بقصة زنجي العبد وزنجي الحقل؛ فزنجي المنزل ترتبط حياته بحياة سيده الأبيض لأنه يأكل من أكله ويلبس من لباسه، ويحافظ بكل السبل على ممتلكات سيده لأن في هلاكها هلاكاً له؛ وفي المقابل هناك زنجي الحقل المتمرد الذي ليس لديه ما يخسره، الذي إذا اشتعلت النيران في بيت سيده فإنه يصلي من أجل هبوب الرياح لتزيد النيران؛ واختتم مالكوم القصة بالشاهد بقوله (أنا من زواج الحقل) الذي يكره سيده؛ فسرده للقصص ليس من باب التسلية أو العبث بل كان حرصاً منه على تقريب فكرته وتبسيطها لجمهوره؛ وتتداول بعض حركات التحرر والحقوقيين إلى اليوم ذلك المثال عن مالكوم في خطبهم ولقاءاتهم الجماهيرية. وكان أحياناً يلجأ في خطبه إلى السخرية، وقد ساعدته براعته اللغوية من استخدامها بشكل يخدم خطاباته بشكل جيد؛ ففي مقابلة له سأله المذيع عن رأيه في الرجل الأبيض فرد مالكوم: (الرجل الأبيض لا علاقة له بي أبداً؛ فهو خطف ملايين السود من إفريقيا، وجردهم من جميع صفاتهم الإنسانية، ودفعهم للقيام بدور الجماد والحيوانات والبهائم،

وبعد مرور مئات السنين على إعلان تحرير العبيد، ما زال يمارس جميع أنواع الخدع لدفعنا إلى عبودية تسمى مواطن من الدرجة الثانية!)، وأعقب ذلك بعبارة ساخرة: (أظن أن ذلك السؤال يتطلب كثيرًا من الجرأة للرجل الأبيض ليسأل الزنوج: هل تكرهوننا أم لا؟!). أما عن الخط الآخر في العمل الدعوي وهو العمل الخاص الذي اتسم بالاهتمام بالجانب التربوي والتوجيهي مع أفراد تنظيم أمة الإسلام، وهو انعكاس لما كان يفعله معه إيجاه محمد؛ فقد قضى مالكوم شهورًا يتردد على إيجاه في بيته لمدارسة ومراجعة ما قرأه في السجن، ومقارنة الفروق بين القرآن والإنجيل، ومدارسة العلوم الاجتماعية والتاريخ وعلوم الإدارة<sup>(١)</sup>، فكانت تلك بمنزلة التحضير والتجهيز الخاص لماكولم قبل تصديره للدعوة، كما كان يحرص إيليجه على مرافقة مالكوم له في أثناء جولاته على متاجر المسلمين في شيكاغو التابعة لأمة الإسلام وهو يوزع نصائحه على التجار ويمارس التربية بالقدوة لمالكوم<sup>(٢)</sup>.

وعلى إثر ذلك اهتم مالكوم بالعمل الدعوي الخاص داخل أمة الإسلام فقد كان مهتمًا اهتمامًا بالغًا بتربية أعضاء التنظيم بالالتزام بتعاليم الإسلام - التي كان يسميها حينها قواعد أمة الإسلام أو تعليمات السيد إيجاه محمد -؛ كما تمنعهم عن: أكل لحوم الخنزير، وشرب الخمر، واستهلاك السجائر، والقمار، والعلاقات غير الشرعية، وكثرة النوم، والشجار، والكذب والسرقة<sup>(٣)</sup>، وكانت تلك التعليمات من الصعوبة بمكان لا سيما مع الانفتاح الذي يعيش فيه المجتمع الأمريكي وعاداته

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٦١، مرجع سابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٩.



الغربية التي تسيطر عليه، فكان مالكوم وغيره من الأئمة الكبار داخل أمة الإسلام يتعهدون الأعضاء داخل التنظيم بالمواعظ والمتابعة التربوية من أجل الانضباط على تلك التعاليم وعدم مخالفتها.

فمن مجهوداته برنامج مكافحة الإدمان (المخدرات والخمور) الذي نشرت عنه جريدة (New York Times) واستعارته منه بعض المنظمات الأخرى لتطبيقه، فالبرنامج مدته الزمنية يتراوح من شهر إلى سنة بحسب حالة المدمن؛ والبرنامج مكون من (٦ مراحل)<sup>(١)</sup>:

١. الوصول بالمدمن إلى الاعتراف بينه وبين نفسه أنه مدمن.
٢. إقناعه بأن علاجه ممكن.
٣. إعادة ثقته بنفسه بحيث يكون معتقداً بأن علاجه ممكن.
٤. وصوله إلى اتخاذ القرار بذلك.
٥. بداية مرحلة الاستشفاء.
٦. شفاء المدمن وشروعه في البحث عن مدمنين يعرفهم وإشرافه على علاجهم.

وقد شهدت بنجاح ذلك البرنامج (إيفيلين نيل)<sup>(٢)</sup>؛ حيث تقول: (الكثير من المدمنين تخلصوا من إدمانهم وأصبح لديهم إيمان بأمة الإسلام، في حين لم تستطع المسيحية في ذلك الوقت الوصول إليهم، لكن مالكوم وصل، وساعد

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٢) ناشطة في حقوق الإنسان.

الكثير من الشباب الذين أضاعوا الطريق وحوّلهم من أشخاص على هامش الحياة إلى أشخاص فخورين بأنفسهم<sup>(١)</sup>.

ومن ضمن المجهودات التربوية التي كان يبذلها مالكوم داخل (أمة الإسلام)؛ اهتمامه بالجانب الاجتماعي في توعية أعضاء التنظيم؛ فكان يعقد لقاءات توعية في التربية الأسرية يوجه فيها النصح لرجال النساء ورجال التنظيم، وتضمنت اللقاءات موضوعات متنوعة عن الأسرة؛ مثل: مفهوم الرجولة في الإسلام، ومسؤوليات الزوج والأب، وحقوق المرأة وواجباتها، وأهمية الأمانة والعفة؛ فيقول مالكوم: (كنا نسمي ليلة الثلاثاء ليلة الوحدة، ونقدم فيها المشروبات والحلويات ونجتمع إخوة وأخوات لتبادل الحديث، في حين نخصص ليلة الأربعاء لمناقشة قضايا إسلامية جوهرية بطريقة سؤال جواب المعروفة في الديانة الكاثوليكية<sup>(٢)</sup>)، أما ليلة الخميس فكنا نخصصها لدرس الحضارة العامة الذي تلقن فيه الفتيات والسيدات شئون البيت والتربية ورعاية الأزواج والطبخ والخياطة والسلوك في البيت، وكانت تقدم في ليلة الجمعة دروس في العلاقات العائلية للرجال والنساء تركز على التفاهم بين الأزواج وضرورة احترام كل منهما لطبيعة الآخر وكانت ليلة السبت شاغرة فكنا نتبادل فيها الزيارات<sup>(٣)</sup>.

ومن ضمن منهجية مالكوم الدعوية هي إيمانه بالمؤسسية والالتزام بالعمل الجماعي وتكامل الأدوار، وهذا ما كان مُتبعًا داخل تنظيم الأمة قبل دخول مالكوم؛ فالتنظيم كان له هيكل على رأسه زعيم التنظيم وتحتة القيادات المحلية

---

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس - وجهًا لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية، الدقيقة (٩:٠٠).

(٢) مجموعة التعاليم المسيحية التي تدين بها الكنيسة الرومانية، وعلى رأسها البابا.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٧٣، ١٧٤، مرجع سابق.

وتحتهم أئمة المساجد<sup>(١)</sup>، وباقي أعضاء التنظيم تتقسم الأدوار بينهم ما بين التعليم والدعوة والتجارة أو الاشتراك في مجموعة (ثمرة الإسلام) المسؤولة عن الدفاع عن التنظيم ومراقبة أعضائه وتنفيذ العقوبات واللوائح، وقد كانت هناك لوائح وعقوبات داخل التنظيم طبقت على مالكوم إكس نفسه؛ حينما أمره إيجاه محمد بالصمت لمدة (٩٠ يومًا) عقب مخالفته في أمره التزام الصمت عقب وفاة الرئيس الأمريكي (جون كينيدي) بتصريحه: (عندما يعود الدجاج إلى مأواه؛ فأنا لا أنزعج)، وقد كانت نقطة الخلاف التي أنهت علاقة مالكوم بتنظيم الأمة<sup>(٢)</sup>، وظل مالكوم مؤمنًا بمبدأ تكامل الأدوار والعمل الجماعي حتى بعد تركه تنظيم الأمة، وتأسيسه (منظمة الأفروأمريكان<sup>(٣)</sup>)، والمسجد الإسلامي الموحد). كما كان مؤمنًا بتكامل الاقتصاد مع الدعوة، وأن أي كيان ليس له ذراع اقتصادي هو كيان غير قوي ويسهل السيطرة عليه؛ لأنه معتمد على غيره في استهلاكه، وهي فكرة مستقاة من أفكار (ماركوس جارفى) عن القومية السوداء؛ فكان مالكوم يقول: (إننا يجب أن نمتلك وندير ونتحكم في اقتصاد جماعتنا، وتقوم هذه الفلسفة الاقتصادية للقومية السوداء على أهمية تكوين برنامج يعيد تعليم وتثقيف شعبنا على إدراك أنه عندما تنفق دولارًا خارج جماعتك التي تعيش في كنفها؛ سيؤدي إلى جعل جماعتك التي تعيش في كنفها سببًا في غنى جماعة أخرى، وسيجعل جماعتك

(1) African American Religion: Varieties of Protest and Accommodation, Hans A. Baer, Merrill Singer, p136, second edition.

(2) Elijah Muhammad and Islam, Herbert Berg, p43.

(٣) الأفروأمريكان: هم مجموعة عرقية من أصول إفريقية، يُطلق عليهم: (الأمريكيون السود، أو الأفارقة الأمريكيون، الأمريكيون الزنوج)؛ يعيشون في القارتين الأمريكيتين، ويُستخدم المصطلح بشكل خاص للإشارة إلى أولئك الذين هم من أصول إفريقية ويعيشون في أمريكا الشمالية؛ ويعود أصل معظم هؤلاء إلى سكان أفارقة تم استعبادهم واستجلابهم من إفريقيا إلى الأمريكيتين من قبل تجار العبيد والنخاسة.

أكثر فقراً؛ لذلك تصبح جماعتك هي حي الفقراء)؛ فالسود في رأي مالكوم عبارة عن: ضحايا لعملية سلب منظمة<sup>(١)</sup>.

وكان لتلك الفلسفة الاستقلالية مردود واسع في ازدهار النشاط الاقتصادي لأمة الإسلام وتكريس لفكرة القومية السوداء؛ فبدأ المسلمون السود في فتح المتاجر والمخابز والمطاعم والبقالات والمزارع، وكانت تتميز أغلب تلك النشاطات بجودة منتجاتها وحسن الخدمة فيها<sup>(٢)</sup>، وكان المتجر التابع لمسجد مالكوم إكس في هارلم من أكثر المتاجر ربحاً داخل تنظيم الأمة؛ فقد بلغ الربح السنوي له أكثر من (٢٣ ألف دولار) مقارنة بمتجر مسجد شيكاغو الأقدم منه الذي سجل ربحه السنوي أكثر من (١٤ ألف دولار)<sup>(٣)</sup>.

### تأثيره في محاولات إصلاح منهج أمة الإسلام العقدي:

لقد كانت رحلة الحج التي قام بها مالكوم إكس ورجع منها مطلقاً على نفسه اسم (مالك الشباز)؛ نقطة فاصلة بين تركه معتقدات أمة الإسلام المنحرفة واعتناقه الإسلام الصحيح، وقد تزامن اعتناقه الإسلام الصحيح مع توقيت خلافه مع إيجاه محمد وافتضاح علاقاته غير الشرعية وافتضاح بعض اختلاساته المالية، وكانت علاقة مالكوم إكس قد توطدت في هذا الوقت مع نجل إيجاه محمد (وارث الدين محمد)<sup>(٤)</sup>، وقد طُرد مع مالكوم بعدما أقره على التهم الموجهة لوالده، وقد تعاهد مالكوم مع وارث الدين قبل اغتياله بالعودة بالحركة إلى الإسلام الصحيح، وبعد

(1) Malcolm X: From Political Eschatology to Religious Revolutionary, dustin j. byrd, sayedjavadmiri, p79.

(2) New Perspectives on the Nation of Islam, Dawn-Marie Gibson, Herbert Berg, p79.

(3) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p49.

(4) Elijah Muhammad and Islam, Herbert Berg, p130.

مدة من اغتيال مالكوم رجع وارث إلى تنظيم الأمة مرة أخرى، وفي عام (١٩٧٥م) تولى وارث الدين زعامة تنظيم الأمة خلفاً لأبيه ليعيد بناء تنظيم الأمة كما عاهد مالكوم قبل اغتياله على الإسلام الصحيح اللاعنصري<sup>(١)</sup>، وقد غيّر وارث الدين اسم (أمة الإسلام) إلى (البلاييون) واستهدف بذلك نقل ولاء الجماعة إلى رمز إسلامي حقيقي وهو سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه، ثم غيّرّها إلى (المجتمع الإسلامي العالمي في الغرب / The World Community Of All Islam In The West) وكانت خطوة لتقريب الجماعة ببقية المسلمين في العالم وفك العزلة العنصرية التي فرضها من قبله عليها<sup>(٢)</sup>.

وقد غيّر وارث الدين بعض المسميات في الجماعة مثل (وزير) إلى (إمام)، وغيّر (معبد) إلى (مسجد)<sup>(٣)</sup>، وعمل على ترسيخ مبدأ اللامركزية في إدارة الجماعة، وازدادت صلة التنظيم الجديد بالدول والهيئات والمنظمات الإسلامية، وأصبح للحركة نشاط واسع في بناء المساجد داخل أمريكا وخارجها<sup>(٤)</sup>، ولكن محاولة الإصلاح والقرب من أهل السنة لم تستمر طويلاً؛ حيث قام لويس فرخان<sup>(٥)</sup> في عام (١٩٧٧م) بدعوى العودة إلى تعاليم إلهام محمد الأصلية، وللأسف قد لقي لها صدئ وتأثيراً، وفتح له معابد في نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلوس وجمع أتباعه فيها، وجعل فرخان شيكاغو مركزاً رئيساً لفرقته، وأصدر

- 
- (١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ج ١٤، القسم الثاني، ص ٢٨٢، مرجع سابق.  
(٢) الوجود الإسلامي في أمريكا، تأليف: عثمان أبو زيد، محمد وقيع الله أحمد، ص ٥٧.  
(3) Understanding Sectarian Groups in America, George W. Braswell, p349.  
(٤) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ج ١٤، القسم الثاني، ص ٢٨٣، مرجع سابق.  
(٥) لويس يوجين والكوت: تولى زعامة تنظيم (أمة الإسلام) منذ عام (١٩٨١م) حتى الآن، والتحق بالتنظيم بتأثير من مالكوم إكس، لكن ثارت مشكلات بينهما بعد ترك مالكوم الحركة عام (١٩٦٤م).

جريدة جديدة سماها (النداء الأخير) رُوِّج فيها إلى إعادة بناء أمة الإسلام والعودة  
إلى تعاليم إليجاه محمد<sup>(١)</sup>.

---

(١) الجهني، مانع بن حماد. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،  
ج ١، ص ٣٦٨، مرجع سابق.



## المبحث الثاني

### إسهاماته في حركة الحقوق المدنية

بعد الحرب الأهلية الأمريكية<sup>(١)</sup> التي أنهت عصر العبودية إلى الأبد داخل أرضها؛ سعى الأمريكيان ذوو الأصل الإفريقي بكل السبل إلى ضمان حقوقهم المدنية في التساوي مع البيض، وبالفعل حصلوا على بعض تلك الحقوق، ولكن وصول الديمقراطيين<sup>(٢)</sup> لسلطة التشريع في ولايات الجنوب عرقل تحرير السود؛ حيث سُنَّت قوانين الفصل العنصري المسماة بقوانين (منفصل لكن متساوٍ/ separate but equal) وتهدف تلك القوانين للفصل بين السود والبيض في: الأماكن العامة، والمدارس، والمواصلات، والمراحيض العامة، وكذلك في الحياة العسكرية، وفي عام (١٨٩٠ م) عمّت تشريعات الفصل العنصري في أغلب الولايات الجنوبية للولايات المتحدة، وسُمِّيت تلك الحِقبة بـ(حِقبة قوانين جيم كرو)<sup>(٣)</sup>.

ناضل السود داخل الولايات المتحدة ضد تلك القوانين وقدموا توضيحات ثمينة من أجل إلغائها وتحقيق الاندماج داخل المجتمع؛ وانتهى نضال السود بتشكيل (حركة الحقوق المدنية/Civil Rights Movement) وهي عبارة عن

---

(١) صراعات داخلية حدثت داخل الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين (١٨٦١م-١٨٦٥م)، وتعدّهي الصراعات الأكثر دموية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.  
(٢) من أقدم الأحزاب السياسية الأمريكية، عُرف الحزب بالفكر المحافظ، وارتبطت سياسته بحماية نظام العبودية قبيل الحرب الأهلية.

(3) Remembering Jim Crow: African Americans Tell About Life in the Segregated South, William H. Chafe. Raymond Gavins, Robert Korstad, p299.

تحالفات بين كيانات ومنظمات حقوقية في الولايات المتحدة، ضمت هذه التحالفات عدة كيانات ورموز من أجل تجريم العنصرية ضد الأمريكيين الأفارقة، لا سيما وقد شهدت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية اهتمامًا بالغًا في المحافظة على الحقوق المدنية والحريات، وبرز ذلك في إقرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام (١٩٤٨م)، وعلى ضوء ذلك سلطت روسيا الضوء خلال اجتماعات الأمم المتحدة على قضية الأمريكيان ذوي الأصل الإفريقي، وكان ذلك ردًا اعتراضيًا منه على رفض السفير الأمريكي (أدلاي ستيفنسون)<sup>(١)</sup> انضمام الصين في عضوية الأمم المتحدة بسبب اضطهادها لبعض الفئات من شعبها<sup>(٢)</sup>.

كان أبرز نشاط لهذه الحركة خلال (١٩٥٥م-١٩٦٨م)، وعلى وجه الخصوص في جنوب الولايات المتحدة؛ وكان من أبرز رموزها: جيمس فارمر عن مؤتمر (المساواة العرقية)، ومارتن لوثر كينج عن مؤتمر (القيادة المسيحية الجنوبية)، ومالكوم إكس عن جماعة (أمّة الإسلام)، والناشطة (روزا باركس) التي ترتب على موقفها الشهير بعصيان أوامر سائق الحافلة بالوقوف لراكب أبيض؛ مقاطعة حاشدة من السود للحافلات في (مونتغمري)<sup>(٣)</sup>.

تَوَجَّهت (حركة الحقوق المدنية) إنجازاتها بإصدار قانون الحقوق المدنية عام (١٩٦٤م) الذي أنهى الفصل في الأماكن العامة وحظر التمييز في التوظيف على أساس العرق أو اللون أو الدين أو الجنس أو الأصل الوطني، بعد مسيرة حاشدة دعا لها القسُّ (مارتن لوثر كينج) في (٢٨/ أغسطس / ١٩٦٣م) وقد بلغت نسبة

---

(١) محام وسياسي ودبلوماسي أمريكي، خدم في العديد من المناصب في الحكومة، وعمل في اللجنة التي أسست الأمم المتحدة، وكان عضوًا في وفود البلاد الأولية إلى الأمم المتحدة.

(2) The Portland Black Panthers: Empowering Albina and Remaking a City, Lucas N. N. Burke, Judson L. Jeffries, p41.

(3) The Civil Rights Movement, Peter B. Levy, p103.

المتظاهرين الذين تحركوا وتجمعوا عند نُصْب واشنطن التذكارى ما يقارب ربع مليون متظاهر، ربعهم من البيض، وتُعد تلك المظاهرة أكبر مُظاهرة للسود في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(١)</sup>.

وفي عام (١٩٦٤م) وقَّع الرئيس (Lyndon Johnson) على قانون الحقوق المدنية، الذي يحظر التمييز العنصري في التوظيف والمرافق العامة وغيرها من جوانب الحياة، وتبع ذلك قانون أحقية السود في حق الاقتراع دون الممارسات التمييزية؛ مثل (اختبارات القراءة والكتابة).

أسهم مالكوم في تحسين وضع حركة الحقوق المدنية ودفع وتيرة إنجازها في تحقيق مكاسب للأمريكان ذوي الأصل الإفريقي، بالرغم من عدم انخراطه بشكل كامل في أنشطة الحركة وانتقاده لبعض فعالياتها ذات المنهج السلمى، وقد جاء انفصال مالكوم عن تنظيم أمة الإسلام في وقت متناسب لحركة الحقوق المدنية، وهي في ذروة تحقيق مكاسبها خلال (١٩٦٣م-١٩٦٥م)<sup>(٢)</sup>.

كان مالكوم إكس في حالة عدم اتفاق مع أغلب قادة حركة الحقوق المدنية؛ فكان رافضاً لفلسفتهم في المقاومة ومنهجهم في مخاطبة الناس، فكان يرى أن قادة الحركة يحتوون الصراع بدلاً من قيادته، ففي خطبته (تأمّر قادة اللاعنف) في قاعة (Audubon) بنيويورك قال مالكوم: (عندما يضع قادة حركة الحقوق برنامجاً؛ فإنك لن تجد أي تحرك، والوقت الوحيد الذي تراهم فيه هو الوقت الذي ينفجر فيه الناس، في ذلك الوقت يقتحم القادة ويوجهون للسيطرة على الأمور! أنتم لا تستطيعون أن تذكروا الي قائداً واحداً تسبب بانفجار شعبي، إن القادة يأتون لاحتواء

(1) Discrimination, Jobs, and Politics, Paul Burstein, p69.

(2) From Civil Rights to Black Liberation, Malcolm X and the Organization of Afro-american Unity, William W. Sales, Jr., William W. Sales, p27.

الانفجار وتجدهم يقولون: لا تأخذوا الأمور بالخشونة، عليكم التصرف بذكاء، وهذا هو دورهم، إنهم موجودون كي يكبحوكم ويكبحوني ويكبحوا الكفاح ويبقوه في مسار محدد فلا يخرج عن السيطرة، في حين أننا لا نريد لأيّ كان أن يمنعنا من الخروج عن السيطرة). وفي خطبته الشهيرة بعنوان (زواج الحقل وزواج المنزل)؛ قال منتقداً قادة الحركة: (إن هؤلاء القادة يسيطرون عليكم ولكنهم لم يحرضوا أو يستثيروكم أبداً، إنهم يسيطرون عليكم ويحتوونكم، لقد أبقوكم في مزرعة العبيد!). كما كان ينتقد قادة الحركة في رضائهم بتمويل الحركة من الأمريكان البيض، وكان يبرر رفضه بأن ذلك يميّع القضية ويفقدها صدقها وفعاليتها<sup>(١)</sup>؛ ففي خطبة (تأمّر قادة اللاعنف) انتقد ذلك التمويل بشكل صريح قائلاً: (عقد قادة الحركة اجتماعاً في فندق كارلايل<sup>(٢)</sup> الذي تمتلكه عائلة كينيدي، وهناك قامت جمعية خيرية يرأسها رجل أبيض يُدعى (ستيفن كورير) بدعوة كل كبار القادة، وقال لهم: إنكم بشجاركم تدمرون حركة الحقوق المدنية، ولأنكم تتشاجرون بسبب المال الذي يقدمه التحرريون البيض؛ فلنشكّل ما يسمى بالمجلس المتحد لقيادة حركة الحقوق المدنية، دعونا نشكّل هذا المجلس ونجعل كل فرق حركة الحقوق المدنية تنصوي تحته، وسنستخدمه لجمع التمويل).

وما إن تشكل المجلس -والرجل الأبيض على رأسه- حتى قام هذا بإغداق الوعود وقدم (800 ألف دولار) لكي يقتسمها الستة الكبار فيما بينهم، وأخبرهم أنه بعد القيام بالمسيرة في واشنطن سيكون لهم (700 ألف دولار) أخرى؛ والمجموع مليون ونصف المليون دولار لكي يقتسمها القادة الذين كنتم تتبعونهم، وتذهبون إلى السجون من أجلهم، وتذرفون دموع التماسيح من أجلهم! وعندما نُظّمت

(1) The Death and Life of Malcolm X, Peter Louis Goldman, p74.

(٢) أحد أفخم الفنادق في نيويورك.

الأوضاع أمن لهم الرجل الأبيض أفضل الخبراء في العلاقات العامة، ووضع كل وسائل الإعلام في طول البلاد وعرضها تحت تصرفهم، فأخذت تبرز هؤلاء القادة الستة الكبار بوصفهم قادة المسيرة.

إن الأمر ليشبه أن تكون لديك قهوة شديدة السواد -أي: شديدة القوة-؛ فماذا تفعل؟ تقوم بمزجها ببعض الحليب فتضعفها، وإذا صببت فيها حليباً أكثر مما ينبغي فلن تعرف أن ما تشربه هو القهوة؛ فقد كانت ساخنة فأصبحت باردة، وكانت قوية فأصبحت ضعيفة، وكانت توقظك في السابق وتنشطك لكنها الآن تدفعك إلى النوم!

وفي مقابلة تلفازية له قال مالكوم عن مارتن لوثر كينج: (يدفع الرجل الأبيض للراهب مارتن لوثر كينج ويقدم له الإعانات؛ ليتمكن لوثر كينج من تعليم الزنوج بأن يكونوا ضعفاء!)<sup>(١)</sup>.

على الجانب الآخر كان قادة الحركة ينتقدون توجه مالكوم الانتفاضي، وكان بعضهم يرون هذا التوجه تعطيلاً لمسيرة تحرير السود، وكانوا يوجهون له النقد أحياناً؛ فهذا (جاكي ورنسون)<sup>(٢)</sup> الذي كان يسميه مالكوم (بطلاً من أبطال الرجل الأبيض) يسخر من مالكوم قائلاً: (إنه أصبح مناضلاً في شوارع وحواري هارلم

---

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس - وجهاً لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية، الدقيقة (١:٢٠).

(٢) لاعب كرة قاعدة (بيسبول) أمريكي؛ أصبح أول لاعب أسود يلعب في دوري كرة القاعدة الرئيس في العصر الحديث، وقد كسر الحاجز العنصري المتعلق باللون في كرة القاعدة عندما ظهر لأول مرة مع فريق (روكلين دودجرز) عام (١٩٤٧م)، حيث كان أول رجل أسود يلعب في الدوريات الكبرى منذ الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وقد كان له دور فعال في وضع نهاية للعزل العنصري في لعبة كرة القاعدة الاحترافية، والتي تم خلالها عزل اللاعبين السود ليلعبوا في دوريات مخصصة للزنوج على مدار ستة عقود.



وقتما كان النضال غير خطر!)، وهذا القيادي (جيمس فارمر) يهاجم مالكوم ويصفه بأنه (ظاهرة صوتية ولا يفعل شيئاً)<sup>(١)</sup>، وقد هاجمه (مارتن لوثر كينج) قائلاً: (إن كلام مالكوم إكس يجلب البؤس على الزنوج)<sup>(٢)</sup> حتى بعد موته هاجم كينج أفكار مالكوم بتصريح له بعد اغتياله بأيام؛ فقال: (إن مالكوم قام بدوره، وقد أدى دوراً كبيراً بالإشارة إلى المشكلة وتسليط الانتباه إليها، وللأسف كانت مشكلته الكبرى هي عدم قدرته على تقديم حل واضح)<sup>(٣)</sup>، وكان بعض القادة يتحاشى مجرد الظهور مع مالكوم إكس في الصور أو في أي فعالية عامة خشية تغيير تصنيفه أو قطع الدعم عنه<sup>(٤)</sup>.

وبالرغم من ذلك الخلاف القوي الذي كان بين مالكوم وبقية قادة حركة الحقوق المدنية؛ فإن مالكوم خدم قضية السود داخل أمريكا، وهي حقيقة لا ينكرها أي شخص أمريكي، حتى قادة حركة الحقوق أنفسهم اعترفوا بذلك بالرغم من انتقادهم لمنهج مالكوم؛ فقد قال (روي ويلكينز)<sup>(٥)</sup> عن دور مالكوم: (لقد أسهم مالكوم إكس في إحصاء أخطاء كفاح السود داخل الولايات المتحدة، كما ساعد في تطوير لهجتهم إلى لهجة أكثر جرأة)، كما اعترف (جيمس فارمر) قائلاً: (إن

---

(1) The Night Malcolm X Spoke at the Oxford Union, Stephen Tuck, Henry Louis Gates, p32, 33.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٩٣، مرجع سابق.

(٣) فيلم وثائقي بعنوان: (مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس - وجهًا لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية، الدقيقة (٤٥:٠٠).

(٤) فيلم وثائقي بعنوان: (مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس - وجهًا لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية، الدقيقة (٤١:٠٠).

(٥) قيادي بحركة الحقوق المدنية، وقائد الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين آنذاك (National Association for the Advancement of Colored People NAACP).



مالكوم كان متميزًا في الخطاب العام<sup>(١)</sup>، كما اعترف (جون لويس)<sup>(٢)</sup> القيادي في حركة الحقوق أيضًا قائلاً: (إن مالكوم إكس استطاع بصوته تغيير واقع السود المحبط والمرير أكثر من أي شخص آخر)، كما قال أيضًا (بايارد روستن)<sup>(٣)</sup> وهو معلم مارتن لوثر وموجهه: (إن مالكوم إكس جلب الأمل واستعاد الكرامة للآلاف من زوج الغيتوات<sup>(٤)</sup> البائسين)<sup>(٥)</sup>.

### إسهامات مالكوم في الحقوق المدنية:

تمثلت إضافة مالكوم لحركة الحقوق المدنية في عدة نقاط:

أولها: اجتذاب وتوعية الطبقة الفقيرة والكادحة من الأمريكان السود؛ لكونه عضوًا فعالًا في أمة الإسلام، وكان يستهدف طبقة لم يستهدفها أي من قادة حركة الحقوق المدنية في النوادي الليلية من شاربي المخدرات وبائعات الهوى، فكان يخاطب تلك الفئة ويزرع فيها ثقتها بنفسها ويعزز ثقتهم بعرقهم الأسود، بعدما

---

(1) History for the IB Diploma: Civil Rights and Social Movements in the Americas, MikeScott-Baumann, Mark Stacey, p146.

(2) قيادي في حركة الحقوق المدنية، ورئيس لجنة الطلاب السلمية (Student Nonviolent Coordinating Committee SNCC)، وكان من أحد القادة الكبار الستة لمسيرة واشنطن عام (١٩٦٣م).

(3) أمريكي من أصول إفريقية؛ دَرَسَ تعاليم (غاندي)، وشغل منصب مستشار لوثر كينج وظل معلمه خلال نشاطه ونُبوغه المبكر، وكان روستن هو المنظم الرئيس لمسيرة واشنطن عام (١٩٦٣م).

(4) منطقة يعيش فيها -طوعًا أو كَرْهًا- مجموعة من السكان ذوي خلفية عرقية أو ثقافية أو دينية معينة؛ وأصل الكلمة يعود للإشارة إلى (حي اليهود) في المدينة؛ مثل (الغيتو) في مركز مدينة (روما)، يشار إلى الغيتو في الدول العربية بـ(حارة اليهود)، والغيتو أيضًا درج على وصف الأحياء الفقيرة الموجودة في المناطق المدنية الحديثة.

(5) History for the IB Diploma: Civil Rights and Social Movements in the Americas, MikeScott-Baumann, Mark Stacey, p147.

يدخلهم في برنامج أخلاقي إصلاحي لهم<sup>(١)</sup>، وكانت أمة الإسلام في الستينيات هي أكثر منظمات مجتمع الأفروأمريكان ازديادًا في العدد مقارنة بالكيانات الأخرى<sup>(٢)</sup>. كما أن خروج مالكوم من أمة الإسلام زاد من شعبيته على حساب شعبية التنظيم، فبدأ الكثير من أعضاء الأمة - خاصة أعضاء المسجد السابع الذي كان مالكوم إمامًا له - بالالتفاف حوله<sup>(٣)</sup>، كما جذب الكثير من الأفراد غير المنتمين إلى تنظيم أمة الإسلام إلى كيانه الجديد (منظمة الوحدة الأفروأمريكية / The Organization of Afro-American Unity) على غرار منظمة الوحدة الإفريقية التي جمعت بين رؤساء الدول الإفريقية المختلفة، وكانت تلك إضافة جديدة لمالكوم بعد إضافته القوية عبر بناء تنظيم أمة الإسلام، وكانت المنظمة تسعى لبناء منظمات مجتمعية ومدارس، ومشاريع تجارية للسود، وحملات تسجيل انتخابية لضمان سيطرة مجتمعية على السياسيين السود.

وقد لعبت نشأة مالكوم دورًا مهمًا في اجتذاب طبقة الفقراء داخل حركة الحقوق المدنية؛ حيث كان قادرًا على التواصل مع تلك الطبقة التي تمثل غالبية الأمريكيان من ذوي الأصل الإفريقي، فكان يمتلك القدرة على التواصل معهم بشكل فعال، وكانت تتميز خطاباته بالسلاسة والبساطة والمنطقية التي يستوعبها البسطاء<sup>(٤)</sup>.

- 
- (1) Civil Rights in America and the Caribbean, 1950s – 2010s, Jerome Teelucksingh, p96.
  - (2) Black Power: Radical Politics and African American Identity, Jeffrey O. G. Ogbar, p37.
  - (3) Muslims and American Popular Culture, vol2, Anne R. Richards, IrajOmidvar, p42.
  - (4) From Civil Rights to Black Liberation, Malcolm X and the Organization of Afro-american Unity, William W. Sales, Jr., William W. Sales, p27.

وعن شعبية مالكوم يقول (أليكس هيلي) كاتب سيرته الذاتية: (كان هناك شيء في هذا الرجل يتبلور كلما جمعه بالناس مكان، كان يهيمن على تجمعات القاعات والفضاءات المفتوحة كائنًا من كان الحاضرون)، وقد روى (هيلي) عنوانًا لأحد الصحفيين لمالكوم ذات مرة بعد مؤتمر له بهارلم: (إنه الزنجي الوحيد في أمريكا الذي يستطيع أن يبدأ التمرد أو يوقفه)، وعلق مالكوم على ذلك القول: (لا أعرف إن كنت أستطيع أن أبدأ تمردًا، كما لا أعرف إن كنت سأوقفه إذا ما بدأ)<sup>(١)</sup>.

ثانيها: انفصال مالكوم عن تنظيم أمة الإسلام عام (١٩٦٤م) شكّل إضافة لحركة الحقوق المدنية؛ حيث وصف مالكوم انفصاله عن التنظيم بأنه (تحرُّر) من سيطرة إيجاه محمد عليه، وبذلك فقد اكتسب مرونة في سلوكه السياسي<sup>(٢)</sup>، وقد أعطى انفصاله عن التنظيم حرية سياسية أكثر في تصرفاته وتصريحاته التي هدأت حدتها في النقد لقادة حركة الحقوق، وبدأت تتجه إلى دمج الجهود وقبول التعاون مع أي فصيل حقوقي يعمل على استعادة حقوق السود، وقد صرح بذلك في إحدى خطبه الشهيرة قائلاً: (إنه على السود الاتحاد والالتفاف حول قضيتهم ونسيان الخلافات، دون النظر إلى أي خلفية دينية أو سياسية، حتى لو حدث الخلاف فيجب عدم إظهاره في العلن)<sup>(٣)</sup>، وطبق مالكوم ذلك الكلام في دعمه لبعض الفعاليات السلمية لبعض منظمات حركة الحقوق المدنية؛ مثل: حملة

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٩٥، ٣٩٦، مرجع سابق.

(2) Black Power: Radical Politics and African American Identity, Jeffrey O. G. Ogbar, p6o.

(3) Civil Rights in the USA, 1863s - 1980s, David Paterson, Susan Willoughby, Doug Willoughby, p29o.

(الإضراب عن دفع الإيجار / rent strike rally)<sup>(١)</sup> التي كانت في مدينة (هارلم) والتي نظمتها منظمة من ضمن حركة الحقوق المدنية عام (١٩٦٤ م)<sup>(٢)</sup>، كما أعلن دعمه الصريح والمباشر لحملة (مقاطعة المدارس)<sup>(٣)</sup> في ولاية نيويورك على غرار التي انطلقت في ولاية شيكاغو نهاية عام (١٩٦٣ م) والتي كانت تهدف لإنهاء التمييز العنصري داخل المدارس<sup>(٤)</sup>، وكانت منظمة الوحدة الإفريقية (OOAU) المنشأة من قبل مالكوم قد أسهمت في حملة مقاطعة المدارس بشكل قوي؛ حيث قدمت طلبات لمجلس التعليم في مدينة نيويورك للمطالبة بوضع تلك المدارس تحت إشراف السود؛ حيث كان عدد كبير من تلك المدارس لم يطور منذ وقت طويل، وهدد مالكوم بأنه إن لم توضع تلك المدارس تحت إشراف السود فإنه سيطلب من أولياء الأمور السود إخراج أولادهم من تلك المدارس وإبقائهم في البيت<sup>(٥)</sup>.

---

(١) موجة إضرابات عمّت مدينة هارلم بسبب الإهمال المزمن في المساكن المستأجرة تدعو المستأجرين للامتناع عن دفع الإيجار، وقد أصبح تكتيكًا شائعًا بين الطلاب في المدن الجامعية ومستأجري الإسكان العام الذين كانوا يعيشون في ظروف مأساوية بسبب نقص التمويل والسياسات الفيدرالية العنصرية.

(2) Civil Rights in the USA, 1863s - 1980s, David Paterson, Susan Willoughby, Doug Willoughby, p290.

(٣) موجة انطلقت في مدينة شيكاغو عام (١٩٦٣ م) للاعتراض على نظام الفصل العنصري في التعليم الذي كانت تصر عليه الولاية، رغم صدور حكم قضائي يمنع الفصل، وقد تفاقم الوضع بسبب هجرة الكثير من الأمريكيين السود إلى الولاية، وكانت مدارس السود غير كافية، وكانت الفصول تعقد في الممرات وأحيانًا كانت هناك فصول متنقلة عبارة عن مقطورات ألومنيوم تنتقل بين الأحياء، ولم تكن هناك كتب كافية للطلاب بسبب الزحام.

(4) From Every Mountainside: Black Churches and the Broad Terrain of Civil Rights, R. Drew Smith, p148.

(5) Black Religious Leaders: Conflict in Unity, Peter J. Paris, p209.

وقد أسهمت استقلالية مالكوم إكس عن تنظيم أمة الإسلام في تأسيسه الوحدة الإفريقية (OAU)؛ الأمر الذي أسهم في تدويل قضية حركة الحقوق المدنية ونقلها من الإطار المحلي إلى الإطار الدولي، وقد صرّح مالكوم إكس في أحد المؤتمرات المنظمة: (إن أي عمل نضالي لأي زعيم من أصل إفريقي لن يأتي ثماره، إلا عن طريق تدويله وربطه بالكفاح العالمي ضد العنصرية)، وقد قرر مالكوم تعميق العلاقة بين قضية الأمريكان السود والقارة الإفريقية، والاستفادة من خبرات نضالهم ضد الاستعمار الأوروبي<sup>(٦)</sup>، وقد بدأ مالكوم عن طريق منظمته تحويل قضية الحقوق المدنية إلى قضية حقوق إنسان ضد الإمبريالية<sup>(٧)</sup> التي تقودها الولايات المتحدة؛ فقد ارتكن مالكوم في تحديده لمعالم الصراع العنصري داخل الولايات المتحدة إلى الهوية الإفريقية، وكان يرى أن بداية هذه الهوية الوحدوية تكون من خلال إدراك ووعي من السود للاستفادة من الخبرات التاريخية في مواجهة الاستعمار، وحذر من الولايات المتحدة وبعض المنظمات الدولية التي تستخدم نفس سياسة الاستعمار لكن تحت دعاوى ومظلات مختلفة؛ لذلك أطلق مالكوم على سياسات الولايات المتحدة في الحقبة التي أعقبت حصول الدول الإفريقية على الاستقلال مُسمًى (الاستعمار الإنساني)<sup>(٨)</sup>.

وفي تلك الحقبة تغيّر مفهوم الصراع العرقي لدى مالكوم؛ فكان يقول: (نحن نعيش في عصر انتفاضة، وانتفاضة الزنوج الأمريكيين هي جزء من التمرد ضد

---

(6) Black Liberation in the Midwest: The Struggle in St. Louis, Missouri, 1964s-1970s, Kenneth Jolly, p119.

(٧) استعمار أو احتلال أو نزعة تسلّطية من بعض الدول للاستحواذ على بعض الأقاليم المستقلة أو شبه المستقلة، بالسيطرة الاقتصادية والسياسية.

(٨) مرزوق، باسم رزق. الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي، ص ٢١٣، بتصرف واختصار.



القمع والاستعمار الموجودين في هذا العصر...، ليس صحيحًا أن نصنّف انتفاضة الزنوج بأنها صراع عرقي من جانب السود ضد البيض، أو أن نصنّفها كمشكلة أمريكية بحتة، لكننا اليوم نشهد انتفاضة عالمية من المظلومين ضد الظالمين، ومن المُستغلين ضد المُستغلين<sup>(١)</sup>.

ثالثها: إسهامات مالكوم إكس لحركة الحقوق كانت في تقديم نفسه كبش الفداء للحركة؛ حيث إنه كان البديل غير المرغوب فيه للحكومة الأمريكية، حيث كان الحل المطروح من قبل مالكوم أصعب بكثير من حل المنظمات السّلمية التي تطالب فقط بمطلب الاندماج مع البيض، في حين كان يطالب مالكوم وقتما كان في تنظيم الأمة بحل الانفصال؛ أي انفصال السود على أرض مستقلة داخل الولايات المتحدة، مع إلزام الحكومة الأمريكية بتوفير كل المقومات لقيام ذلك الانفصال مستندًا في ذلك إلى أن الرجل الأبيض هو مَنْ جاء بأجداده إلى تلك الأرض، وقد انتهت حِقبة العبودية ولم تستوعبهم الدولة بإعطائهم حقوقهم الكاملة داخلها، وكان يدعم ذلك التوجه عدد من تابعيه وقتها في تنظيم أمة الإسلام الذي كان في أقل التقديرات (٢٥٠ ألف مُتسبب) داخلها، كما أن منهجية مالكوم في السعي لتنفيذ هذا الحل تستند إلى مبدأ (الانتفاضي)؛ أي استخدام كل وسائل المقاومة الممكنة والاحتفاظ بحق الرد على الاعتداء، وظهر ذلك في تعاملاته مع الشرطة في عدد من حوادث التعدي على السود، حتى بعد انفصال مالكوم عن أمة الإسلام وتنازله عن فكرة إقامة الدولة ظل متمسكًا بمنهجية (الانتفاضي) والحق في رد الاعتداء؛ وهو ما سهل مهمة قبول حل منظمات حركة الحقوق المدنية السّلمية المحصور فقط في الاندماج متبعا المنهج السلمي، وقد أقر بذلك مالكوم

---

(1) Black Liberation and Socialism, Ahmed Shawki, p181.



في آخر حياته عندما التقى بمارتن لوثر في مؤتمر صحفي في مبنى (الكابيتول/ Capitol)<sup>(١)</sup> وهي المرة الوحيدة التي التقيا فيها؛ تجمّع الصحفيون حولهم وطلبوا من مالكوم التعليق على قانون الحقوق المدنية؛ فقال مالكوم - وهو مبتسم ابتسامة عريضة-: (إذا رفض الرجل الأبيض هذا القانون فإنني موجود هنا لأذكره بالبديل للدكتور كينج). ثم أضاف كينج: (إذا لم يُسنَّ القانون فإن أمتنا ستدخل في ليل مظلم من الاضطراب الاجتماعي)، ثم غادر الاثنان منهيين اللقاء الوحيد بينهما وجهًا لوجه<sup>(٢)</sup>.

تأكدت تلك الرؤية في حديث مالكوم إكس لعقيلة مارتن لوثر كينج في مؤتمر داخل الكنيسة بأنه يحاول أن يساعد دكتور كينج بتقديم بديل سهل على البيض قبول عرض كينج؛ وفي خطابه لجمهور الكنيسة قال مالكوم: (أنا لا أدافع عن العنف، ولكن إذا داس رجل على أصابع قدمي فإنني سوف أدوس على أصابع قدمه، يجب أن يعدّ البيض أنفسهم محظوظين لكون مارتن لوثر كينج هو الذي يجمع السود حوله؛ لأن هناك قوات أخرى تنتظر أن يفشل لتتولاهم)<sup>(٣)</sup>.

وفي موقف آخر يرويهِ الروائي أليكس هيلي؛ أنه كان في طريقه إلى حضور مراسم أداء أخيه الأصغر القسم عقب انتخابه عضوًا في مجلس الشيوخ بكونجرس الولاية؛ فقال له مالكوم: (قل لأخيك ألا ينسانا، قل له إن عليه وعلى أمثاله من الزنوج المعتدلين الذين وصلوا أن يتذكروا دائمًا أننا نحن المتطرفين من مهدوا لهم الطريق)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المقر الرئيسي للسلطة التشريعية الفيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية.  
(2) Malcolm X, African American Revolutionary, Dennis D. Wainstock, p97.

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٤٢٨، مرجع سابق.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

كان من الممكن لمالكوم تغيير منهجه بعد رحيله عن تنظيم أمّة الإسلام، لكنه تمسك به رغبة منه في تقديم الدور المناسب للبديل غير المرغوب فيه للحكومة الأمريكية، وتسهيل قبول بديل المنظمات السّلمية لحركة الحقوق، وقد أثار تمسك مالكوم بمنهجيته في شعبيته بين الزوج؛ ففي استطلاع رأي أجرته (The New York Times) بين زوج نيويورك لمعرفة مَنْ هو الزعيم الزنجي الذين يعتقدون أنه يقوم بأفضل عمل من أجلهم؛ فقال ثلاثة أرباع المشاركين إنه مارتن لوثر، وقال ستة في المائة فقط من المشاركين إنه مالكوم إكس؛ فقال مالكوم تعليقا على ذلك موجها كلامه لأليكس هيلي: (هل تعلم أن بعض أعظم الرجال الذين عرفهم التاريخ لم يُعترف بهم إلا بعدما واراهم التراب!)<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٧.

## المبحث الثالث

### التلاقح الفكري بين مالكوم إكس والعرب

إن العنصر العربي كان مكونًا مهمًا في حياة مالكوم إكس ومؤثرًا قويًا في تشكيل أفكاره وآرائه وإرشاده، لا سيما في آخر حياته وبعد انفصاله عن تنظيم أمة الإسلام واهتدائه للإسلام الصحيح وتخليه عن أفكار التنظيم العنصرية، وقد تم ذلك الأمر عبر رحلاته إلى الدول العربية التي قابل فيها كبار المسؤولين من رؤساء وملوك وأمراء وسفراء، وعبر علاقاته الشخصية بالعرب الذين يعيشون في أمريكا سواء للدراسة أو العمل.

وقد توطدت أول علاقة لمالcolm إكس بالعرب من خلال أنشطة تنظيم أمة الإسلام الذي كان معتنقًا لأفكار القومية السوداء التي تؤمن بأن الديانة الأصلية للرجل الأسود هي الإسلام واللغة الأصلية له هي اللغة العربية، وأجبره الرجل الأبيض على ترك ديانته الأصلية ولغته<sup>(1)</sup>، فكانت أمة الإسلام تعني بتدريس اللغة العربية داخل مدارسها وفصولها لكونها ركيزة من ركائز القومية السوداء<sup>(2)</sup>.

وكان زعيم تنظيم أمة الإسلام (إليجاه محمد) يسعى إلى مد جسور التواصل مع الدول الإسلامية والإفريقية، وكان يرى تلك الدول بعقيدتها المسلمة وعرقها الأسود جذورًا لتنظيمه الممتد على أرض الولايات المتحدة، وتوطيد العلاقات معهم يقوي ويدعم أفكار ونفوذ التنظيم، وقد بدأ في إعداد مالcolm إكس لتلك

(1) Black Muslim Religion in the Nation of Islam, 1960s - 1975s, Edward E. Curtis IV, p2.

(2) Islam, Black Nationalism and Slavery: A Detailed History, Adib Rashad, p220.

المهمة عام (١٩٥٩م) بإرساله كمندوب عن التنظيم لزيارة بعض الدول المسلمة والدول الإفريقية لمدة ثلاثة أسابيع، زار خلالها (مصر، والسعودية، والسودان، ونيجريا، وغانا)، وكانت مصر هي صاحبة الحظ الأوفر من الزيارة؛ حيث قضى فيها (١١ يومًا)، وكان من المخطط مقابلته الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلا أن المقابلة ألغيت في اللحظات الأخيرة من قبل الرئيس المصري دون معرفة الأسباب، وخمن بعض المحللين أنه ألغي الموعد بإيعاز من الـ(CIA)<sup>(١)</sup> للرئيس المصري<sup>(٢)</sup>.

وفي القاهرة زار بعض المعالم السياحية؛ مثل: (الأهرامات، وأبو الهول، وجامعة الأزهر العريقة)، والتقى برئيس الجامعة وبعض علمائها وطلابها، وأعرب مالكوم عن سعادته بوجوده في القاهرة لسماعه اللغة العربية من أهلها خلال الصلوات الخمس، بالرغم من إجادته القليلة لها<sup>(٣)</sup>، ومن القاهرة اتجه إلى مدينة جدة في السعودية، وقد كان ينوي الحج وقتها لكنه قام بإلغائه بسبب مرضه، ثم من جدة انطلق إلى السودان وزار ولاية الخرطوم وأم درمان<sup>(٤)</sup>، وقد لقي ترحيبًا كبيرًا في السودان وصفه بأنه شعر أنه (داخل منزله)<sup>(٥)</sup>، ثم استكمل جولته في الدول الإفريقية بعد زيارته لتلك الثلاث دول العربية.

كان لتلك الرحلة عامل مهم في تشكيل وعي مالكوم؛ فكانت من المفاتيح التي كسرت أقفال العنصرية في أفكاره؛ حيث لم يقابله أي مظهر من مظاهر الكراهية أو العنصرية التي يواجهها السود في أمريكا، بل على العكس تمامًا؛ فقد

---

(١) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

(2) Malcolm X, African American Revolutionary, Dennis D. Wainstock, p49, 50.

(3) On the Side of My People: A Religious Life of Malcolm X, Louis A. DeCaro, p141.

(٤) أكبر مدينة في السودان، وتشكل الجزء الأكبر من ولاية الخرطوم.

(5) The Production of American Religious Freedom, Finbarr Curtis, p122.

وجد الترحيب والحفاوة والتقدير من الشعوب وكبار المسؤولين، كما لفت نظره شطط منهج تنظيم أمة الإسلام العقدي وبقما خالط علماء الأزهر واختلط بأهل البلدان التي زارها.

وأما جولته الثانية للدول العربية فقد كانت أعمق وأثري وذات تأثير قوي في تغيير أفكاره، وأبرزها كانت رحلة الحج التي قام بها عام (١٩٦٤م) والتي كانت عقب انفصاله عن تنظيم أمة الإسلام، وكانت رحلة ذات طبيعة محورية؛ حيث قضت على أفكاره العنصرية وصححت عقيدته المسلمة بتركه معتقدات أمة الإسلام وإعلان انتمائه للإسلام الصحيح، وقد سجل انطباعاته وتحولاته تلك في مذكراته التي كتبها (أليكس هيلي)؛ فقال: (بدأت أعيد النظر في تقويمي للرجل الأبيض، وأدركت أننا حين نستعمل عبارة الرجل الأبيض لا نقصد اللون وإنما نقصد المواقف والمعاملة، عندما نقول رجل أبيض في أمريكا نعني مواقف خاصة ومعاملة خاصة للإنسان الأسود ولكل من ليس بأبيض، ولكنني في العالم الإسلامي وجدت رجالاً بيضاً أكثر تلقائية في إخوانهم من أي شخص آخر، ذلك الصباح تغيرت نظرتي الشاملة للبيض!)<sup>(١)</sup>.

وفي خطاب أرسله لزوجته (بيتي شبار) بث فيه مالكوم مشاعره وتحولاته الفكرية؛ حيث قال فيه: (إنني لم أشهد في حياتي أصدق من هذا الإخاء بين أناس من كل الألوان والأجناس، وأذهلونني خلال الأسبوع الماضي بما رأيته منهم من لطف)، كما أضاف: (لقد منَّ الله عليَّ فحججت البيت، وطفقت به برفقة مطوِّف اسمه (محمد)، ورؤيت من ماء زمزم، وسعيت بين الصفا والمروة، وصليت في منى، ووقفقت بعرفات مع عشرات الآلاف من الناس الآتين من كل الأرض والذين

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٢٨، مرجع سابق.

يمثلون كل درجات الألوان البشرية، من الشقر ذوي العيون الزرقاء إلى الأفارقة السود، فأديت معهم المناسك نفسها في إحاء ووحدة، كنت أحسب من تجربتي في أمريكا أنهما أمران مستحيلان بين الإنسان الأبيض والأسود؛ قد يدهشكم ما أقوله، ولكن ما رأيته وعشته في هذه الحجة قلب أفكاري وجعلني أتخلص بسهولة من بعض استنتاجاتي السابقة، لقد كنت دائماً أحاول بالرغم من اقتناعاتي السابقة أن أجابه الوقائع وأقبلها على ضوء التجارب والاكتشافات؛ لأنني أملك عقلاً متفتحاً ومرناً، وهما الصفتان الضروريتان للبحث عن الحقيقة<sup>(١)</sup>.

وبعد ذكر تفاصيل كثيرة لرحلة الحج في الخطاب؛ ذيَّله بتوقيع باسمه الجديد (الحاج مالك الشباز)، وهو مُسمَّى عربي اختاره بعد رجوعه من رحلة الحج؛ فاسم (مالك) هو اسم عربي قريب من مالكوم، واسم (الشباز) هو اسم قبيلة إفريقية كان ضمن معتقدات تنظيم أمّة الإسلام أن المسلمين السود ينحدرون من تلك القبيلة<sup>(٢)</sup>، وقد صرح مالكوم بأنه استخدم ذلك اللقب في البلدان العربية والإفريقية فقط، وأنه سيستخدم لقبه (إكس) طالما ظل سبب وجوده قائماً -وهو مكافحته للعنصرية-<sup>(٣)</sup>.

وبعد رحلة الحج الفاصلة في حياة مالكوم؛ قام بجولة عربية وإفريقية جديدة أقوى من التي سلفت وهو في تنظيم الأمة، وقد زار فيها (مصر، والمغرب، والجزائر، ولبنان، والسودان، وغانا، ونيجيريا، وتنزانيا، والسنغال، وأوغندا، وكينيا، وغينيا)؛ وفي تلك الرحلة قابل عدة مسؤولين، وألقى بعض المحاضرات،

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٤.

(٢) لوبشير، إمباي. أمريكا: الإسلام والسودان - قراءات في غياهب الفكر السياسي الحديث، فصل (المسلمون الأمريكيو الأصل).

(٣) مقابلة صحفية مصورة مع مالكوم إكس قامت بها صحيفة الجارديان بعنوان: (Malcolm X after return from Mecca).



وزار العديد من المدن والعواصم العربية<sup>(١)</sup>، ومن أبرز مَنْ قابل في تلك الرحلة الرئيس المصري (جمال عبد الناصر)، ومفتي مصر الشيخ (محمد حسنين مخلوف)، وقد منحه الشيخ مخلوف (٢٠ منحة) للدراسة في جامعة الأزهر للأمريكان السود لدراسة الإسلام الصحيح<sup>(٢)</sup>، كما قابل (عبد الرحمن عزام) أمين عام جامعة الدول العربية<sup>(٣)</sup> الذي كان صاحب نظرية سياسية فريدة في شؤون العالم العربي، وكان متابعًا للصراع العنصري في أمريكا - وخاصة نشاط مالكوم إكس -، ونشأت بينهما علاقة ودية من خلال الدكتور (محمد يوسف الشواربي) المُعار من جامعة القاهرة مستشارًا للأمم المتحدة في نيويورك، وكان حينها يقيم في السعودية، وقد انبهر مالكوم بكرمه واهتمامه بأخباره ونشاطه في أمريكا<sup>(٤)</sup>، وقد التقى في السعودية بالملك (فيصل بن عبد العزيز) وبالعديد من الشخصيات السعودية والعربية والإسلامية؛ منهم الحاج (أمين الحسيني)<sup>(٥)</sup> الذي تزامن حجه مع مالكوم، والذي كان أشقر ومن ذوي العيون الزرقاء، وهو من أحد المؤثرات التي أثرت في إبطال القناعات العنصرية لدى مالكوم وأن الإسلام الصحيح لا يقتصر على لون أو عرق معين، وقد قابل القاضي (محمد بن علي الحرکان) الذي تولى بعد ذلك وزارة العدل في السعودية، ووقتها كان قاضيًا يقضي بإسلام

(1) Black Star, Crescent Moon, SohailDaulatzai, p35.

(2) Malcolm X: From Political Eschatology to Religious Revolutionary, dustin J. byrd, sayedjavadmiri, p109.

(٣) منظمة إقليمية تضم دولاً في آسيا وإفريقيا، ويعد أعضاؤها دولاً عربية، وينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، ومن ضمنها العلاقات التجارية والاتصالات والعلاقات الثقافية والجنسيات ووثائق وأذونات السفر والعلاقات الاجتماعية والصحة، ومقرها الدائم في القاهرة.

(٤) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٢٧، مرجع سابق.

(٥) المفتي العام للقدس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، ورئيس اللجنة العربية العليا، وإحدى أبرز الشخصيات الفلسطينية في القرن العشرين، توفي عام (١٩٧٤م).

مالكوم، فوجّه إليه عدة أسئلة عن صدق إسلامه، وعندما أجابه كأنه لم يكتفِ بأجوبته، فأعطاه كتابين عن الإسلام أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية، وسجل اسمه في قائمة المسلمين، ثم قال له: (أمل أن تكون داعيًا عظيمًا للإسلام في أمريكا)؛ فرد مالكوم قائلاً: (إنني أشاركك هذا الدعاء)<sup>(١)</sup>، أما الملك (فيصل) فقد عدّه ضيفًا رسميًا على الدولة؛ فرافقه رئيس البروتوكول الملكي، ووضع سيارة خاصة لتحركاته، وخُصّص مقر إقامة رسمي لمالكوم في كل مدينة زارها، وقد علق مالكوم على ذلك الاستقبال المُبهر له قائلاً: (وهو تكريم مخصص في أمريكا للملوك لا للزنوج)<sup>(٢)</sup>، وقد عاتب الملك (فيصل) مالكوم على معتقدات منظمة أمّة الإسلام ودعاه لاعتناق الإسلام الصحيح<sup>(٣)</sup>.

وفي الجزائر قابل مالكوم الرئيس (أحمد بن بلة)<sup>(٤)</sup> وكان بلة قد دعا مالكوم لحضور مؤتمر بصحبة تشي جيفارا<sup>(٥)</sup>، كما التقى بـ(طاهر قايد)<sup>(٦)(٧)</sup>، وقد تركت تلك المقابلات أثرًا طيبًا لدى مالكوم، وقد تأثر مالكوم بالانتفاضة الجزائرية، وكان يرى أنه يجب الاستفادة منها في صراع الأمريكان السود ضد العنصرية في أمريكا، وأنها من الانتفاضات التي قدمت تضحيات كبيرة ضد الاحتلال الفرنسي، ووصف مالكوم الجزائريين في مذكراته قائلاً: (كان الجزائريون انتفاضة حقا،

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٣٠، مرجع سابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٥.

(3) Anas Luqman: The Man NOI asked to kill Malcolm X, Ital Iman, p33.

(٤) أول رؤساء الجزائر بعد الاستقلال.

(٥) إرنستو تشي جيفارا، المعروف باسم (تشي جيفارا)؛ طبيب وكاتب وزعيم حرب العصابات، وقائد عسكري ورجل دولة عالمي، وشخصية رئيسة في الانتفاضة الكوبية، وأصبحت صورته المنمقة منذ وفاته رمزًا في كل مكان وشارة عالمية ضمن الثقافة الشعبية.

(٦) السفير الجزائري في غانا.

(7) Africa and the Americas: Culture, Politics, and History, vol1, Richard M. Juang, Noelle Morrissette, p83.

عاشوا الموت من قرب فلم يعودوا يرهبونه)، كما وصف الانتفاضة الجزائرية قائلًا: (الانتفاضة تحطيم نظام وإقامة نظام آخر مكانه كما حدث مع الانتفاضة الجزائرية التي أخرجت الفرنسيين الذين كانوا هناك منذ مائة عام).

لقد كانت تلك الرحلة للدول العربية المسلمة بمنزلة (حلم البراءة) لمالكوم مثلما وصفه المفكر عبد الوهاب المسيري في كتابه (الفردوس الأرضي)؛ حيث قال: (الوطن العربي مع ذلك ليس الفردوس الذي رآه مالكوم؛ لأنه وطن له جوانبه المظلمة، شأنه في ذلك شأن أي بقعة أخرى في العالم، لكن مالكوم تعامل مع الوطن العربي من منظوره هو، كأمريريكي أسود يعاني ويلات التفرقة العنصرية، ومن هذا المنظور اكتشف مالكوم أن الوطن العربي لا يقف في طريق نمو الإمكانيات الإنسانية للإنسان الأسود، لذلك وجد مالكوم في العالم العربي الإسلامي تحقيقًا جزئيًا لحلمه بالبراءة، وبالعالم خالٍ من التفرقة العنصرية)<sup>(١)</sup>.

### شخصيات عربية أثرت في فكر مالكوم:

كان لبعض الشخصيات العربية نصيب في تشكيل فكر مالكوم إكس وتصحيح مذهبه العقدي وأفكاره العنصرية، وكان للسودان نصيب الأسد من تلك الشخصيات؛ مثل: الشيخ (أحمد حسون)، والبروفيسور (أحمد صادق عثمان)، والدكتور (مالك البدري)؛ ومن مصر كانت هناك شخصية محورية في حياة مالكوم، وهو من زكاه للسفارة السعودية في أمريكا لإعطائه تأشيرة الحج؛ وهو الدكتور (محمد يوسف الشواربي) المعمار من جامعة القاهرة مستشارًا للأمم المتحدة في نيويورك.

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. الفردوس الأرضي، ص ١١٣، مرجع سابق.

يُعد الشيخ أحمد حسون السلفي الزعيم الأسبق لجماعة أنصار السنة المحمدية<sup>(١)</sup> بالسودان ذا تأثير مباشر على مالكوم إكس؛ وهو سوداني من مواليد (١٨٩٧م)، تخرج في مدرسة البريد والبرق، وكان يجيد اللغة العربية والإنجليزية نتيحة عمله لسنوات طويلة بإدارة البريد قبل استقلال السودان<sup>(٢)</sup>، وبسبب إجادته اللغة الإنجليزية انتدبته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة للعمل كداعية للمسجد الإسلامي السابع بهارلم، والذي كان خطيبه والمسؤول عنه مالكوم إكس. ورافق الشيخ حسون مالكوم إكس في الكثير من المحافل الخطابية، وكان يلتقط له العديد من الصور برفقة مالكوم، وكان ذا أثر كبير في نصحه وإبانه أحكام الشرع له، وقد كان الشيخ حسون رفيقاً حميماً لمالكوم إبان أيامه الأخيرة التي اكتظت بالمخاطر والنزاع مع تنظيم أمّة الإسلام التي نفذت تهديدها له باغتياله<sup>(٣)</sup>.

ولقد روى أليكس هيلي في خاتمة مذكرات مالكوم إكس أن الشيخ حسون قام بتغسيل وتكفين مالكوم عقب اغتياله وتجهيز جثمانه للدفن طبقاً لتعاليم الإسلام، بعدما كان مجهزاً حسب التقاليد الغربية المسيحية؛ فذكر هيلي: (وشرع الشيخ حسون في تجهيز الجثة حسب التقاليد الإسلامية؛ فخلع عنها الملابس الغربية

---

(١) جماعة سنية سلفية إصلاحية على منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال والاعتقاد والاتباع وفي مناهج السلوك والسير إلى الله جملةً وتفصيلاً من خلال الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع والخرافات وإحياء دعوة الإسلام بالقرآن والسنة واتباع سلف الأمة، ونشأت في القاهرة عام (١٩٢٦م).

(٢) باشري، محجوب عمر. رواد الفكر السوداني، دار الجيل، بيروت، ص ٤٥.

(٣) أحمد، محمد وقيع الله. أربعة مؤثرات سودانية في فكر مالكوم إكس، هيئة الأعمال الفكرية

السودانية، كراسة فكرية رقم ١٥، ص ١٦، الرابط: <http://fikria.org/?p=863>

التي كانت معروضة فيها، ثم لفها في القطع السبع التقليدية البيضاء التي تعرف بالكفن، حتى لم يبقَ يظهر منها إلا الوجه بشاربه الأحمر ولحيته الحمراء الصغيرة، ثم وقف مرافقوه بجوار التابوت وبدؤوا يتلون آيات من القرآن الكريم، ثم التفت إلى أحد ممثلي دار الجنازة وقال: الجثمان الآن جاهز للدفن<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أحمد صديق عثمان:

من الشخصيات العربية التي أثرت في تشكيل فكر مالكوم إكس هو الأستاذ الدكتور (أحمد صديق عثمان)؛ الأستاذ الجامعي في جامعة (هارفارد) والخبير الاقتصادي لكثير من المؤسسات الاقتصادية والنقدية العالمية، وكانت مقابلهما في مرحلة دراسته الجامعية -أي: دراسة أحمد صديق عثمان-، وقاده القدر لحضور محاضرة لمالكوم في ظهيرة أحد أيام الأحد بالمسجد السابع في نيويورك، وبعد أربع ساعات من الحديث المتصل لمالكوم أمام جمهور عدده حوالي خمسمائة شخص، فُتح باب النقاش وواجهه الطالب الجامعي -وقتها- أحمد صديق عثمان باعتراضه على كثير من أفكاره التي عرضها خلال المحاضرة، وأنها على النقيض تماماً من تعاليم الإسلام الأصيل، لا سيما ذلك الاعتقاد العجيب في إيجاه محمد على أنه رسول مبعوث من عند الله تعالى، ثم تلك التفسيرات المنكرة لموضوع اللون والعرق<sup>(٢)</sup>.

ويروي الدكتور أحمد عن تلك المواجهة بينه وبين مالكوم؛ فيقول: (لقد أخبرته أن كثيراً من العقائد والآراء التي تتبناها طائفة المسلمين السود هي على

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٥٦، مرجع سابق.

(٢) مقابلة تلفزيونية للدكتور (أحمد صديق عثمان) على قناة الشروق السودانية، في برنامج (الحد الأدنى)، بعنوان: (الصديق السوداني لزعيم أمة الإسلام مالكوم إكس يتحدثنا عن حياته).

النقيض تمامًا من تعاليم الإسلام الصحيح<sup>(١)</sup>.

نشأت علاقة ودية بين مالكوم إكس وأحمد عثمان، وبعد ذلك تبادل معه الكثير من الخطابات والرسائل، وكان مالكوم يتفرغ للإجابة على رسائل أحمد عثمان رغم انشغاله الغالب، والتي كانت أغلبها إجابات عن بعض تساؤلات مالكوم إكس وما كانت تثيره من موضوعات، وقد نشر أحمد عثمان رسالة من ضمن تلك الرسائل، وفي تلك الرسالة يخاطبه مالكوم إكس عن بعض معاني الآيات التي أشكلت عليه في الفهم ونصه كالآتي<sup>(٢)</sup>: (أخي العزيز، عسى أن تجدك هذه السطور وأنت تهنأ بالصحة والرغد والسعادة بإذن الله تعالى. خلال الشهرين الفارطين كنت في ترحال مستمر؛ لذا لم أجد أدنى فرصة لأكتب لك ردًا على رسالتك إليّ، وأود أن أحدثك الآن بأني قد استمتعت مليًا بقراءة كتيبات شرح الدعوة الإسلامية التي بعثتها لي، وإني لأود أن أبث هذه الكتيبات وسط حشود الإخوة والأخوات هنا، وذلك بمجرد أن أجد الوسائل اللازمة لإعادة طبعها ونشرها، وأود أن أخبرك بأمر آخر هو أن بحوزتي ترجمتين لمعاني القرآن الكريم الأولى بقلم (يوسف علي) والثانية بقلم (محمد علي)، وإني لأوثر الأولى بمزيد حبي وإعجابي، في رسالتك القادمة إليّ أرجو أن تشرح لي معنى الآية الكريمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ؕ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، والآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وأسأل الله تعالى أن يوالي نعمه وهدايته عليك. أخوك: مالكوم إكس).

(١) أحمد، محمد وقيع الله. أربعة مؤثرات سودانية في فكر مالكوم إكس، ص ٢١، مرجع سابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣.



وقد وضع له الدكتور أحمد عثمان هذا اللبس الذي كان يعانيه مالكوم من إدراك معنى كلمة «زُرْقًا» في الآية الكريمة، فمالكوم كان يعاني حساسية مفرطة تجاه اللون؛ حيث كان يلاحظ أن كل ما هو منكر وشائن من شؤون الحياة كان يطلق عليه وصف السواد، وأن كل ما هو حسن ومليح يسبغ عليه وصف البياض، وقد أدهشه أن يجد مثل ذلك في القرآن الكريم، وقد دله أحمد عثمان على المعنى الصحيح الذي اشتملت عليه بعض كتب التفسير، وهو أبعد ما يكون عن المعنى الذي قد يكون ترامي إلى خاطر مالكوم إكس<sup>(١)</sup>.

ومن ضمن مآثر الدكتور أحمد عثمان أنه قام بتقديم مالكوم إكس إلى الداعية المصري الدكتور (محمد يوسف الشواربي)، وكان الدكتور الشواربي في ذلك الوقت يعمل مديرًا للمركز الإسلامي في نيويورك، وقد كان التعارف في لحظة مناسبة عقب انشقاق مالكوم عن منظمة (أمة الإسلام) بقيادة إيجاه محمد، وهي اللحظة التي أعطت مالكوم فرصة جيدة لمراجعة تراثه الفكري ومعتقداته والرجوع للإسلام الصحيح وترك أفكاره العنصرية<sup>(٢)</sup>.

### ثالثًا: الدكتور مالك بدري:

من ضمن المؤثرات التي أثرت في فكر مالكوم، هو العالم السوداني الدكتور (مالك بدري) الذي نزل عليه مالكوم إكس ضيفًا في زيارته الأولى للسودان عام (١٩٥٩م)، والدكتور مالك بدري عالم نفس عربي شهير وشخصية مرموقة

---

(١) أحمد، محمد وقيع الله. أربعة مؤثرات سودانية في فكر مالكوم إكس، ص ٢٤، مرجع سابق.  
(٢) مقابلة تلفزيونية للدكتور (أحمد صديق عثمان) على قناة الشروق السودانية، في برنامج (الحد الأدنى)، بعنوان: (الصديق السوداني لزعيم أمة الإسلام مالكوم إكس يتحدثنا عن حياته).

في البحث بالسودان والعالم الإسلامي<sup>(١)</sup>، استثمر فرصة وصول مالكوم إلى السودان فاستضافه في بيته ودعاه للعشاء للحديث عن التصور الصحيح للإسلام دون التطرق لانحرافات إيجاه محمد وأفكار تنظيم أمة الإسلام، وأثيرت في تلك الجلسة عدة موضوعات وأبدى فيها مالكوم للبدرى إعجابه بالانتفاضة (المهدية) التي قامت في القرن (التاسع عشر) ضد الإنجليز، والطريقة التي هزموا بها البريطانيين في عدد من المعارك، ويكمن إعجابه في تلك الانتفاضة بانتصار العرق الأسود على الأبيض<sup>(٢)</sup>.

كما اصطحبه الدكتور بدرى في جولة لمدارس الأحفاد التي كان يعمل ناظرًا لها آنذاك، وأعجب مالكوم بتجربة تلك المدارس التي أسسها (بابكر بدرى) والد الدكتور مالك لمكافحة نشاط المدارس التبشيرية المنتشرة في السودان في ذلك الوقت، وظل مالكوم على علاقة مع الدكتور بدرى عبر المراسلات الخطائية، حتى أنه في رحلته العربية الثانية قصد مالكوم زيارة لبنان خصوصًا لمقابلة الدكتور مالك بدرى، وقد سعى الدكتور بدرى لاستضافة مالكوم في الجامعة الأمريكية في بيروت ليلقي محاضرة داخل الجامعة؛ حيث كان يدرس الدكتور بدرى، لكنه لقي اعتراضًا من رئيس الجامعة وقتها واصفًا مالكوم بأنه (مُعَادٍ لأمريكا)، وسعى بدرى

---

(١) نال الدكتور مالك بكالوريوس الآداب بدرجة ممتاز من الجامعة الأمريكية في بيروت عام (١٩٥٦م)، وتحصل على الماجستير في جامعة (ليستر) بإنجلترا عام (١٩٥٨م)، وكذلك الدكتوراة في (ليستر) عام (١٩٦١م)، إضافة إلى شهادة التخصص في علم النفس السريري عام (١٩٦٧م)، وقد قدم المؤلف بحوثًا علمية بعد نيله درجة الدكتوراة وذلك بشعبة الأمراض النفسية والعصبية بمستشفى ميدلسيكس بلندن.

(٢) تقرير صحفي على موقع (huffingtonpost) أعدته الصحفية (إميلي جين أوديل) بتاريخ (١٣/يناير/٢٠١٥م)، وقامت بإعداده خلال زيارة السودان بنفسها ومعاينة الأماكن التي زارها مالكوم وقابلت الدكتور مالك بدرى، الرابط: [https://www.huffingtonpost.com/emily-odell/following-in-the-footstep\\_3\\_b\\_6434534.html](https://www.huffingtonpost.com/emily-odell/following-in-the-footstep_3_b_6434534.html)

لانعقاد المحاضرة في المركز الثقافي السوداني في بيروت، وقبل مغادرته لبنان أسراً مالكوم لبديري بأنه يتعرض لمحاولات اغتيال من قبل تنظيم أمّة الإسلام، وأنه يتعرض لمضايقات كثيرة منهم الآن وصلت إلى حرق بيته<sup>(١)</sup>.

رابعاً: محمد يوسف الشواربي:

لعب الدكتور محمد يوسف الشواربي دوراً مهماً في رحلة الحج التي غيرت أفكار مالكوم إكس وقادته لمنهج أهل السنة، الدكتور الشواربي وقتها كان مُعَاراً من جامعة القاهرة كمستشار للأمم المتحدة في نيويورك، وكان يعمل مديراً للمركز الإسلامي في نيويورك، وكان الكثير من الطلاب المسلمين العرب الذين يقابلون مالكوم إكس في محاضراته ولقاءاته ينصحونه بمقابلة الدكتور الشواربي، وكان مالكوم يسمع عنه أنه كان يترأس اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا، وذهب إليه مالكوم بنفسه ليقابله في مكتبه، ويروي مالكوم تفاصيل تلك مقابلة قائلاً: (كان ودياً، وقال إنه يتابع أخباري في الصحافة، فقلت له إنني سمعت به، ثم تكلمنا مدة خمس عشرة أو عشرين دقيقة، وانصرف كل منا على التزاماته بعدما قال لي شيئاً لم يبرح منطقته ذهني؛ قال: إن المؤمن لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)<sup>(٢)</sup>.

المقابلة التي تليها كانت بسبب طلب مالكوم إكس من الدكتور الشواربي تزكيةً موجهةً للسفارة السعودية ليتمكن من أخذ تأشيرة الحج، وكانت السفارة السعودية تطلب من الذين يسلمون في أمريكا تزكية الدكتور الشواربي كمُسَوِّغٍ لإعطاء تأشيرات السفر لها، وفي تلك المقابلة سلمه الدكتور الشواربي التزكية

(١) مقابلة تلفزيونية للدكتور مالك بدري على قناة العالمية السودانية، بعنوان: (الدكتور محمد خليفة يستضيف أ. مالك بدري)، الرابط: [https://youtu.be/jq1ZLrTRe\\_M](https://youtu.be/jq1ZLrTRe_M).

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣١٤، مرجع سابق.

وكتابًا لعبد الرحمن باشا عزام بعنوان (رسالة محمد الخالدة)، وقال له: إن المؤلف كلفه بإهدائه له خصوصًا، كما أخبره بأن عزام باشا يتابع أخباره من قرب! وأعطاه الدكتور الشواربي رقم ولده (محمد) في القاهرة إضافة لرقم (عمر عزام)<sup>(١)</sup>، وفي الطريق حرص مالكوم على الانتهاء من الكتاب الذي أهداه إياه الدكتور الشواربي<sup>(٢)</sup>.

وبعد انفصال مالكوم عن أمة الإسلام وتأسيس منظمته ومسجده الخاص؛ انتظم مع الدكتور الشواربي في دروس خاصة لتعلم الإسلام الصحيح وتعميق فهمه له، كما حاول الشواربي اقتلاع جذور العنصرية من عالم أفكار مالكوم من خلال تلك الدروس وإيضاح أنه لا فرق بين عربي ولا أعجمي في الإسلام، بالرغم من أن النبي ﷺ كان ينتمي لجنس العرب، في لفظة له أنه لا فضل لعرق على عرق ولا أبيض على أسود أو العكس<sup>(٣)</sup>.

وفي مقابلة إعلامية للدكتور الشواربي أثنى فيها على مالكوم وسرد بعض تفاصيل تلك الدروس التي كانت بينه وبين مالكوم فقال: إنه لا يُشكُّ أبدًا في إخلاص مالكوم، وأنه كان يملك دافعية كبيرة للتعلم، وكان يتمتع بهدوء استثنائي خلال تلك الدروس، وقد جاءه مالكوم ذات يوم بشريط تسجيل لتسجيل بعض تفسير الآيات منه، وكان في بعض الأوقات يحيله على بعض الكتب والتفاسير للاستزادة من التعلم<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن عبد الرحمن عزام.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣١٥، مرجع سابق.

(3) On the Side of My People: A Religious Life of Malcolm X, Louis A. DeCaro, p202, 203.

(4) The Death and Life of Malcolm X, Peter Louis Goldman, p164.

وكتابًا لعبد الرحمن باشا عزام بعنوان (رسالة محمد الخالدة)، وقال له: إن المؤلف كلفه بإهدائه له خصوصًا، كما أخبره بأن عزام باشا يتابع أخباره من قرب! وأعطاه الدكتور الشواربي رقم ولده (محمد) في القاهرة إضافة لرقم (عمر عزام)<sup>(١)</sup>، وفي الطريق حرص مالكوم على الانتهاء من الكتاب الذي أهداه إياه الدكتور الشواربي<sup>(٢)</sup>.

وبعد انفصال مالكوم عن أمّة الإسلام وتأسيس منظمته ومسجده الخاص؛ انتظم مع الدكتور الشواربي في دروس خاصة لتعلم الإسلام الصحيح وتعميق فهمه له، كما حاول الشواربي اقتلاع جذور العنصرية من عالم أفكار مالكوم من خلال تلك الدروس وإيضاح أنه لا فرق بين عربي ولا أعجمي في الإسلام، بالرغم من أن النبي ﷺ كان ينتمي لجنس العرب، في لفظة له أنه لا فضل لعرق على عرق ولا أبيض على أسود أو العكس<sup>(٣)</sup>.

وفي مقابلة إعلامية للدكتور الشواربي أثنى فيها على مالكوم وسرد بعض تفاصيل تلك الدروس التي كانت بينه وبين مالكوم فقال: إنه لا يُشكُّ أبدًا في إخلاص مالكوم، وأنه كان يملك دافعية كبيرة للتعلم، وكان يتمتع بهدوء استثنائي خلال تلك الدروس، وقد جاءه مالكوم ذات يوم بشريط تسجيل لتسجيل بعض تفسير الآيات منه، وكان في بعض الأوقات يحيله على بعض الكتب والتفاسير للاستزادة من التعلم<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن عبد الرحمن عزام.

(٢) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣١٥، مرجع سابق.

(3) On the Side of My People: A Religious Life of Malcolm X, Louis A. DeCaro, p202, 203.

(4) The Death and Life of Malcolm X, Peter Louis Goldman, p164.

## شخصيات عربية تأثرت بمالكوم إكس:

كما تأثر مالكوم بالعرب في تشكيل أفكاره، هناك من الشخصيات العربية من تأثرت بتجربة مالكوم وأفكاره لا سيما وأن شخصيته وتجربته تعد ملهمة للكثير من الناس، وسنعرض أبرز المفكرين والرموز العربية التي تأثرت بمالكوم:

أولاً: الدكتور عبد الوهاب المسيري:

ابتدأ الدكتور عبد الوهاب المسيري حياته السياسية مبكرًا؛ حيث كان عضوًا في (حزب مصر الفتاة)<sup>(١)</sup>، ثم انضم إلى (جماعة الإخوان المسلمين)، ثم (هيئة التحرير)<sup>(٢)</sup> في بداية عهد عبد الناصر، ثم (الحزب الشيوعي)<sup>(٣)</sup> لمدة قاربت الخمس سنوات<sup>(٤)</sup>، ثم تركه لكنه ظل متبنيًا الماركسية<sup>(٥)</sup> بصفة شخصية دون الانتماء لأي تنظيم، ولم يكن ملحدًا كما نص هو على ذلك مازحًا: (كنت ماركسيًا على سنة الله ورسوله)، وحين سافر إلى الغرب اشتبك معه من منظور فلسفي وهاجمه من خلال العديد من مؤلفاته، ووصل إلى أنه انتقد الفكر الماركسي نفسه كما انتقد الفكر الرأسمالي من قبله، إلى أن تحول إلى الفكر الإسلامي واستغرق هذا التحول (١٨ عامًا) كما نص هو في ندوة له حينما قدم الرئيس الراحل (علي

---

(١) حركة سياسية قومية مصرية بدأت عام (١٩٣٣م) بقيادة (أحمد حسين) متأثرة بالحركات القومية في تلك الفترة.

(٢) هيئة سياسية سُكلت عام (١٩٥٣م).

(٣) تنظيم سياسي ينتسب إليه المؤمنون بالفكر الشيوعي بمختلف أفكاره ومدارسه، وبحسب نوع الحزب تكون أهدافه، لكن أغلب الأحزاب تهدف إلى بناء الاشتراكية والوصول إلى الشيوعية.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص ١٦، ٤١.

(٥) مجموعة الأفكار السياسيّة والاقتصادية لـ(كارل ماركس، فردريك إنجلز)، وهي تحديدًا مذهب يلعب فيه مفهوم نزاع الطبقات الاجتماعية دورًا كبيرًا في تحليل المجتمع.



عزت بيجوفيتش) في ندوة القاهرة؛ حين قال عن كتابه (الإسلام بين الشرق والغرب): (لو قرأت هذا الكتاب لَوَفَّرَ عَلَيَّ (١٨ عامًا) من التحوُّل من الفكر الماركسي إلى الفكر الإسلامي)<sup>(١)</sup>.

وفي كتابه (رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر) اعترف المسيري بأن مقابله مع مالكوم إكس إبَّان دراسته في أمريكا كان لها أثر عميق في تحوله من الماركسية للإسلام، كما تركت أثرًا عميقًا في تجاوزه لعالم المادة؛ فيقول المسيري: (بدأت أشعر بأن مقولة الدين ذات فاعلية في الواقع المادي الصلب وليست جزءًا مغلقًا من عالم الغيب؛ أي أن الدين أصبح تدريجيًا في تصوري جزءًا من الكيان الإنساني التاريخي ليس منفصلاً عنه؛ ولذا بدأت أتعرف على التجربة الدينية الإسلامية لأفهم منطقتها الداخلي، وكانت مقابلي مع مالكوم إكس الزعيم المسلم لها أعمق الأثر)<sup>(٢)</sup>. وكان مدخل المسيري لاهتمامه بشخصية مالكوم بناء على طلب من (john hendrik clarke)<sup>(٣)</sup>، بكتابة بحث عن دور الإسلام في حياة مالكوم إكس، ولم يكن المسيري يعلم من الدين إلا الشعائر التي يعرفها أي مسلم دون تعمق، وبعد قراءته لسيرة مالكوم وجد فيه المسيري نموذجًا مثاليًا لمجازة عالم المادة، وقام بعدها بالتعمق في الأبعاد الفلسفية والمعرفية للإسلام<sup>(٤)</sup>، وقد كانت تلك أحد عوامل انجذاب المسيري لشخصية مالكوم، ومن العوامل الأخرى الواردة هي التشابه في التوجهات؛ فمالكوم كان معاديًا للإمبريالية الأمريكية، كما

---

(١) من مقدمة ندوة بفندق (سميراميس) لعدد محدود من المثقفين، أدارها الراحل الدكتور عبد الوهاب المسيري، عن كتاب (الإسلام بين الشرق والغرب) للرئيس الراحل (علي عزت بيجوفيتش).

(٢) المسيري، عبد الوهاب. رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، ص ١٤٣، مرجع سابق.

(٣) أحد كبار المؤرخين الأمريكيين السود.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، ص ١٤٣، مرجع سابق.

أن المسيري كان دائم الانتقاد للحضارة الأمريكية بأنها حضارة سيطرت عليها المادة، وكان دائم المهاجمة للإمبريالية والصهيونية<sup>(١)</sup>، وهو ما وجدته مساحة فكرية مشتركة بينه وبين مالكوم.

وفي كتابه (الفردوس الأرضي) الذي طبع في عام (١٩٧٨م)، والذي وجه فيه انتقاده الحاد إلى العالم المادي بجميع تجلياته، وأصل فيه لإنسانية الفردوس الأرضي، وابتعاده تمامًا عن عالم المادة، وهو الذي دلل المسيري عليه باستعراض قصة مالكوم في الباب الثالث من الكتاب الذي كان بعنوان (الإنسان بين الأشياء والبراءة الأولى)، والذي قال فيه عن مالكوم: (إن سيرة مالكوم إكس الذاتية ما هي إلا ترتيبة تمجّد روح الإنسان التي يُمكنها البقاء والاستمرار في مواجهة أكثر الظروف إفسادًا وتدميرًا، والإنسان في مقدوره تحقيق هذا البقاء والاستمرار لأنه يحلم دائمًا بعالم من البراءة الأولى)<sup>(٢)</sup>.

الدكتورة عزيزة الهبري<sup>(٣)</sup>:

(١) حركة سياسية دينية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، تدعو إلى إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين، تزعمها صحفي يهودي اسمه (تيودور هرتزل)، وهي نسبة إلى جبل (صهيون) القريب من أورشليم، وتسعى حاليًا لدعم ومساندة دولة (إسرائيل).

(٢) المسيري، عبد الوهاب. الفردوس الأرضي، ص ١١٣، مرجع سابق.

(٣) فيلسوفة وأكاديمية أمريكية من أصل لبناني، وهي أستاذة قانون فخرية في كلية (تي سي وليامز) للقانون التابعة لجامعة ريتشموند، وهي أستاذة جامعية سابقة للفلسفة، كتبت العديد من الكتابات عن قضايا الإسلام والديمقراطية وحقوق المرأة المسلمة وحقوق الإنسان في الإسلام، وسافرت إلى العديد من دول العالم الإسلامي في سبيل دعم حقوق المرأة المسلمة، وقد عملت كمستشارة للمجلس الأعلى لشؤون الأسرة في قطر المعني بتطوير قانون الأحوال الشخصية بالبلاد، وقامت بزيارة ثلاث عشرة دولة إسلامية وناقشت القضايا التي تهم المرأة المسلمة مع قادة تلك الدول على المستوى الديني والسياسي وقادة الحركة النسائية وأساتذة القانون، وقد عملت بالمجالس الإدارية والمجالس الاستشارية للعديد من المنظمات، وهي حاصلة على الدرجة العلمية في القانون، وكذلك درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة بنسلفينيا.

نشأت الدكتورة عزيزة الهبري في أسرة لبنانية مسلمة متدينة من أصول مغربية، تعلمت القرآن واللغة العربية في طفولتها عن طريق والديها، وحصلت على درجة البكالوريوس في الفلسفة من الجامعة الأمريكية في بيروت، وسافرت إلى الولايات المتحدة عام (١٩٦٦م) لإكمال تعليمها في ظل حقبة المطالبات بالحقوق المدنية للأمريكيين السود، وقد قابلت مالكوم إكس قبل سفرها إلى الولايات المتحدة بعام خلال زيارته لبيروت عام (١٩٦٤م)، وخلال تلك الزيارة شجعها لكونها ناشطة في مجال حقوق المرأة ولكونها أيضًا امرأة تبدو عليها علامات القيادة<sup>(١)</sup>، وقد أهدى مالكوم إكس كلمات مؤثرة على كتاب أهداه لها حيث ألهمتها تلك الكلمات لتصبح قائدة، وشدد على أهمية الدور القيادي للمرأة في الولايات المتحدة والخارج<sup>(٢)</sup>.

أسست الدكتورة عزيزة جمعية (كرامة) للمحاميات المسلمات العاملات في حقوق الإنسان<sup>(٣)</sup>، وخلال فعالية نظمتها الجمعية بمسجد (محمد) في واشنطن أعلنت الدكتورة عزيزة أنها تعدُّ مالكوم إكس صديقًا ومرشدًا لها، وأنها تبادلت معه الرسائل بعد مقابلتها له في بيروت أفرجت عن بعضها عام (٢٠١٢م) لمتحف التراث الإسلامي في الولايات المتحدة، وفي خلال تلك المحاضرة أبرزت الجانب الإنساني في شخصية مالكوم ووصفته بأنه (شخص طيب وأنيس)؛ فقالت: (فَمَعَ أَنَّهُ كَانَ شَدِيدًا وَقَاسِيًا فِي وَجْهِ الظُّلْمِ إِلَّا أَنَّهُ اعْتَرَفَ لِلْمَقْرَبِينَ مِنْهُ وَالَّذِينَ عَرَفُوهُ شَخْصِيًّا بِجَانِبِهِ الْحَسَّاسِ)، وحثَّت الدكتورة عزيزة الحضور على التصدي لوسائل الإعلام التي تصوِّر مالكوم إكس مُحَرِّضًا على العنف، كما شددت على أن أفراد المجتمع الأمريكي المسلم يجب عليهم أن يفتخروا بقيادة

(1) Feminist Edges of the Qur'an, Aysha A. Hidayatullah, p11.

(2) karamah.org/ar/press/karamah-hosts-letters-from-brother-malcolm

(٣) المصدر نفسه.

وارث مالكوم إكس وينبغي لهم تعريفه (كقائد ذي بصيرة)، كما شدّدت على أهمية وتأثير الأمريكيين الأفارقة المسلمين على التجربة الأمريكية المسلمة بشكل عام، وأشارت إلى أنه من دونهم لم يكن من الممكن إتاحة نفس الفرص للأمريكيين المسلمين اليوم<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه.

## المبحث الرابع

### تأثيره في حركة الأدب والفنون الأفروأمريكية

يُعدُّ الأدب الأفروأمريكي من المكونات الرئيسة في الأدب الأمريكي، ويُعرَّف بأنه النتاج الأدبي للكُتَّاب والشعراء الأمريكيين المنحدرين من الأصول الإفريقية، وقد ظهر هذا اللون الأدبي خلال القرنين (الثامن عشر، والتاسع عشر) عن طريق سرد روايات الرِّق والسَّير الذاتية للعبيد، ومذكرات الهروب من الاستعباد التي كتبها العبيد الهاربون من حياة الرِّق في الولايات الجنوبية، وقد سُمِّيت تلك الأعمال بأدب (الاسترقاق)؛ مثل: (كوخ العم توم/ Uncle Tom's Cabin) عام (١٨٥٢م)، و(كوخ العمه فيليبس/ Aunt Phillis's Cabin) عام (١٨٥٢م)، و(السيف والنسوة/ The Sword and the Distaff) عام (١٨٥٣م)، وكانت هذه المرحلة (بمرحلة الاستعباد) تُسمى بـ(أدب ما قبل الحرب الأهلية)<sup>(١)</sup>.

تبعَت هذه المرحلة الأدبية مرحلة أخرى سُمِّيت بـ(أدب ما بعد الحرب الأهلية)، وهو الذي تلا فترة ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية؛ حيث تمحورت الكتابة الأدبية للسود في سرد واقع حياة الزنوج بعد الحرب وسعيهم نحو إنهاء سياسة الفصل العنصري، وقد لمعت بعض الأسماء في تلك المرحلة؛ مثل: (فريدريك دوغلاس/ Frederick Douglass)، و(ويليام إدوارد دييوا/ William

(1) The Historian's Narrative of Frederick Douglass, Robert Felgar, p26.

و(Edward Du Bois)<sup>(١)</sup>، و(بوكرتي واشنطن / Booker T. Washington)<sup>(٢)</sup>،  
و(فرانسيس هاربر / Frances Harper)<sup>(٣)</sup>.

وفي أوائل القرن العشرين ازدهرت الحياة الأدبية والفنية، لا سيما في مدينة  
هارلم في ولاية نيويورك، وكان بها أكبر تجمع للزواج، وتلك الحقبة سُميت  
بـ(عصر نهضة هارلم / Harlem Renaissance) وامتدت من عام (١٩١٩م)  
وحتى أواسط الثلاثينيات، وهي الحقبة التي عُرفت أيضًا بـ(حركة الزواج  
الجديدة)، وفي هارلم كان هناك أكبر تجمع للأدباء الزواج الذين برز منهم العديد  
من الشخصيات؛ مثل: (جين تومر / Jean Toomer)<sup>(٤)</sup>، و(كلود مكاي / Claude  
Mckay)<sup>(٥)</sup>، و(لانغستون هيوز / Langston Hughes)<sup>(٦)</sup> الذي يعدُّ من أكثر كُتَّاب  
هارلم شهرة<sup>(٧)</sup>، وقد حصل العديد من الكُتَّاب والشعراء الأفروأمريكيين على أرفع

- 
- (١) عالم اجتماع وناشط سياسي أمريكي من أصول إفريقية؛ من أهم دعاة الحقوق المدنية  
والمهتمين بشئون السود في مطلع القرن العشرين، وهو أحد مؤسسي الرابطة الوطنية لتحسين  
أوضاع المواطنين الملونين (NAACP) منذ عام (١٩٠٩م).
  - (٢) كاتب ومدافع عن حقوق الأمريكيين السود، وهو أحد أكثر المفكرين تأثيرًا في أواخر القرن  
التاسع عشر، وفي عام (١٨٨١م) أسس معهد (توسكيجي، ومدرسة للأمريكان ذوي الأصول  
الإفريقية في ألاباما المكرسة لتدريب المعلمين). وعمل أيضًا في تشكيل المجلس الوطني  
الدوري الزنجي.
  - (٣) شاعرة وأديبة من أصل إفريقي وكانت عضوة في الاتحاد النسائي المسيحي للمرأة.
  - (٤) شاعر وكاتب مسرحي وروائي وشخصية مهمة في الأدب الأفروأمريكي.
  - (٥) شاعر وأديب من أصل جامايكي، وكان شخصية بارزة في نهضة هارلم، وقد حصلت روايته  
(home to harlem) على جائزة (هارمون) الذهبية للأدب.
  - (٦) كاتب وصحفي ومسرحي وروائي وشاعر وناشط اجتماعي أمريكي، ينحدر أصله من أعراق  
مختلفة؛ فهو من أصول إفريقية وأسكتلندية وأوربية يهودية وهنود أمريكان.
  - (٧) هاي، بيتر. تاريخ الأدب الأمريكي، ترجمة: هيثم علي حجازي، ص ٢٦٩.



الجوائز الأدبية؛ مثل: الكاتبة (توني موريسون / Toni Morrison) <sup>(١)</sup> التي حصلت على (جائزة بوليتزر / Pulitzer Prize) وجائزة نوبل للآداب <sup>(٢)</sup>.

وقد تلت تلك الحِقة حِقةٌ سُميت بـ(حِقة الحقوق المدنية)؛ وهي حِقة امتدت من عصر ما بعد نهضة هارلم وحتى الستينيات والسبعينيات، وهي تمثل حِقة النضج واكتمال الرؤية الأدبية للهوية الزنجدية، والتي تركزت موضوعاتها على سرد معاناة السود بسبب سياسة الفصل العنصري وسعيهم نحو الاندماج مع البيض وإنهاء قوانين الفصل العنصري.

## الأدب:

كان لمالكوم إكس تأثير مباشر على حركة الأدب والفنون الأفروأمريكية وعلى بعض رواده، إما مباشرة عن طريق مقابله وتوجيهه، وإما بطريقة غير مباشرة من خلال التأثير بأفكاره ومنهجه في النضال، وكان من ضمن من تأثروا بمنهجه الشاعر والروائي والمسرحي (لوري جونز) <sup>(٣)</sup> الملقَّب بـ(أميري بركة)، وقد تأثر

(١) روائية أفروأمريكية، فازت بجائزة نوبل في الأدب عام (١٩٩٣ م) عن مُجمل أعمالها، وجائزة (بوليتزر) عن روايتها (محبوبة)، ومن رواياتها الأخرى: أكثر العيون زرقة، نشيد سليمان، صولا، وطفل القطران. تُرجمت أعمالها إلى مختلف لغات العالم، ومن بينها العربية.  
(2) Reading and Interpreting the Works of Toni Morrison, Lisa A. Crayton, pg.

(٣) وُلد في السابع من أكتوبر عام (١٩٣٤ م) باسم (لوري جونز) في مدينة نيوارك الواقعة في (نيو جيرسي) الشمالية، وحصل عام (١٩٥٤ م) على شهادة بكالوريوس في اللغة الإنجليزية من جامعة (هورد)، وخدم في الجيش الأمريكي خلال (١٩٥٤ م-١٩٥٧ م)، ثم انتقل للعيش في القسم الشرقي من (منهاتن) في ولاية نيويورك، وهناك التحق بمجموعة من الفنانين والموسيقيين والكتاب، وفي عام (١٩٦١ م) أصدر مجموعته الشعرية الأولى، ومنذ ذلك الحين بدأ نجمه في السطوع، ومن أشهر أعماله مسرحيته (العبد والمرحاض) عام (١٩٦٣ م)، ومسرحية (دوتشمان) التي تم إنتاجها فيلم سينمائي. وبعد اغتيال مالكوم إكس طلق زوجته البيضاء اليهودية وتزوج من امرأة سوداء عام (١٩٦٧ م) اسمها الأصلي (سيلفيا روبنسون)، =

بركة بأفكار مالكوم إكس واستطاع ترجمتها في أعماله الأدبية والفنية من خلال المدرسة الأدبية التي أنشأها في حي هارلم وسماها (حركة الفنون السوداء)، والتي ضمت أسماء مشهورة من الأدباء الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية.

وكان حادث اغتيال مالكوم إكس هو نقطة التحول في حياة أميري بركة؛ فبعد اغتياله انفصل عن زوجته البيضاء اليهودية وتزوج من شاعرة من أصل إفريقي كان اسمها (سيلفيا روبنسون) قبل أن تصبح (أمينة بركة)، واعتنق بعدها الدين الإسلامي على يد داعية قريب من مالكوم إكس يُدعى (هشام جابر) وحول اسمه من (لوري جونز) إلى (أمير بركات)، ثم بعد ذلك حوله إلى (أميري بركة) ليُشبه اللغة السواحلية الإفريقية<sup>(1)</sup>.

كانت لقاءات وخطب مالكوم إكس مصدر الإلهام لدى أميري بركة؛ حيث كان يتابعها دائماً عبر التلفاز والراديو، ويذكر بركة ذلك في سيرته الذاتية قائلاً: (سمعت عن مالكوم إكس ومنظمة أمّة الإسلام من خلال التلفاز، واقتنعت بكلامه وأفكاره بشكل كبير، واستطعت أن أجد في أفكاره ما كنت أبحث عنه من خلال ظهوره وكاريزمته الإعلامية؛ لقد شاهدت مالكوم في مقابلة تلفازية مع مذيع أبيض وسمعت كلام مالكوم عن زواج الحقل وزواج المنزل، وعن انتقاده لقادة العمل

---

=واسمها الآن (أمينة بركة) وهي شاعرة وكاتبة أمريكية، ثم اعتنق الإسلام عام (١٩٦٨م) وأصبح اسمه منذ ذلك الحين (الإمام أميري بركة)، لكنه بعد مدة غير الاسم إلى (أميري بركة) وحذف كلمة (الإمام)، وكان ذلك بعد أن تبني الماركسية كفلسفة عام (١٩٧٤م)، ومنذ عام (١٩٨٥م) يشغل أميري بركة منصب بروفييسور في الدراسات الإفريقية في جامعة ولاية نيويورك في (ستوني بروك)، وله العديد من المؤلفات في المسرح والشعر والدراما والرواية، وعدد واسع من المقالات. انظر: Encyclopedia of African American Popular Culture, vol4, Jessie Carney Smith, p95.

(1) A Nation within a Nation: Amiri Baraka (LeRoi Jones) and Black Power Politics, Komozi Woodard, ch (Malcolm x: the bridge), p59.

الحقوقي السود وطريقتهم في احتواء غضب واستغلال ذوي المناصب الحكومية البيض لهم والمتاجرة بأصواتهم. لقد كان كلام مالكوم أقرب إلى قلبي من كلام المحاور الأبيض وقلب حياتي وأفكاري)<sup>(١)</sup>، وقد التقى بركة بمالكوم مرة واحدة قبل اغتياله بشهر في أثناء لقاء مالكوم بـ(عبد الرحمن بابو)<sup>(٢)</sup>(٣).

اعتنق بركة منهج مالكوم الانتفاضي مثل الكثير من الأمريكان السود في ستينيات القرن الماضي؛ لأنه في رأيه كان يرمز إلى الرجل الأسود ذي الكبرياء الذي لا ينحني للظلم، ولا تقهره العنصرية، وكان يرى أن مالكوم بذل مجهودًا كبيرًا في جذب انتباه وسائل الإعلام إلى المظالم العنصرية التي يتعرض لها السود داخل الولايات المتحدة، ويرى أنه مثل جسر التواصل بين القومية السوداء من جهة وانتفاضة الحقوق المدنية من جهة أخرى. وبعد اغتيال مالكوم إكس عقد أميري بركة مؤتمرًا صحفيًا للإعلان عن تدشين (حركة الفنون السوداء) بحي هارلم، وأوضح في المؤتمر أن الحركة ستكون مدرسة لتعليم الفنون والأدب بشقيها العملي والنظري (التمثيل، والكتابة، والرسم، والإنتاج، إلخ)، وكان يهدف من تلك الحركة إلى دعم مواهب السود الفنية وإيصالها لدرجة عالية من الاحتراف، وأوضح أن الحركة ستترجم أفكار ومنهج مالكوم إكس إلى أعمال أدبية، وعقب إعلانه عن كيانه الأدبي الجديد رثى مالكوم إكس بقصيدة (القلوب السوداء/A Poem for Black Hearts)، وقد ظهر فيها تأثير بركة بمنهج مالكوم؛ حيث وصف

(1) The Autobiography of LeRoi Jones, AmiriBaraka, p273, 274.

(2) من أبرز زعماء حركات التحرر الوطني في إفريقيا، وكان له دور في انتفاضة (زنجان) التي قامت عام (١٩٦٤م)، وكان عضو مجلس قيادة الانتفاضة وعُيِّن بعد نجاحها وزيرًا للخارجية والاقتصاد.

(3) The Black Power Movement: Rethinking the Civil Rights-Black Power Era, Peniel E. Joseph, p65.

فيها كلمات مالكوم وخطبه بسهام النار، ومدح أفكاره بأنها تنشل الرجل الأسود من وُحْل المهانة إلى التحليق في سماء الكرامة<sup>(١)</sup>.

وبعد تأسيس حركة الفنون السوداء تأثر بعض قادتها بمنهج مالكوم إكس الفكري؛ مثل: (لاري نيل، وسونيا سانشيز، ونيكي جيوفاني، ودون لي)، وهذا الأخير قد غيّر اسمه بعد إشهار إسلامه إلى (حقي مادوبتي)<sup>(٢)</sup>، وقد سعى كل هؤلاء الفنانين إلى تكريس أعمالهم الأدبية في خدمة قضية الأمريكيين السود، وكانت أعمالهم تحمل روح الانتفاضة على السياسات الأمريكية التي تغض الطرف عن إعطاء حق المساواة للأمريكيين ذوي الأصل الإفريقي، كما كانوا أول من رفضوا استعمال كلمة (الزنج والْمُلَوَّنِينَ) في أعمالهم، ورأوا أن لفظ (أسود) هو لفظ ملائم أكثر من تلك الألفاظ وهو مساوٍ للفظ (أبيض) الذي يستعمله البيض ويفتخرون به<sup>(٣)</sup>.

ومن ضمن الأدباء الذين تأثروا بفكر مالكوم إكس هو الشاعر (لاري نيل/ Larry Neal)<sup>(٤)</sup>؛ وهو قيادي من ضمن قيادات حركة الفنون السوداء، وقد أطلق قصيدة تاريخية حول حياة مالكوم إكس بعنوان (Malcolm X- an Autobiogra-phy)، وقد استعرض نيل حياة مالكوم استعراضاً أدبياً في القصيدة وقسمها إلى

(1) A Nation within a Nation: Amiri Baraka (LeRoi Jones) and Black Power Politics, Komozi Woodard, ch (Malcolm x: the bridge), p59.

(2) The Black Arts Enterprise and the Production of African American Poetry, Howard Rambsy, p64.

(3) The Oxford companion to African American literature, William L. Andrews, Frances Smith Foster, Trudier Harris, p73.

(٤) شاعر أمريكي من أصل إفريقي، وُلد عام (١٩٣٧م) وتوفي عام (١٩٨١م) إثر أزمة قلبية، وكان عضواً مؤسساً في (حركة الفنون السوداء)، ومسؤول التعليم في (حركة الفهود السوداء)، حصل على ليسانس الآداب في التاريخ من جامعة لينكون في ولاية بنسلفانيا عام (١٩٦١م)، وحصل على درجة الماجستير عام (١٩٦٣م) من جامعة بنسلفانيا، وكان من أحد المؤسسين لحركة الفنون السوداء مع الشاعر أميري بركة.

ثلاث مراحل: (مالكوم ليتل، وريد بيج، ومالكوم إكس)<sup>(١)</sup>، وانخرط لاري نيل في (حركة الفهود السوداء/ Black panther)<sup>(٢)</sup> التي تعد حركة انتفاضية وتؤمن أيضًا بأفكار مالكوم إكس، وترقى فيها حتى أصبح مسؤول الإرشاد والتعليم داخل الحركة<sup>(٣)</sup>، وأيضًا كان عضوًا في (حركة العمل الثوري/ Revolutionary Action Movement)<sup>(٤)</sup> التي اعتنقت أيضًا أفكار مالكوم بتوجه ماركسي، فكانت مزيجًا بين الاشتراكية<sup>(٥)</sup> والقومية السوداء<sup>(٦)</sup>.

---

(1) Black Boogaloo: Notes on Black Liberation, Larry Neal, p35.

(٢) حركة حقوقية للسود في الولايات المتحدة؛ نشأت بعد مقتل مالكوم إكس، وقد كانت المنظمة تحمل السلاح ولا تنبذ العنف، ودخلت في اشتباكات عديدة مع الشرطة؛ ما جعل الكثير يصنفها إرهابية آنذاك.

(3) The Greenwood Encyclopedia of African American Literature, Hans A. Ostrom, J. David Macey, p187.

(٤) حركة حقوقية تأسست عام (١٩٦٢م)؛ كانت تؤمن بأفكار القومية السوداء بتوجه ماركسي؛ ومن قياداتها: (ستانفورد ماكس، دونالد فريمان).

(٥) النظام الاشتراكي هو نقيض النظام الرأسمالي؛ والنظام الاشتراكي هو: مذهب يحاول إقامة نوع من المساواة بين الناس؛ وذلك عن طريق إلغاء الملكية الخاصة إلغاءً كليًا أو جزئيًا، وتنظيم الإنتاج بواسطة المجموع، وتختلف المذاهب الاشتراكية من حيث ما تقوله بإلغاء الملكية، ويُعد المذهب الشيوعي هو الوحيد الذي يقوم بإلغاء الملكية كليًا، أما غيره من المذاهب فيقتنع بما هو دون ذلك، والمذاهب الاشتراكية تختلف أيضًا بعضها عن بعض من ناحية الوسائل التي تقوم بها لتحقيق أغراضها؛ فمنها ما يعتمد على سن التشريعات والقوانين، ومنها ما يلجأ إلى أعمال العنف والقوة بل إلى الثورة ضد النظام. انظر: تاريخ الفكر الاقتصادي، تأليف: د. إسماعيل علي، د. إبراهيم حسنين، ص ٢٥. ويخالف المذهب الاشتراكي الإسلام في عدة أمور؛ منها: (تأميم الثروات) الذي يعطي الأحقية للدولة بتأميم الثروات حتى ولو اكتسبها ذووها بالطرق المشروعة، وأدوا ما عليهم فيها من حقوق، كأداء الزكاة والنفقات الواجبة، ويخالف الإسلام أيضًا في مبدأ (امتلاك الأمة لثرواتها الطبيعية) فقد يتعارض تطبيقه بشكل أو بآخر مع بعض الأحكام الشرعية، كأحكام الرِّكاز وإحياء الموات. انظر: القطان، مناع. موقف الإسلام من الاشتراكية، ص ٢٢.

(6) Engines of the Black Power Movement, James L. Conyers, Jr, p68.



لقد أسهم مالكوم بنفسه في تطوير حركة الأدب الأفروأمريكية؛ حيث إنه قد تعاون مع (أليكس هيلي) وكتابة سيرته الذاتية التي أصبحت بعد ذلك مصدر إلهام للكثير، وأصبحت من أهم كلاسيكيات ذلك الوسط الأدبي، وأسهمت في تخليد أفكاره إلى يومنا هذا، وقد بيعت منها ستة ملايين نسخة خلال (١٩٦٥م-١٩٧٧م)<sup>(١)</sup>، وقد وصل عدد طبعاتها إلى (٤٠ طبعة)<sup>(٢)</sup>، وقد عدت مجلة (TIME) الأمريكية هذه السيرة واحدة من أهم عشرة كتب في الأدب الواقعي في القرن العشرين<sup>(٣)</sup>، وقد ساعد على انتشارها في التسعينيات تحولها لفيلم على يد المخرج الأمريكي (Spike Lee)<sup>(٤)</sup> عام (١٩٩٢م)، كما قد قررت السيرة الذاتية لمالكوم في بعض الجامعات كمادة دراسية في أقسام تاريخ الأفروأمريكان<sup>(٥)</sup>.

### الرسم:

لم يقتصر تأثير مالكوم إكس على الأدب فقط، بل امتد للرسم؛ فقد اختارته (إليزابيث كاتليت/ Elizabeth Catlett) موضوعاً للوحة التي سمّتها (مالكوم إكس يتحدث عنا)<sup>(٦)</sup>، والتي اختارها كبار الرسامين المكسيكيين كأفضل لوحة لعام (١٩٦٩م)<sup>(٧)</sup>، وتحتوي اللوحة على وجه مالكوم مُحاطاً بأوجه عدة فتيات

(1) Malcolm X: Rights Activist and Nation of Islam Leader, Tom Robinson, p89.

(2) Silenced in the Library: Banned Books in America, Zeke Jarvis, p5.

(3) America I AM Legends, Tavis Smiley, p162. Bottom of Form

(٤) مخرج سينمائي وكاتب ومنتج وممثل أمريكي، من مواليد (أطلانطا) بولاية (جورجيا) عام

(١٩٥٦م)؛ درس السينما والتلفزيون في جامعة (نيويورك) في قسم الفنون، وتخرّج فيها

بدرجة ماجستير في فن صناعة الأفلام، وحائز على جائزة (الإيمي)، وأخرج عدة أفلام؛ مثل:

مالكوم إكس، الساعة (٢٥).

(٥) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، المقدمة.

(6) The Shattered Gourd: Yoruba Forms in Twentieth Century American Art, moyookediji, p66.

(7) My art speaks for both my peoples: Elizabeth Catlett in Mexico, Melanie Anne Herzog, p199, vol2.



إفريقيات، وترمز اللوحة إلى أن مالكوم كان له تأثير بالغ الأهمية على شعور وطموح آلاف الشباب والشابات من الأمريكيين السود، وكانت كاتليت من أهم الرّسامين السود الذين دافعوا عن قضية الأمريكيين ذوي الأصل الإفريقي، وكانت تدعو لإقامة معارض فنية خاصة بهم حيث كان يتم استثناءهم من المعارض الفنية الحكومية والخاصة بالمدارس والجامعات<sup>(١)</sup>، وأيضاً رفضت كاتليت الفكرة القائلة بأن كل معارض السود إنما هي اعتراف صريح بالفصل العنصري، وردّت على ذلك الكلام في خطبة تاريخية لها ألقته في مدينة (مكسيكو سيتي)<sup>(٢)</sup> قائلة: (هناك فرق بين الجلوس في المقعد الخلفي لأننا يتحتم علينا ذلك، وجلوسنا فيه لأننا نرغب بذلك)<sup>(٣)</sup>.

### التمثيل والدراما:

وعلى مستوى التمثيل كان لمالكوم إكس تأثير في بعض الممثلين وبعض الأعمال الفنية؛ فقد تأثر الممثل (Ossie Davis)<sup>(٤)</sup> بشخصية مالكوم إكس وكانت كلماته التي أطلقها في رثاء مالكوم بعد اغتياله هي أفضل ما قيل في رثائه على الإطلاق، حتى لقب بـ(راثي مالكوم إكس)، وقد أثر رثاؤه هذا في شعبيته

(1) The Art of Solidarity, Jessica StitesMor, Maria del Carmen SuescunPozas, p43.

(٢) العاصمة الفيدرالية للمكسيك.

(3) A History of African-American Artists, Romare Bearden & Harry Henderson, p419.

(٤) ممثل ومخرج وكاتب مسرحي أمريكي وُلد عام (١٩١٧م) في مقاطعة (كليبتش) الأمريكية وتوفي عام (٢٠٠٥م)؛ كان هو وزوجته (روبي دي) ناشطين في مجال حقوق الإنسان في الخمسينيات والستينيات، حتى تمت تسميتهم بـ(الثنائي الأول لحركة الحقوق المدنية)، ولقد شاركوا في مظاهرات وفعاليات جمع تبرعات غير معدودة، كما شاركوا في تنظيم مسيرة عام (١٩٦٣م) في واشنطن، وقد كانا صديقين للعديد من قادة الحركة بمن في ذلك (مارتين لوثر كينج، مالكوم إكس).

الجماهيرية بسبب أن أفكار ومنهج مالكوم كانت مثيرة للجدل وقتها<sup>(١)</sup>، وكان من نص تلك الخطبة: (إذا عرفتم من هو مالكوم؛ فستعرفون لماذا نحن نحترمه ونبجله، فمالكوم كان فخراً لأي رجل أسود، وكان يعبر عنا وعلمنا أن نحترم أنفسنا ونهذبها...، دعونا نجعل وداع مالكوم يذكرنا بالعامل المشترك بيننا وبين الهدف الذي يجمعنا مهما اختلفنا معه أو مع غيره...، فلقد فقدنا أميرنا الأسود المتألق، الذي واجه من أجلنا الموت بلا تردد)<sup>(٢)</sup>.

وقد التقى ديفيس بمالكوم في مؤتمر المساواة العرقية عام (١٩٦١م) بعد أداء عرض مسرحي باسم (Purlie Victorious)، وقد ذهب مالكوم بنفسه للقاء ديفيس وزوجته (روبي دي / Ruby Dee)<sup>(٣)</sup> في كواليس المسرحية وأثنى عليهما وقال لهما: (إن ما تقدمونه من كوميديا تسخر من أفعال الرجل الأبيض هو عمل انتفاضي ويُعد من أعلى درجات الانتفاضية)<sup>(٤)</sup>.

ومن ضمن الذين تأثروا بأفكار مالكوم إكس المخرج والكاتب الأمريكي (Spike lee)، والذي اهتم في أفلامه بقضية التمييز العنصري ومقاومة السود له والعلاقة بين الأعراق ودور الإعلام في الحياة المعاصرة، وقد تأثر (سبايك لي) فكرياً بمنهج مالكوم إكس حتى إنه أخرج فيلمه السادس الشهير (مالكوم إكس) عام (١٩٩٢م)، وهو أحد أكثر الأفلام إثارة للجدل في التسعينيات، والذي قام

(1) Say It Loud: Great Speeches on Civil Rights and African American Identity, Catherine Ellis, Stephen Smith, p25.

(2) Life Lit by Some Large Vision: Selected Speeches and Writings, Ossie Davis, p153.

(٣) ممثلة أمريكية وناشطة في مجال حقوق الإنسان ولدت عام (١٩٢٢م) وتوفيت عام (٢٠١٤م)، وكانت زوجة الممثل (Ossie Davis)؛ بدأت مسيرتها الفنية في الأربعينيات، وشاركت خلالها في أكثر من سبعين فيلمًا وحوالي أربعين مسرحية.

(4) African American Theater: A Cultural Companion, Glenda Dickerson, Glenda Dicker/sun, p177.

بتمثيل دور مالكوم فيه الممثل (دينزل واشنطن / Denzel Washington)<sup>(١)</sup>، وبعد مرور عام واحد نجح الفيلم في تلقي ترشيحين لجائزة الأوسكار عام (١٩٩٣م). وبالرغم من أن (سبايك لي) لم يلتقِ بمالكوم - لأنه كان يبلغ تسع سنوات وقت اغتيال مالكوم -؛ فإنه تأثر بأفكاره ومنهجه بعد قراءته قصة حياته التي كتبها الروائي أليكس هيلي، ويروي سبايك انطباعه بعد قراءة السيرة الذاتية قائلًا: (إنه من أعظم الكتب التي قرأتها، لقد كان سببًا في تغيير أفكاره وتصرفاته، لقد كشف بداخل شخصيتي شجاعة وإقدامًا لم أكن على علم بهما، وأنا واحد من مئات الآلاف الذين تغيرت حياتهم بسبب مالكوم)<sup>(٢)</sup>، ويرى سبايك أن ما دفع مالكوم إكس ذات يوم إلى رواية قصة حياته لأليكس هيلي إنما كان: (رغبته في أن يجعل حكاية حياته مثلًا يُحتذى به للأمريكيين ذوي الأصل الإفريقي - بل بالنسبة إلى كل الناس في الواقع -؛ لأن الدرس الأساسي الذي تحمله تلك الحكاية هي أن بإمكانك أن تبدل حياتك كلها إن أردت؛ حيث نراه يخاطب الناس بقوله: انظروا أيها الناس، لقد كنتُ مجرمًا ومدمنًا للكوكايين وبائعًا للمخدرات، وكنتُ من الانحدار الخُلقي لدرجة أن من داخل السجن كانوا يلقبوني بالشیطان)<sup>(٣)</sup>. وقد ظهر ذلك الأثر في أغلب أفلامه التي قدمها؛ فبدأت تتناول أفلامه انتقاد التمييز العنصري وضرورة استيقاظ الأمريكيين السود وصُنع تميّزهم الثقافي داخل المجتمع الأمريكي، وهي دعوة تصل في أحد أفلامه إلى حد أنه يجعل إحدى شخصيات فيلمه تصرخ وتقول:

(١) أحد الممثلين الكبار في هوليوود، ويُعد كذلك من الممثلين الجادين في لهجتهم، ومع ذلك

تكمن لديه الموهبة والانسجام في كافة أدواره المليئة بالدراما والإثارة والكوميديا.

(2) Malcolm X: A Revolutionary Voice, Beatrice Gormley, pug.

(٣) تقرير على موقع جريدة الحياة بعنوان: (مالكوم إكس لسبايك لي - الأسود شهيدًا وبطلًا سينمائيًا).

(استيقظوا فقد استغرقتم في النوم لمدة أربعمئة سنة)<sup>(١)</sup>، وقد وجهت له الصحافة الأمريكية الكثير من الاتهامات بالعنصرية المضادة -أي: معاداة البيض-؛ بسبب تصريحاته الصحفية المتشددة التي يستخدم فيها ألفاظاً قاسية في معرض حديثه عن التفرقة العنصرية والسخرية من المؤسسة والمجتمع الأمريكي.

ولقد أثر مالكوم في حركة الأدب والفنون وفي السود عبّر أفكاره التي مثلت مدرسة أدبية وفنية مستقلة بذاتها؛ عنوانها: الانتفاضية والافتخار بالقومية السوداء، وإضافة لون جديد داخل ذلك الوسط أساسه احترام الهوية والثقافة الإفريقية. لقد ألهم مالكوم رواد ذلك الوسط بتجاوز حد المطالبة بالمساواة إلى حد الافتخار بلونهم وإرثهم التاريخي.

---

(1) The Encyclopedia of Film, James Monaco, p326.

# الفصل الثاني

## منهج مالكوم إكس الإصلاحية

وينقسم إلى أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: فلسفة منهج مالكوم الإصلاحية.

المبحث الثاني: مقارنة بين منهج مالكوم إكس ومنهج مارتن لوثر كينج.

المبحث الثالث: تأثير منهجه على حركات التحرر العالمية.

المبحث الرابع: نقد وملاحظات حول منهج مالكوم إكس.

(الْمَنْهَج) لُغَةً: هُوَ (الْمَسْلُكُ)؛ أَي: الطَّرِيقُ. جَاءَ فِي الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ أَنَّ أَصْلَ  
كَلِمَةِ (الْمَنْهَجِ) هُوَ (نَهَجَ)، وَيُقَالُ: نَهَجَ فُلَانٌ الْأَمْرَ نَهَجًا؛ أَي: أَبَانَهُ وَأَوْضَحَهُ<sup>(١)</sup>.  
وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَنَّ (الْمَنْهَجَ) هُوَ (النَّهْجُ وَالْمِنْهَاجُ)؛ أَي: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ  
وَالْمُسْتَقِيمُ<sup>(٢)</sup>.

واصطلاحًا: الوسيلة التي يستخدمها المصلح كفلسفة في حركته التجديدية<sup>(٣)</sup>.

ومناهج المصلحين رغم أنها متوحدة في الهدف في تعبيد الناس لله وإرجاعهم  
للدين ونشر العدل ومحاربة الظلم والفساد؛ فإنها متنوعة في الوسائل بحسب  
الظرف الزماني والمكاني للمصلح؛ فعلى سبيل المثال فقد أحاطت بالمفكر  
الجزائري مالك بن نبي<sup>(٤)</sup> ظروف الاحتلال الفرنسي لبلاده وآثار التغريب التي  
حاول أن يعالجها في منتجته الفكري عن المشكلات الحضارية. ومن قبله محمد  
بن عبد الوهاب<sup>(٥)</sup> أرض الحجاز قد أحاطت به مشكلة الممارسات الشركية التي  
تعارض مع عقيدة التوحيد؛ مثل: التمسح بالقبور والاعتقاد بالموتى والتوسل

(١) المعجم الوسيط، ص ٩٥٧، مادة (نهج)، مرجع سابق.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٦٦، مادة (نهج)، مرجع سابق.

(٣) غرايبة، إبراهيم. جمال الدين الأفغاني - عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحية، ص ١٧٧.

(٤) مفكر جزائري من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين، ويُعد من أكثر المفكرين

المعاصرين الذين نبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة.

(٥) هو الإمام المعروف الذي يُنسب إليه تكوين الوهابية، وأسس مع أمير الدرعية (محمد بن

سعود) الدولة السعودية الأولى.



بهم. وفي تركيا قد أحاطت ببديع الزمان النورسي<sup>(١)</sup> ظروف ضعف الخلافة العثمانية وسقوطها والتصدي لعلمنة تركيا. وقد حاول كل مصلح تكييف منهجه الإصلاحية وفقاً للظرف الزماني والمكاني المحيط به.

وقد أحاطت مالكوم إكس أوضاع مليئة بالعنصرية التي تحط من عرقه ذي الأصل الإفريقي الذي وصل للولايات المتحدة قبل مئات السنين على ظهر سفن الاستعباد، وبالرغم من إلغاء العبودية وإصدار قوانين إلغاء الفصل العنصري بين الأعراق؛ فإن الممارسات العنصرية ما زالت موجودة من قبل البيض وقوات الشرطة، وقد اتجه عدد من المصلحين قبله وفي زمانه بمحاولات عديدة لإلغاء العنصرية والحصول على حق المواطنة الكامل دون طبقيّة، لكن مالكوم إكس تفرد بمنهج ذي لون مختلف عن قبله وعن عاصروه، وهذا ما سُنْاقَش في هذا الفصل.

---

(١) عالم مسلم كردي (١٨٧٧م-١٩٦٠م)، وأحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره.

## المبحث الأول

### فلسفة منهج مالكوم الإصلاحية

انقسمت أساليب مكافحة العنصرية في الولايات المتحدة إلى وسيلتين

رئيسيتين:

الأولى: المنهج اللاعنفي؛ وهي مدرسة فكرة الاندماج والسعي بالوسائل

السلمية لدمج السود مع البيض وإلغاء الفصل العنصري؛ ومن روادها: مارتن لوثر

كينج، وروزا باركس، وبايارد روستين؛ وكيانات مثل: (لجنة تنسيق العمل الطلابي

السلمية / The Student Nonviolent Coordinating Committee)، و(مؤتمر

القيادة المسيحية الجنوبية / The Southern Christian Leadership Confer-

ence).

الثانية: المنهج الانتفاضي؛ ومن روادها: (مالكوم إكس، وستوكلي

كارمايكل).

انتهج مالكوم إكس المنهج الانتفاضي في نضاله ضد العنصرية عن طريق

اعتناقه فكرة القومية السوداء، التي كانت تدعو السود لرفع وعيهم، والفخر بقيمتهم

وحضاراتهم وثقافتهم، ونبذ الإحساس بعقدة الدونية<sup>(١)</sup> عند مقارنة ماضيهم

---

(١) الشعور العميق والمستمر عند الفرد بدونيته وعدم كفايته وانحطاط قدره، وهي عقدة نفسية تنشأ

عن الصراع بين النزوع إلى التميز، والخوف من التثبيط الذي كان الفرد قد عاناه في الماضي

وفي حالات مماثلة. انظر: عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٧٩٢، مادة

(دون)، مرجع سابق.

وواقعهم بماضي الأمريكيين البيض وواقعهم، وقد مزج مالكوم تلك الأيديولوجية  
بصبغة إسلامية نتيجة نشأته الفكرية في تنظيم أمة الإسلام على يد إيجاه محمد  
الذي كان مؤمناً بالقومية السوداء، وكان يملك تصورات متطرفة جعلت كيانه أكثر  
راديكالية وأقصى يمين تلك القومية.

شهدت حياة مالكوم إكس عددًا من التقلبات والصدمات أثرت على تغيير  
منهجيته في النضال؛ ما ترتب عليه تغيير فلسفته الإصلاحية ومرورها بمرحلتين:  
(مرحلة وجوده داخل أمة الإسلام) والتي تُقدَّر بـ(١٢ عامًا)، و(مرحلة ما بعد  
رحيله عن أمة الإسلام) والتي لم تدم طويلًا بسبب اغتياله؛ فكانت مدتها سنة  
واحدة.

أهم ملامح منهجه في مرحلة أمة الإسلام (١٩٥٢م-١٩٦٤م):

امتدت تلك المرحلة حقبةً طويلة، وهي مرحلة مركزية في حياة مالكوم،  
شكلت معالم منهجه النضالي ونال فيها شهرته الواسعة، وقد بنى مالكوم معالم  
فلسفة ذلك المنهج من معلمه إيجاه محمد، وقد نبعت جميعها من مبدأ القومية  
السوداء، وسنستعرض أهم ملامح فلسفة منهج مالكوم النضالي في تلك الحقبة؛  
وهي:

١- مناهضة الإحساس بعقدة الدونية لدى الأفروأمريكان:

يرى مالكوم إكس أن السياسات الاستعمارية قد أضعفت ثقة الأفارقة في  
أنفسهم -بمن فيهم الذين يعيشون في أمريكا-؛ حتى كرهوا أوصافهم وصاروا  
يتشبهون بالبيض في مظاهرهم وعاداتهم وحتى طريقة كلامهم؛ فيعلق مالكوم  
على حالة رفض الذات تلك قائلاً: (كرهنا الملامح الإفريقية، كرهنا شعرنا، كرهنا

شكل أنفنا، كرهنا شكل شفاهنا، وكرهنا لون بشرتنا؛ ويرجع مالكوم سبب ذلك إلى التصورات السلبية التي غرسها الرجل الأبيض في عقل السود عن إفريقيا بأنها أرض تحوي غابات فقط ويعيش فيها آكلو لحوم البشر والمتوحشون، وهو أمر كفيل بالصد عن تلك الهوية المتأخرة غير المتحضرة، ويقول تعليقا على ذلك: (إنهم ينظرون إلى الإفريقي بعده شخصاً منفراً، وإذا وصف أحدهم أحداً بأنه إفريقي فإنه يضعه في مرتبة الخادم)<sup>(١)</sup>.

وكان مالكوم دائم الانتقاد للأمريكان السود المقلدين للبيض في طريقة معيشتهم ولباسهم؛ فيقول تعليقا على تصرفاتهم التي وقع فيها قبل انضمامه لأمة الإسلام: (بلغ بي الغباء درجة الوقوف موقف المعجب بشعره وقد أصبح مثل شعر الرجل الأبيض<sup>(٢)</sup>)، والصبر على ذلك العذاب وإحراق لحمي وطبخ شعري الذي خلقني الله به، ذلك اليوم كنت خطوات نحو الانحطاط وانضمت إلى مئات الزوج الأمريكيين الذين أصبحوا نتيجة تعرضهم لغسيل الدماغ؛ فشرعوا يغيرون خلق الله ليصبحوا جميلين بمقاييس البيض، إن هذه التسريحة التي يحملها الرجل الأسود على رأسه في كل مكان في أمريكا في المدن الصغرى حتى المدن الكبرى، وتلك الباروكات الملونة بين الأخضر والوردي والأحمر والفضي على رؤوس السوداوات؛ لتبعث على الشك في أن يكون الزنجي ما زال يعرف أنه زنجي؛ ولذلك أقول لو كان السود رجالاً ونساءً ينفقون الوقت لتنمية عقولهم كما ينفقونه لتليين شعورهم؛ لأصبحت أحوالهم أفضل آلاف المرات مما هي عليه)<sup>(٣)</sup>.

(١) مرزوق، باسم رزق. الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) يقصد تسريحة (الكونك).

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٤٧، مرجع سابق.

وقد قدم مالكوم عدة رؤى وتصورات ساعدت على تخلص السود من تلك العقدة، دعا فيها السود للالتفاف حول القومية السوداء لتعلية شأن الرجل الأسود عبر تحكمه في مؤسساته الخاصة وخلق مجتمع قوي مواز للبيض قادر على مناطحتهم، كما كان يرى وفق معتقدات أمة الإسلام المتطرفة أن البيض ينحدرون من صلب الشيطان وأن السود هم شعب الله المختار، وأن السود لا ينتمون عرقياً إلى أمريكا بل إلى إفريقيا<sup>(١)</sup>، فكان مالكوم يروج لتلك الأفكار هادفاً بها لحل عُقدة الدونية عند الأمريكيان السود وإكسابهم الشعور بالفخر والاعتزاز بهويتهم.

وظهر ذلك الأمر حتى في أدق الأمور كتغيير أسماء أعضاء تنظيم أمة الإسلام، وكان إلبجاه محمد دائم الدعوة لتخلي السود عن أسمائهم التي دمغها بها الرجل الأبيض؛ فيقول: (إذا أجابك صيني مثلاً أن اسمه وايت فيلد، فلا بد أن يكون هناك خطأ ما في الأمر، وكذلك الأمر مع الأسود الذي يتسمى باسم جونز، فحيثما وجدت أسماء البيض بين الزوج فاعلم أنها ترمز إلى أنهم لا يزالون ملكاً للبيض، فكانما يقول للعالم أنه لا يزال متاعاً للرجل الأبيض)<sup>(٢)</sup>.

وقد ركز مالكوم على توضيح معنى مصطلح (زنجي) في محاولة لمنعه؛ حيث كان يستخدم لمناداة وتمييز السود وقتها، وكان يعدُّ وصفاً لا يحتوي على التقدير؛ فيقول مالكوم: (إن ذلك اللفظ أطلق من الرجل الأبيض لإبعادنا عن البحث عن أصولنا، إن مصطلح زنجي لن يوصلك إلى شيء بخصوص أصلك التاريخي وهويتك، وحين تسمح بإطلاق ذلك اللقب على نفسك فأنت بذلك تضع نفسك في منتصف دائرة العدمية أو اللاشيء)<sup>(٣)</sup>.

(١) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ١٣٠، ١٣١، بتصرف واختصار، مرجع سابق.

(٢) السندي، فهد. أشهر الفرق الأمريكية المعاصرة المنتسبة للإسلام، ص ٣٢٤.

(3) The Cambridge Companion to Malcolm X, Robert Terrill, p144.

تمحور علاج مالكوم إكس لتلك العقدة عبر الترويج للقومية السوداء التي تدعو للافتخار بالهوية الإفريقية الممزوجة بتعليمات إيجاه محمد المتطرفة التي ترى بانحدار الرجل الأبيض من صلب الشيطان!

## ٢- تقوية المجتمع الأسود عبر إقامة كيانات خاصة به:

كان مالكوم يؤمن أن من ضمن فلسفة القومية السوداء هي سيطرة السود على السياسة والاقتصادات في مجتمعاتهم وإقامة كيانات خاصة بهم يجابهون بها سياسة الفصل العنصري الممارسة عليهم، ونص على ذلك في خطبه قائلاً: (الرجل الأبيض يملك مدارسه وبنوكه واقتصاده وسياسته، يملك كل شيء، إضافة إلى أنه يملكك أنت - يقصد أتباعه-، يجب أن تحكموا أنفسكم وتملكوا وسائل القوة كما يملكها الرجل الأبيض)<sup>(١)</sup>.

ويوضح مالكوم تلك الفلسفة في إحدى خطبه قائلاً: (إن الفلسفة الاقتصادية للقومية السوداء تعني أننا مسؤولون عن إعادة تثقيف مجتمعنا الأسود، لتوعية شعبنا أن إنفاقه دولارًا واحدًا خارج المجتمع الذي تعيش فيه يجعل المجتمع الذي وضعت فيه ذلك الدولار أكثر ثراءً، والمجتمع الذي أخذت منه ذلك الدولار أكثر فقرًا، ولأن السود مُضللون وفاقدون للتوجيه والإرشاد جعلوا الرجل الأبيض غنيًا بأموالهم؛ ما ترتب عليه تحول مجتمعاتنا السوداء إلى أحياء فقيرة ينتشر فيها الجهل والنوادي الليلية)<sup>(٢)</sup>.

(1) The Color of Freedom: Race and Contemporary American Liberalism, David Carroll Cochran, p109.

(2) The Power of Words A Compendium of Great Speeches from World Leaders, LornaMarie, p341.



كانت تلك الفلسفة مترسخة عند مالكوم عبر تنظيم أمة الإسلام؛ حيث كان يدعو التنظيم مريديه إلى إنشاء أعمال تجارية، وغير ذلك من سُبُل إعالة الذات وتحقيق الأمن الاقتصادي والأمن الذاتي لأعضاء التنظيم، كما كان يسعى بقوة لتحقيق الاستقلال الاقتصادي للسود عمومًا، وكان إليهجاه يعتقد أن السود داخل أمريكا إذا كَوَّنوا اقتصادًا يخصهم سيكون معدل ربحه السنوي يفوق بعض الدول الأوروبية<sup>(١)</sup>، وقد أقامت الحركة العديد من المعارض الاقتصادية لغرض زيادة دخل التنظيم، وشدت الحركة على مفهوم المقاطعة الاقتصادية للرجل الأبيض ما دام أن هناك بديلًا عند أخيه المسلم<sup>(٢)</sup>، كما كانت للحركة مدارسها الخاصة في (شيكاغو، وديترويت) لتدريس العلوم والرياضيات والتاريخ واللغة العربية<sup>(٣)</sup>، وبلغ عدد الطلاب فيها (٨٠٠٠ طالب)، وألحق بها مركز للفتيات لتعلم مهارات إدارة المنزل وتعلم مهارات تربية الأولاد، وقد لاقت المدرسة إقبالًا شديدًا من الطلاب السود المسلمين والسود غير المسلمين من الفقراء<sup>(٤)</sup>.

وكان لتلك الفلسفة الاستقلالية مردود واسع في ازدهار النشاط الاقتصادي لأمة الإسلام، وتكريس لفكرة القومية السوداء؛ فبدأ المسلمون السود في فتح المتاجر والمخابز والمطاعم والبقالات والمزارع، وكانت تتميز أغلب تلك النشاطات بجودة منتجاتها وحسن الخدمة فيها<sup>(٥)</sup>.

---

(1) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p20.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٠-٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(4) The Life and Times of Elijah Muhammad, Claude Andrew Clegg III, p252.

(5) New Perspectives on the Nation of Islam, Dawn-Marie Gibson, Herbert Berg, p79.

وقد أكد مالكوم مرارًا تلك المعاني في خطبه قائلًا: (تقوم فلسفة القومية السوداء على أساس أن الإنسان الأسود هو من يتحكم في سياساته وسياسات جماعته، لم يعد متاحًا للرجل الأبيض أن يستغل الرجل الأسود ثم يستغله بعد نجاحه، لا بد أن نفهم السياسات التي يجب اتباعها)<sup>(١)</sup>.

### ٣- اهتمامه بالتعليم والتوعية التاريخية للسود:

بالرغم من أن مالكوم إكس لم يُتَمَّ تعليمه في المرحلة الثانوية؛ فإن التوعية كانت من ضمن فلسفة منهج مالكوم إكس، فقد كان دائم الدعوة لتوعية السود بطبيعة العلاقات التاريخية التي جمعتهم بالبيض على أرض الولايات المتحدة، وأوضح أن تاريخ السود حُرِّفَ وزُيِّفَ من قبل البيض؛ ما ترتب عليه تشويه لهوية الرجل الأسود، ويرى مالكوم أن تاريخ إفريقيا حُصِرَ في العبودية فقط؛ ما وصمها بالتخلف على طول الخط، وأن الرجل الأبيض لم يُوثَّق أنها أرض قامت عليها حضارات وممالك منذ بداية العالم؛ لذلك دعا السود إلى نشر التوعية بتاريخهم لتصحيح الخلل الذي يشوب العلاقة بينهم وبين الرجل الأبيض؛ لذلك كان مالكوم يرى أن التعليم سبب رئيس في إبقاء العلاقة العنصرية غير المتكافئة بين البيض والسود، كما كان يرى أن الدول المُستعمِرة فعلت مع الشعوب المحتلة نفس ما كان يفعله الأسياد مع العبيد في مسألة تعليمهم وتثقيف بعض النخب للتحكم في باقي الشعوب؛ فيقول: (أخذ السيد العبد وألبسه جيدًا، وأعطاه القليل من التعليم، واستخدمه ليتحكم فينا، وهي الإستراتيجية ذاتها المتبعة في الوقت الراهن)؛ ولهذا كان يرى أولوية إعادة هيكلة مؤسسات التعليم ومحتواها، كما يرى أن ترك الحرية للسود في التعلم والتفكير سيجعلهم قادرين على تقييم مشكلاتهم وإعادة النظر

(١) مرزوق، باسم رزق. الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي، ص ٢٠٩.

في العديد من جوانب حياتهم<sup>(١)</sup>، ورأى مالكوم أيضاً أن الاهتمام بتعليم السود وتثقيفهم؛ سينتج عنه وعي سياسي ونُضج للسود؛ يقودهم إلى الاختيار الصحيح في تصويت الانتخابات الذي يجعلهم محور اهتمامه وإنقاذهم من عملية التضييل المتعمد<sup>(٢)</sup>.

وكان مالكوم يرى أن المستوى المتدني للتعليم الذي يتلقاه السود هو السبب في حصولهم على وظائف متدنية وهو سبب انتشار الجرائم والبطالة في أحيائهم؛ فيقول: (علّمنا السيد إليجاه أن الرجل الأبيض قد تأمر علينا ليجعلنا ندور في حلقة مُفَرَّغَة من الفقر؛ فالسود يملكون مدارس متدنية ومدرسين متدنين؛ وعليه نحصل على تعليم أدنى؛ ما يترتب عليه حصولنا على وظائف متدنية فيما بعد، ولن نكون مُجهَّزين سوى للوظائف الأَقْدَر والأكثر فقراً)<sup>(٣)</sup>، وقد اشتهرت عنه مقولة: (إن التعليم هو جواز السفر للمستقبل، فالمستقبل للذين يعدُّون له الحاضر).

لم يكن اقتناع مالكوم إكس بأهمية التعليم من فراغ؛ فقد اهتم تنظيم أمة الإسلام بذلك عبر تأسيس مدارس الخاصة التي درس فيها اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتاريخ<sup>(٤)</sup>، وقد زاد عدد المدارس التابعة للتنظيم بانضمام مالكوم في الخمسينيات وزادت مجالات التعلُّم فيها؛ حيث شملت (الكيمياء، والجغرافيا، وعلوم الحضارة، والفنون، والخياطة، وصناعة حلي الذهب)، وقد ساعدت تلك المدارس أجيالاً من الأمريكان السود على تأهيلهم لدخول الكليات<sup>(٥)</sup>.

(١) مرزوق، باسم رزق. الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي، ص ٢١١.

(2) Applied communication research: a dramatistic approach, John F. Cragan, Donald C. Shields, p83.

(3) Malcolm X: The Last Speeches, Bruce Perry, p65.

(4) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p127.

(5) Encyclopedia of African American Education, vol1, Kofi Lomotey, p489.

كان مالكوم يعارض فكرة الاندماج بين السود، ودائم الطرح لفكرة إنشاء دولة مستقلة للسود عبر منح الحكومة الأمريكية عدة ولايات للمواطنين السود. وقد عبّر عن تلك الرؤية في سيرته الذاتية؛ حيث نقل كلاماً عن إيجاه محمد: (إن المجتمع الغربي موحد في التفسخ والانحلال، وإن غضب الله تعالى سيحل عليه ويدمره، وإن خلاصنا -نحن السود- في الانفصال عنه والعيش في أرض خاصة بنا نستطيع فيها أن نقوم أنفسنا وأخلاقنا ونولي وجوهنا لله)، وفي موضع آخر يقول إيجاه: (أكثر ما نريده هو الانفصال لا الفصل، وإن هناك فرقاً بين اللفظتين؛ إن الفصل مفروض على محكوم من طرف حاكم يتصرف في حياته وحرية وينظمها، أما الانفصال فعلى العكس؛ اختيار إداري يتم بالاتفاق بين طرفين متساويين لما فيه مصلحتهما، وإننا إذا بقينا في حالة تبعية للرجل الأبيض فسنتظل نستجدي منه العمل المأكل والملبس، ويبقى يتحكم في حياتنا وينظمها على هواه، وتبقى سلطة فصلنا بين يديه، لقد عومل الزوج في أمريكا معاملة جنين يراد له أن يبقى في بطن أمه بعد حلول أوان الوضع، والحالة أن الجنين يجب أن ينفصل عن أمه في الموعد المحدد وإلا دمرها ودمر نفسه)<sup>(١)</sup>.

وقد نظر إيجاه محمد قبل مالكوم إكس لتلك الفكرة كزعيم لتنظيم الأمة؛ ففي لقاء صحفي مع جريدة (Los Angeles herald-dispatch) قال: (إن كل ما نريده هو دولة مستقلة منفصلة)، ودعم ذلك المطلب بسببين؛ فقال: (السبب الأول: إن الرجل الأبيض قد سرق البلاد من الهنود، الذين هم ليسوا من الجنس الأبيض بل إخوة للسود. والسبب الثاني: إن السود قد عملوا ما يزيد على الثلاثمائة سنة

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٨٨، مرجع سابق.

كأرقاء، ثم اشتغلوا مائة عام كعبيد أحرار، ومن شأن ذلك أن يوجب لهم حصة في البلاد<sup>(١)</sup>.

كان مبرر مالكوم لدعوى الانفصال هو رفضه لفرض السود على المجتمع الأبيض، وكان يرى أن حل الاندماج مع البيض هو شكل من أشكال النفاق للتظاهر بعدم وجود مشكلة عرقية؛ فيقول في أحد لقاءاته: (إذا وضع رجل أبيض ذراعه حولي طواعية؛ فهذا هو الإخاء، لكن إذا أجبرته بالسلاح وجعلته يعانقني عنوةً ويتظاهر بأنني صديقه أو أخوه؛ فهذا ليس إخاءً بل هذا هو النفاق؛ وما تحاول أمريكا فعله هو تمرير قوانين لإجبار البيض على التظاهر بالاندماج بأنهم يريدون أن يدخل الزوج مدارسهم أو أماكن عملهم)، ويتابع قائلاً: (إذا كان لديك حي أبيض بالكامل؛ فإنك لا تسميه حيًا منفصلاً، في حين تطلق على الحي الأسود بالكامل حيًا منفصلاً، لماذا؟ لأن حي الزوج الأقل شأنًا مسيطر عليه من قبل أناس آخرين يميزونه بهذا الاسم ويحاولون إجباره على الاندماج، وبعض سكانه يتوسل الفرصة أحيانًا للاندماج مع البيض؛ لأنه يشعر بأنه غير متساوٍ مع المواطن الأبيض المتمتع بكامل حقوقه، ودعني أضرب لك مثالاً؛ الصينيون في هذا البلد لا يطلبون الاندماج، كذلك اليابانيون لا يطلبون الاندماج؛ لأنهم مجتمع متحكم في نفسه ومعتمد على ذاته، لا يتحكم فيهم أحد، إن الأقلية الوحيدة في أمريكا التي تطالب بالاندماج هي ما تُسمى بالزنج، وذلك بسبب شعوره بأنه الأقل شأنًا اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا)<sup>(٢)</sup>.

(1) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p91.

(2) مقابلة إذاعية لمالكوم إكس عام (١٩٦١م) في محطة (WNYC) الإذاعية الأمريكية، حاورته فيها المذيعة (Eleanor Fischer).

لم تكن فكرة الانفصال متبلورة جيداً في ذهن إليجاه ومالكوم؛ حيث تنوعت تصريحاتهم في تصورهم عن ذلك الانفصال؛ فقال إليجاه: (فإذا كانوا لا يريدون ذلك؛ فليتركونا نعزل أنفسنا عنهم ونعيش في أربع أو خمس ولايات في أمريكا، أو فلنغادر هذه البلاد إلى غير رجعة)<sup>(١)</sup>، وفي موضع آخر قال في لقاء صحفي: (كل ما نريده هو دولة مستقلة منفصلة وليس من الحتمي أن تكون الدولة في أمريكا)<sup>(٢)</sup>، أما مالكوم إكس فيقول في تصور آخر متضارب مع رؤية إليجاه: (إن تسع أو عشر ولايات تكون كافية)<sup>(٣)</sup>.

#### ٥- استخدام وسيلة الدفاع عن النفس:

انتقد مالكوم حالة اللاعنف التي انتهجها الأمريكان السود خلال نضالهم ضد العنصرية، وقال بأن الانتفاضة الزنجية في أمريكا يجب أن تنتهج منهج الانتفاضات الزنجية في الدول الإفريقية ضد الاستعمار؛ فيقول: (الانتفاضة الوحيدة التي لا تستخدم العنف هي الانتفاضة الزنجية، وهي الانتفاضة الوحيدة التي كان هدفها أن تحب عدوك؛ هي ليست انتفاضة؛ لأن الانتفاضة تقوم على أساس الأرض، والأرض هي الاستقلال)؛ لذا ميّز مالكوم إكس بين الانتفاضات الإفريقية ضد المستعمر والانتفاضة الزنجية في الولايات المتحدة التي نزع عنها صفة الانتفاضة لأنها لا تستخدم العنف<sup>(٤)</sup>، وفي خطبته (بلاغ إلى القاعدة الشعبية) أوضح مالكوم أن حق الدفاع عن النفس للمواطنين السود مكفول بأي وسيلة كانت، وبرر مالكوم ذلك الأمر أن ما من انتفاضة قامت إلا وكان لها

(1) Black Liberation and Socialism, Ahmed Shawki, p172.

(2) Elijah Muhammad, Herbert Berg, p91.

(3) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p91.

(٤) مرزوق، باسم رزق. الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي، ص ٢١٣.



ضحايا؛ مثل: (الانتفاضة الفرنسية، والانتفاضة الروسية)، ومن المستحيل ألا توجد انتفاضة بلا دماء<sup>(١)</sup>.

كانت هذه النقطة نقطة خلاف كبيرة بين مالكوم وقادة العمل النضالي الآخرين؛ فكانوا يصفون أسلوبه بـ(العنصرية المضادة)، ولكن مالكوم كان يدافع عن وجهة نظره بأنهم يلومون أصحاب ردة الفعل ولا يلومون أصحاب الفعل نفسه؛ فيقول: (في حال استجبنا لعنصرية البيض برد فعل عنيف، فبالنسبة لي ليست عنصرية للسود؛ إذا جئتم لتضعوا حول عنقي لتشنقوني، فبالنسبة لي ليست تلك عنصرية، ردود أفعالكم هي العنصرية، لكن رد فعلي لا علاقة له بالعنصرية)<sup>(٢)</sup>.

وقد اتسمت منهجية مالكوم إكس بعدم بدء العنف أو افتعاله، وهذا بالفعل ما يدعو إليه الإسلام الصحيح؛ حيث أعطى الإسلام الإنسان حق الدفاع عن النفس لكنه لم يدع يوماً إلى الفوضى؛ وقد دعا مالكوم إلى وجوب وجود ردة فعل مضادة على أي فعل عنصري، لا سيما إذا اتسم الفعل بالعنف -بحسب قناعاته-؛ وبذلك كان يدعو قائلًا: (كن مسالمًا، كن مهذبًا، أطع القانون، احترم الجميع، لكن إن مد أحدهم يده عليك؛ فأرسله إلى المقبرة)، ويقول أيضًا موجهاً حديثه للسود: (حافظ على حياتك، فهي أفضل ما لديك، وإذا كان عليك خسارتها، تأكد من أن من سيجعلك تخسرها سيخسر حياته)<sup>(٣)</sup>، كان منطلق مالكوم الفكري في ذلك المبدأ منطلق ديني؛ حيث نص عليه في اقتباس عبارات من آيات القرآن في إحدى خطبه التي دعا فيها للدفاع عن النفس؛ فقال: (ديننا الإسلامي يعلمنا

(1) Major Problems in African American History, Loose-Leaf Version, Barbara Krauthamer, Chad Williams, p475.

(2) Black Liberation and Socialism, Ahmed Shawki, p173.

(3) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

أن نكون أذكياء؛ أخبرنا أن العين بالعين والسِّن بالسِّن والرأس بالرأس والحياة بالحياة، والذي يرفض تلك التعاليم هو في الحقيقة ذئب يحاول أن يخدعك لافتراسك<sup>(١)(٢)</sup>.

تأسست قناعة حق الدفاع عن النفس عند مالكوم؛ نتيجة لاعتناق أفكار إيجاه محمد زعيم تنظيم أمة الإسلام؛ فلقد كان التنظيم يؤمن بفكرة حق الدفاع عن النفس بامتلاكه حركة داخلية باسم (ثمرة الإسلام أو فيلق النخبة)، وفرقة أخرى لتدريب النساء سُميت بـ(تدريب البنات المسلمات / T.M.G)<sup>(٣)</sup>، وكانت من مهام ثمرة الإسلام حماية المعابد وحماية إيجاه محمد وقادة التنظيم، وكانوا مدربين على الاشتباك بالأيدي والسلاح<sup>(٤)</sup>.

وقد استخدم مالكوم وسيلة الدفاع عن النفس في حادثين خلال وجوده في أمة الإسلام:

الحادث الأول: هو حادث الأخ (Johnson Hinton) عام (١٩٥٧ م) الذي سلَّط الضوء على التنظيم وعلى مالكوم - لكونه المتحدث الرسمي باسمها -<sup>(٥)</sup>؛ جاء الخبر لمالكوم أن الأخ (Johnson) يحتضر في مركز الشرطة؛ فعلى الفور

(1) Malcolm X: The Man and His Times, John Henrik Clarke, A. Peter Bailey, Earl Grant, p279.

(٢) قلتُ: إن مالكوم إكس لا يدعو إلى خَلْق الفوضى، ولكنه يدعو إلى استخدام حق الدفاع عن النفس بالوسائل المشروعة؛ فالإسلام يكفل للإنسان حق الدفاع عن نفسه، كما يدعو إلى وضع ضوابط للحريات بقَدْر ما يحفظ تماسك المجتمع وحقوق الآخرين؛ وإلا فستكون الفوضى.

(٣) الجهني، مانع بن حماد. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،

ج ١، ص ٣٦٠، مرجع سابق.

(٤) فيلم وثائقي بعنوان: (Malcolm X Make It Plain)، الدقيقة (٤٠)، مرجع سابق.

(٥) المصدر نفسه، الدقيقة (٤٤).

طلب مالكوم أعضاء (أمّة الإسلام)، ولم يمضِ نصف ساعة حتى كان حوالي (٥٠) منهم واقفين أمام مركز الشرطة في صفوف منتظمة، وانضم إليهم بعض السود؛ فأصبحت تظاهرة كبيرة، ودخل مالكوم مركز الشرطة لرؤية الأخر ولكنهم لم يسمحوا لمالكوم برؤيته إلا بعد ضغط المتظاهرين، وكان في شبه غيبوبة والدم يغطي وجهه، فأمرهم مالكوم أن ينقلوه إلى المستشفى، فطلبوا له سيارة الإسعاف وأخذته إلى مستشفى (هارلم)، وتبعه أنصار التنظيم جماعات حتى أوصلوه إلى المستشفى، بعدها أعطى مالكوم الإشارة إلى أعضاء التنظيم بالانصراف فانصرفوا، وأجريت العملية للأخ (Johnson)، وعندما خرج من المستشفى ساعدته (أمّة الإسلام) على متابعة شرطة نيويورك وصدر الحكم ضدها بغرامة تقدر بـ (٧٠ ألف دولار)، كان هذا الحدث كفيلاً أن يجعل (أمّة الإسلام) ومالكوم هُما حديث الساعة في نيويورك وفي باقي الولايات، وبعدها تصدّر هذا الخبر الصفحات الأولى في الجرائد اليومية والأسبوعية<sup>(١)</sup>، وفي عقب ذلك الحادث صرح مالكوم في الإعلام قائلاً: (من الخطر أن يشعر أفراد الشرطة أننا نتبع فلسفة مارتن لوثر كينج التي تقول: مَنْ ضربك على خدك الأيمن فأعطه خدك الأيسر)<sup>(٢)</sup>.

الحادث الثاني: كان في (لوس أنجلوس) في (أبريل / ١٩٦٢ م)؛ حيث قُتل مسلم أسود وكان صديقاً مقرباً من مالكوم إكس، وجرح العشرات من قبل قسم شرطة لوس أنجلوس، ولما سمع مالكوم بالخبر سافر مباشرة إلى لوس أنجلوس لتوجيه رد الحركة على الهجوم، ولكن إلیجاه دعى أتباعه ومالكوم لعدم التصعيد

(1) Malcolm x African American revolutionary, Dennis D. Wainstock, p42, 43.

(٢) فيلم وثائقي من إنتاج الجزيرة بعنوان: (مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج - وجهًا لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية.

والاكتفاء بالتظاهر، ووجهة لمالكوم رسالة أن: (العَبْها بهدوء)، واستجيب لتعليمات إيجاه وانسحب مالكوم وباقي الأتباع بناءً على تعليمات إيجاه<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من إيمان مالكوم بمبدأ الدفاع عن النفس؛ فإنه لم يثبت عنه حمل السلاح يوماً ضد البيض أو الشرطة، وأمّا بالنسبة للصورة الشهيرة وهو حامل السلاح بيده اليمنى في شرفة منزله؛ فقد طلب من أحد الصحفيين تصويره ونشر الصورة بعد تلقيه تهديدات من تنظيم أمّة الإسلام بعد انفصاله عنها واختلافه مع إيجاه، ونشرها في مجلة (life magazine) في (مارس / ١٩٦٤ م) ومرة أخرى في مجلة (Ebony) في سبتمبر من العام نفسه.

كانت نظريات مالكوم في هذا الجانب تتسم بالمنطقية ومقارعة الحجّة بالحجّة، وكانت ردوده جاهزة لأي اتهام بالعنف أو العنصرية؛ فمن وأقواله في ذلك الجانب: (لا أسمى العنف عنفاً عندما يكون دفاعاً عن النفس، بل أسمىه ذكاءً)<sup>(٢)</sup>، ويقول أيضاً: (ليس هناك في كتابنا -القرآن الكريم- شيء يعلمنا أن نعاني بسلام)<sup>(٣)</sup>، كما كان مالكوم ينتقد وسيلة اللاعنف باستمرار، ويرى أنها تُضعف السود، وأنها أداة لاحتواء غضب السود من قبل الرجل الأبيض، وفي خطبته الشهيرة بعنوان (زواج الحقل وزواج المنزل) قال منتقداً قادة حركة الحقوق المدنية السلميين: (إن هؤلاء القادة يسيطرون عليكم ولكنهم لم يحرضوا أو يستثيروكم أبداً، إنهم يسيطرون عليكم ويحتوونكم؛ لقد أبقوكم في مزرعة العبيد!).

(1) Extreme Virtue: Truth and Leadership in Five Great American Lives, Crispin Sartwell, p116.

(2) Pure Fire: Self-defense as Activism in the Civil Rights Era, Christopher B. Strain, p86.

(3) African American Political Thought, Marcus D. Pohlmann, p124.

أهم ملامح منهج مالكوم في مرحلة استقلاله عن أمة الإسلام  
(١٩٦٤م-١٩٦٥م):

في أوائل عام (١٩٦٤م) أعلن مالكوم انفصاله عن تنظيم أمة الإسلام بعد خلافه الكبير مع إيجاه محمد بخصوص تصريحات مالكوم التي أعقبت اغتيال الرئيس الأمريكي (جون كينيدي)، التي عاقبه عليها إيجاه بالإيقاف (٩٠ يومًا)، لكن سرعان ما تبين أن هذا الإيقاف في حقيقته هو فصل تام، وكانت تلك الخطوة هي ردة فعل من إيجاه على التسييس المتنامي للحركة الذي حدث على يد مالكوم؛ لذلك اتخذ بعض الإجراءات لإعادة تأكيد سيطرته على التنظيم رغم أن تصريحات مالكوم كانت متسقة مع أفكار التنظيم، ولكن يبدو أن إيجاه كان يرغب في تحجيم مالكوم!

وخلال رحلة الحج تحول مذهب مالكوم العقدي إلى الإسلام الصحيح وتخلّى عن الأفكار العنصرية الخاصة بأمة الإسلام، وأعدت رحلة الحج له تقويمه للفظ (أبيض) بعدما اكتشف في العالم العربي أنه الوحيد الذي كان يعاني الفوارق العرقية بسبب الظروف التي عاشها في أمريكا، كذلك صار مالكوم أكثر مرونة من الجانب النضالي وابتعد عن بعض آرائه الراديكالية التي كان يتبناها قبل انفصاله عن أمة الإسلام، فلقد كان خروجه عن ذلك التنظيم إضافة إلى رحلة الحج بمنزلة ولادة جديدة له؛ وقد صرح قبل اغتياله بثلاثة أيام مُعلقًا على انفصاله عن أمة الإسلام: (أشعر أنني كنت مغيبًا وكنت تحت قيادة رجل آخر، أنا الآن مسؤول عن أقوالي وأفعالي، قبل ذلك كنت أمثل إيجاه محمد، والآن أنا أمثل نفسي)<sup>(١)</sup>، ولقد أقر بذلك مالكوم في رسالته التي أرسلها إلى زوجته من مكة؛ فقال فيها:

(1) The Trouble with Sauling Around, Madeline Ruth Walker, p43.

(ما رأيته وعشته في هذه الحجة قلب أفكاري وجعلني أتخلص بسهولة من بعض استنتاجاتي السابقة...؛ لأن لي عقلاً متفتحاً ومَرِنًا، وهما الصفتان الضروريتان للبحث عن الحقيقة)<sup>(١)</sup>؛ ومن أهم ملامح منهج مالكوم إكس في تلك المرحلة:

### ١- اعتدال رأيه في الصراع العنصري والفوارق اللونية:

تبدلت رؤية مالكوم إكس للفوارق اللونية بين البشر، كما تبدلت رؤيته للصراع العنصري في أمريكا؛ حيث تحرر من تلك العنصرية المضادة المتشددة التي كانت ترى كل مَنْ هو أبيض (شيطان) تلك الأسطورة الزائفة لمعتقدات أمة الإسلام التي كان يتبناها (١٢ عامًا)، وآمن أن لون الإنسان لا يؤثر في سلوكه البشري؛ إذ إن الإنسان هو مجموعة من التفاعلات الحاصلة في محيطه الزماني والمكاني، وهذا ما أكدته حديث النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَيَّ أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَيَّ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَيَّ أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَيَّ أَحْمَرَ؛ إِلَّا بِالتَّقْوَى»<sup>(٢)</sup>.

يقول مالكوم في رسالته إلى زوجته من مكة شارحًا ذلك التغير: (لقد أوسع الحج نطاق تفكيري وفتح بصيرتي؛ فرأيت في أسبوعين ما لم أره في تسع وثلاثين سنة، رأيت كل الأجناس من البيض ذوي العيون الزرقاء والأفارقة ذوي الجلود السوداء، وقد ألفت بين قلوبهم الوحدة والأخوة الحقيقية؛ فأصبحوا يعيشون كأنهم ذاتٌ واحدة في كنف الله الواحد...، لم أشهد في حياتي أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، أمريكا في حاجة إلى فهم الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشكلة العنصرية)<sup>(٣)</sup>.

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٦١، مرجع سابق.

(٢) الشيباني، أحمد بن حنبل. مُسْنَدُ أَحْمَد، حديث رقم (٢٢٩٧٨).

(٣) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٦١، مرجع سابق.



ويُفصّل الدكتور عبد الوهاب المسيري شارحًا ذلك التحول في حياة مالكوم قائلًا: (ففي العالم العربي أصر الناس على رؤية مالكوم على أنه أمريكي، أوليّست هذه جنسيته؟ فدعاه قائد الطائرة المصري الذي كانت بشرته أكثر سوادًا من مالكوم نفسه إلى مقصورة القيادة بعدّه مسلمًا أمريكيًا فحسب، وليس بعدّه مسلمًا أسود...، وحينما لم يسلك عبد الرحمن عزام (الرجل الأبيض) سلوك الرجل الأبيض بتاتًا ليكتشف مالكوم بفرع شديد أنه كان الوحيد الذي يعاني الإحساس بالفوارق العنصرية...، لقد طرد مالكوم شيطان العنصرية بشكل تام لدرجة أنه حين لاحظ أن الناس المشابهين كانوا يمكنون معًا، لم يرجع ذلك إلى نوع من أنواع التفرقة العنصرية وإنما عدّه نوعًا من الفعل الاختياري لأناس يوجد بينهم شيء مشترك يجمعهم)<sup>(١)</sup>.

أسهم الحج في إدراك مالكوم للأبعاد المثالية والانتفاضية لفكرة عالمية رسالة الإسلام، كما أتبع الحج عدة رحلات إلى مدن عربية أسهمت في توسيع مداركه؛ حيث أصبح أكثر مرونة وانفتاحًا على شركاء النضال ضد العنصرية؛ حيث يقول المسيري: (ففي العالم العربي الإسلامي وجد مالكوم حلم البراءة التي بحث عنها، وعرف الإسلام الذي أنزل على حقيقته، لكن لم يكن الوطن العربي هو الفردوس الذي بحث عنه؛ لأن لكل وطن جوانبه المظلمة، شأنه في هذا شأن أي بقعة أخرى في العالم، ولكن مالكوم كان يتعامل مع هذا الوطن العربي من منظوره هو، كأمركي أسود، يعاني ويلات التفرقة العنصرية؛ ولهذا السبب استطاع مالكوم أن يجد في العالم العربي الإسلامي تحقيقًا جزئيًا لحلمه بالبراءة وبالعالم خالٍ من التفرقة العنصرية، وكذلك يمكن رؤية بناء السيرة الذاتية ككل على

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. الفردوس الأرضي، ص ٧٠، مرجع سابق.

أنه تجسيد لتطور مالكوم من كونه إنساناً مادياً لا روح له ولا ضمير، إلى إنسان قادر على اكتشاف نزعات مثالية في نفسه<sup>(١)</sup>.

انعكست تلك القناعات على تصريحات مالكوم وخطبه في الحقبة التي تلت انفصاله عن أمة الإسلام؛ فيقول: (إنني مؤمن بالإنسانية، وأن كل البشر يجب أن يُعاملوا باحترام بغض النظر عن لونهم)<sup>(٢)</sup>، وفي لقاءاته التلفازية صار يستبدل لفظ (الرجل الأبيض) بـ(الحكومة الأمريكية) لكونها مسؤولة عن تلك الأزمة -من وجهة نظره-؛ فعقب رجوعه من الحج وتغيير اسمه إلى (مالك الشباز) عقد مؤتمراً مرثياً في فندق (تيريزا) في هارلم بتاريخ (٢١/ مايو/ ١٩٦٤م)<sup>(٣)</sup>؛ حيث قال فيه: (خدعتُ أمريكا الكثيرين؛ حيث أوحى إليهم أنها تحاول صادقة حل مشكلة العنصرية، وأنا أوضحتُ لهم عكس ذلك حيث إنه لا دليل على ذلك).

٢- توسيع نضال السود داخل أمريكا وتكامله مع نضال الأفارقة ضد

الاستعمار:

في أثناء مرحلة اعتدال أفكار مالكوم؛ سافر إلى عدة دول عربية وإفريقية والتقى فيها بالعديد من الرؤساء والدبلوماسيين؛ أبرزهم كان: كوامي نكروما الرئيس الأسبق لغانا، وجمال عبد الناصر الرئيس الأسبق لمصر؛ وتأثر مالكوم بأفكار (العالم الثالث) في نضاله ضد الاستعمار، وبعد زيارته الدولية الأخيرة بدأ الترويج لفكرة أن النضال الأسود في الولايات المتحدة كان جزءاً من نضال دولي، وهو مرتبط بالنضال ضد الإمبريالية، وأن الأمريكان السود يعيشون داخل مستعمرة داخلية

(١) المسيري، عبد الوهاب. الفردوس الأرضي، ص ٧٥، مرجع سابق.

(2) Racism in the Autobiography of Malcolm X, Candice Mancini, p110.

(3) Malcolm X: The FBI File, Clayborne Carson, section 11, serials 109 - 126.

-يقصد أمريكا-؛ لذلك كان يرى مالكوم أن الأمريكان السود يجب أن يتعلموا من تجارب النضال ضد المستعمر في تلك البلدان التي تعرضت للاستعمار.

أعاد مالكوم صياغة مفهومه لصراع السود داخل الولايات المتحدة؛ فقال: (نحن نعيش في عصر انتفاضة، وانتفاضة الزنوج الأمريكيين هي جزء من التمرد ضد القمع والاستعمار الموجودين في هذا العصر...، ليس صحيحًا أن نُصنّف انتفاضة الزنوج بوصفها صراعًا عرقيًا من جانب السود ضد البيض، أو أن نُصنّفها كمشكلة أمريكية بحتة، لكننا اليوم نشهد انتفاضة عالمية من المظلومين ضد الظالمين، ومن المُستغلين ضد مَنْ يستغلونهم)<sup>(١)</sup>.

وبناءً على تلك الرؤية الجديدة أعلن مالكوم في (يونيو/ ١٩٦٤م) تأسيس منظمة الوحدة الأفروأمريكية على غرار منظمة الوحدة الإفريقية التي جمعت بين رؤساء الدول الإفريقية المختلفة، وكانت منظمة الوحدة الأفروأمريكية منظمة قومية للسود تسعى لبناء: منظمات مجتمعية، ومدارس، ومشاريع تجارية للسود، وحملات تسجيل انتخابية لضمان سيطرة مجتمعية على السياسيين السود.

وقد أعلن مالكوم أن برنامج المنظمة الجديدة سيتمحور في عدة نقاط رئيسة؛ وهي<sup>(٢)</sup>:

١. إحياء العلاقات مع الدول الإفريقية وإجراء اتصالات مباشرة معها؛ حيث إن الأمريكان السود لهم أصول إفريقية، وإن حل مشكلتهم يجب أن تكون له مرجعية عالمية بعرضها على الأمم المتحدة بالتعاون مع الدول الإفريقية التي نالت استقلالها.

(1) Race, Reform, and Rebellion, Manning Marable, p84.

(2) Modern Black Nationalism, William L. Van Deburg, p108 - 114.

٢. تحرير عقول السود من آثار التعليم الاستعماري واتباع نُظْم تعليمية  
عصرية وحديثة تقوم على احترام الشخص الأسود لذاته وتغيير نظرتة  
لماضيه، ووضع منهج دراسي للطلاب الأفارقة والسود في أمريكا متعلق  
بتاريخ إفريقيا يخلق روح الانتماء لديهم وينبذ الحقائق المزورة التي  
درسوها من قبل.

٣. تحقيق الأمن الاقتصادي للسود داخل أمريكا بعدّهم الأقلية المتجانسة  
الأكبر داخلها، وتحريرهم من التبعية الاقتصادية التي تمارسها الحكومة  
الأمريكية عليهم، والعمل على إنشاء بنوك وأسواق خاصة بالسود تُكون  
على علاقة بالدول الإفريقية والاستفادة من الخبرات التي تمتلكها الدول  
الإفريقية المحررة وتوظيفها لخدمة السود داخل أمريكا.

٤. إيجاد نظام للدفاع عن النفس يكون كفيلاً ببرد الاعتداءات والهجمات  
المستمرة ضد السود، ورفض عمليات القتل والإعدام دون محاكمة  
والتي ظلمت آلاف السود منذ بدء نضالهم، إضافة إلى اعتداءات الشرطة  
الوحشية المتكررة والعمل على تجريم مرتكبيها وفق الأحكام والقواعد  
المتعارف عليها دولياً.

٥. المنظمة ليس حكراً على المسلمين السود بل هي مفتوحة لكل من هو  
من أصول إفريقية، والترحيب بكل المقترحات والمواهب والأفكار التي  
تساعد على التحرر، وكذلك الحفاظ على التنوع الأيديولوجي داخل  
المنظمة بجعله اختلاف تنوع وتكامل ورفع شعار واحد وهو (التحرر  
من القمع).

### ٣- تمسك مالكوم بحق الدفاع عن النفس:

في اللقاء التلفازي الذي أعقب رجوع مالكوم من الحج؛ سأله المذيع عن قناعاته في رأيه القديم القائل بحق السود في الدفاع عن النفس وحمل السلاح؛ فأجاب مالكوم: (أعتقد إذا وجد البيض أنفسهم ضحية للوحشية التي يواجهها السود في هذه البلاد ورأوا أن الحكومة غير راغبة أو غير قادرة على حمايتهم؛ أعتقد أن البيض سوف تقودهم عقولهم إلى امتلاك بعض البنادق لحماية أنفسهم، والسود الآن يعملون على تطوير نوع من ذلك النضج الفكري أيضًا ويملكون الحق في ذلك؛ حيث كان انتظارهم للحكومة لحمايتهم بلا جدوى، وإذا كانت الحكومة لا تستطيع القيام بوظيفتها في أي مكان من حماية مواطنيها؛ إذا فعلينا حماية أنفسنا)<sup>(١)</sup>.

كما كان من ضمن برنامج منظمته الجديدة -منظمة الوحدة الأفروأمريكية- إيجاد نظام للدفاع عن النفس لردع هجمات البيض العنصريين أو الممارسات الوحشية التي يمارسها بعض رجال الشرطة على السود، وأقر بذلك الأمر مالكوم عبر قوله: (يجب أن يحصل الأمريكيان السود على حقهم في الدفاع عن النفس ضد أي اعتداء عنصري وحشي يقع عليهم، إلى أن نحصل على ضمانات من الأمم المتحدة والحكومة الأمريكية باحترام حقوق الإنسان والمواثيق الدولية...، منظمة الأفروأمريكان ستحمي حق الأمريكيان السود في الدفاع عن النفس حتى تحقق العدالة بأي ثمن وبأي وسيلة كانت)<sup>(٢)</sup>.

(1) Teaching U.S. History Thematically, Rosalie Metro, p75.

(2) Modern Black Nationalism, William L. Van Deburg, p11.

بعد جولات مالكوم الإفريقية والعربية ظهر تطور ملموس في منهجه عبّر مزج بعض القيم الاشتراكية مع القومية السوداء؛ وهذا الانجذاب نحو الاشتراكية له سببان:

الأول: زيارته للدول الإفريقية والعربية التي تحررت من الاستعمار، وكانت أغلب تلك الدول قد اتجهت للاشتراكية كمذهب اقتصادي.

الثاني: معاداته للمذهب الرأسمالي لكونه مذهب أمريكا الاقتصادي التي كان فيها محيط نضاله ضد العنصرية، ولمالكوم في عامه الأخير عدة تصريحات ضد الرأسمالية؛ حيث يقول: (إن جميع الدول التي خرجت اليوم من قيود الاستعمار تتحول الآن إلى الاشتراكية، ولا أظن أنها صدفة، الدول الاستعمارية كلها كانت تعتنق الرأسمالية كمذهب لها، وأمريكا اليوم هي الحصن الأخير للرأسمالية، إنه من الصعب التفريق بين الرأسمالية والعنصرية)<sup>(١)</sup>، وفي رأي آخر له أثنى فيه على المذهب الاشتراكي؛ حيث قال: (حين ننظر إلى الدول الإفريقية سنجدها قد تجاوزت مشكلاتها عبر اتباع الاشتراكية كمذهب اقتصادي لها)<sup>(٢)</sup>.

لم يعرف مالكوم نفسه على أنه اشتراكي، لكنه كان متعاطفاً إلى حد ما مع المعسكر الاشتراكي، وقد وثق مالكوم علاقاته مع العديد من القادة الانتفاضيين الذين لهم أيديولوجية اشتراكية؛ مثل: الرئيس التنزاني (جيوليوس نيريري)، والرئيس المصري (جمال عبد الناصر)، والرئيس الغاني (كوامي نكروما)،

(1) African Intellectuals and Decolonization, Nicholas M. Creary, p25.

(2) Black Theology--Essays on Global Perspectives, Dwight N. Hopkins, p215.



ووزير الاقتصاد التنزاني (عبد الرحمن بابو) الذي دعاه مالكوم لإلقاء محاضرة في (ديسمبر/ ١٩٦٤م) في منظمته -الوحدة الأفروأمريكية-، وكان بابو معروفًا بمعاداته للرأسمالية واعتناقه المذهب الاشتراكي الماركسي<sup>(١)</sup>.

لم يكن مالكوم اشتراكيًا ولم يعلن اعتناقه للمذهب، لكن قربه من الدول المحرّرة وتعاطفه معها وثنائه على اتجاهها نحو الاشتراكية، إضافة إلى تصريحاته المعادية للرأسمالية؛ هو ما جعل بعض المحللين والكتّاب يُصنّفونه ضمن معسكر الاشتراكية.

#### ٥- مراجعته لمفهوم القومية السوداء:

اعترف مالكوم بأن أفكاره السابقة تسببت في تنفير الكثير من رفقاء النضال ضد العنصرية في أمريكا؛ ففي تصريح له عام (١٩٦٥م) قال معترفًا أن فهمه الخاطئ للقومية السوداء: (تسبب في تنفير انتفازيين حقيقيين مخلصين لإطاحة نظام الاستغلال الموجود على الأرض بأي وسيلة كانت)، وأعلن مالكوم أن الوقت قد حان لتكاتف مجهودات منظمات السود بغض النظر عن منهجها، وبالرغم من تغيير رأيه في الرجل الأبيض للأفضل فإنه لم يُغيّر رأيه بضرورة وجود منظمات للسود فقط؛ إذ يقول: (بإمكان البيض مساعدتنا، لكن لا يمكنهم الانضمام إلينا، لا يمكن أن تكون هناك وحدة بين السود والبيض، دون أن تكون هناك وحدة بين السود، لا يمكن أن يكون هناك تضامن عمّالي دون أن يكون هناك تضامن عرقي، لا يمكن أن نفكر في الاتحاد مع الآخرين، قبل أن نتحد مع أنفسنا أولاً)<sup>(٢)</sup>.

اتسمت تلك المراجعة الفكرية باتساقها الكامل مع تعاليم الإسلام الصحيح

(1) Malcolm X: From Political Eschatology to Religious Revolutionary, dustin j. byrd, p84.

(2) Black Liberation and Socialism, Ahmed Shawki, p181.

التي وجه فيها رسول الله ﷺ أمته بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ؛ إِلَّا بِالتَّقْوَى»<sup>(١)</sup>، كما أدرك مالكوم خطأ مبدأ التعامل بالمثل أو بما يسمى (العنصرية المضادة)؛ فالإسلام قد نهى عن ذلك؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»<sup>(٢)</sup>؛ فمعايير اللون والعرق لا يُعتبر بها في الإسلام في التفريق بين الناس.

كان من الممكن أن يتجه مالكوم نحو منهج اللاعنف بعد انفصاله عن أمة الإسلام، لكنه رضيَ بعرض نفسه كبديل أسوأ أمام الحكومة الأمريكية لكيانات النضال السلمية؛ بحيث يسهل على تلك الكيانات تحقيق أكبر مكاسب، وقد أقر بذلك مالكوم في آخر حياته عندما التقى بمارتن لوثر في مؤتمر صحفي في مبنى (الكابيتول / Capitol)، وهي المرة الوحيدة التي التقيا فيها؛ تجتمع الصحفيون حولهم وطلبوا من مالكوم التعليق على قانون الحقوق المدنية؛ فقال مالكوم -وهو مبتسم ابتسامة عريضة-: (إذا رفض الرجل الأبيض هذا القانون فإني موجود هنا لأذكره بالبديل للدكتور كينج). ثم أضاف كينج: (إذا لم يُسنَّ القانون فإن أمتنا ستدخل في ليل مظلم من الاضطراب الاجتماعي)، ثم غادر الاثنان مُنهيين اللقاء الوحيد بينهما وجهًا لوجه<sup>(٣)</sup>.

لم يعد مالكوم يعرف الصراع داخل أمريكا بالصراع العنصري أو العرقي، بل عرفه أنه جزء من صراع عالمي ضد القمع والاستعمار الموجود في هذا العصر،

(١) سبق تخريجه ص ١٨٤.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي، حديث رقم (٣٨٩٠).  
(3) Malcolm X, African American Revolutionary, Dennis D. Wainstock, p97.

فيقول مالكوم: (نحن نعيش في عصر انتفاضة، وانتفاضة الزنوج الأمريكيين هي جزء من التمرد ضد القمع والاستعمار الموجودين في هذا العصر...، ليس صحيحًا أن نصنّف انتفاضة الزنوج بأنها صراع عرقي من جانب السود ضد البيض، أو أن نصنّفها كمشكلة أمريكية بحتة، لكننا اليوم نشهد انتفاضة عالمية من المظلومين ضد الظالمين، ومن المُستغلين ضد المُستغلين)<sup>(1)</sup>.

لقد تطوّر منهج مالكوم إكس الإصلاحي بحسب كل مرحلة في حياته، ولكن الميزة التي ميزت جميع مراحلها هي مرونة تغير قناعاته ومنهجه بحسب نضجه الفكري الأصلي - وهو محاربة الظلم -؛ لذلك من الصعب التنبؤ بكيفية تطور منهج مالكوم لو كان استمر على قيد الحياة مدة أطول.

ومن مميزات التغيرات المنهجية التي حدثت لمالكوم إكس خلال مسيرته النضالية؛ هي إمكانية دراسته كعدد من الأشخاص في شخص واحد؛ ففي المجتمع الأمريكي هو أحد أهم قادة النضال ضد التمييز العنصري، وعند اليساريين والاشتراكيين فهو رمز للنضال والانتفاضة حول العالم، وعند المسلمين هو الأخ (مالك الشباز) الداعية المسلم الذي هداه بحثه عن الحقيقة إلى الطريق الصحيح للدين واتباعه الإسلام الصحيح، وأنه أدخل الآلاف في دين الله؛ فبالرغم من أن تلك التغيرات المنهجية كانت مصدر إزعاج في حصرها؛ فإنها مصدر إلهام لا ينضب للباحثين والمحللين.

---

(1) Black Liberation and Socialism, Ahmed Shawki, p181.

## المبحث الثاني

### مقارنة بين منهج مالكوم إكس ومنهج مارتن لوثر كينج

يُعدُّ مالكوم إكس ومارتن لوثر أيقونات بارزة في حقبة الخمسينيات والستينيات التي شهدت نضال ومقاومة أشكال الاستبداد والعنصرية تجاه الأميركيان السود، وكان الرمزان متقاربين في كثير من الخصائص؛ مثل: الكاريزما، والعمر، وحب الجماهير السود، حتى التشابه كان في نهاية حياة كل منهما؛ حيث اغتيل مالكوم إكس عام (١٩٦٥م)، واغتيل كينج عام (١٩٦٨م) بالطريقة نفسها، وبالرغم من تقاربهما الشديد في كل شيء؛ فإنهما لم يتفقا في الوسائل، وطيلة حياتهما لم يلتقيا إلا مرة واحدة كانت لبضع دقائق، التقطا فيها الصورة الشهيرة التي تجمع بينهما عام (١٩٦٤م) في واشنطن.

يعدُّ كينج ومالكوم قُطبا حركة الحقوق المدنية؛ حيث مثل مالكوم قطب الانتفاضة والانفصال، ومثل كينج قطب اللاعنف والسلمية والسعي نحو التكامل؛ لذلك كان كينج الهدف المفضل لمالكوم للهجوم عليه في الخطب واللقاءات التلفازية؛ فيقول: (يدفع الرجل الأبيض للراهب مارتن لوثر كينج ويقدم له الإعانات؛ ليتمكن لوثر كينج من تعليم الزنوج بأن يكونوا ضعفاء!)<sup>(١)</sup>، كما كان كينج ينتقد بشدة أسلوب مالكوم إكس الذي يعطل مسيرته النضالية السلمية فيقول: (إن كلام مالكوم إكس يجلب البؤس على الزنوج)<sup>(٢)</sup>.

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس - وجهًا لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية، الدقيقة (٣٣:٠١).

(٢) هيلمي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٣٩٣، مرجع سابق.

وأغلب المهتمين بقضية نضال السود داخل الولايات المتحدة اهتموا بمقارنة منهج الرجلين؛ حيث تمتع الرجلان بشهرة وشعبية واسعة، كما أن كلاً منهما كان لديه رؤية ووسيلة مختلفة عن الآخر في قضية النضال ضد العنصرية، وفيما يأتي مقارنة بين منهج مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج؛ ولعل تلك المقارنة تثبت أن مالكوم إكس كان له دور كبير في قضية الحقوق المدنية لا يقل فضلاً عن دور مارتن لوثر كينج، ولكن قبل المقارنة سوف يعرف الباحث باختصار شخصية (مارتن لوثر كينج)<sup>(١)</sup>: وُلِدَ مارتن لوثر كينج باسم (مايكل كينج) عام (١٩٢٥م) في مدينة (أتلانتا) التي كانت تعج بأبشع مظاهر التفرقة العنصرية، وُلِدَ لأب قسٍّ أمريكي، عاش لوثر في عائلة من الطبقة الوسطى ضمت سلسلة طويلة من القساوسة المَعْمَدانيين، استطاعت أن تؤمّن له حياة كريمة بالرغم من العنصرية السائدة وقتها، أكمل تعليمه الجامعي من كلية (مورهاوس) بولاية (جورجيا) حيث مكان نشأته، كان مهتمًا بفن الخطابة، وتبوأ المراتب الأولى في مسابقات البلاغة السياسية، فاستكمل دراسته اللاهوتية وحصل على بكالوريوس في علم اللاهوت، وفي عام (١٩٥٥م) ناقش رسالته في الفلسفة بجامعة (بوسطن) ونال درجة الدكتوراة.

ابتدأ كينج مسيرته النضالية للبحث على وضع حد للتمييز العنصري وعدم المساواة القانونية بعد التحاقه بوالده كراع لكنيسة (إبنيزر) المَعْمَدانية في (أتلانتا)، وتعرض كينج للاعتقال خلال الاحتجاجات السلمية في ولايات (ألاباما، وفلوريدا، وجورجيا)، وبدأ في انتهاج أسلوب المقاومة السلمية في مسيرته النضالية، كما عارض تورط بلاده بحرب فيتنام ونشط من أجل إنهاء الفقر بالولايات المتحدة.

(1) Martin Luther King, Jr., Peter J. Ling, ch. (becoming martin luther king).

تأثر كينج بأسلوب (غاندي) الهندي في مقاومة الاحتلال البريطاني بعد سفره إلى الهند عام (١٩٥٩م)، وكانت فكرة مقاومته المركزية مستندة إلى عدم العنف والسُّلمية؛ فكان يحرص في جميع خُطبه على أربعة أمور: (عدم العنف، والتغيير الاجتماعي، والمسؤولية الفردية والجماعية، وثنم الحرية)، وكان يعتمد أحياناً على العصيان المدني.

وفي أثناء سجنه عَقِبَ إحدى عمليات اعتقاله عام (١٩٦٣م)؛ وجَّه كينج رسالة من سجن مدينة (برمنغهام)، حدَّد فيها الخطوط العريضة للأسس الأخلاقية لحركة الحقوق المدنية، وفي شهر أغسطس ألقى خطابه الشهير (لديَّ حلم) أمام حشد ضم أكثر من (٢٠٠ ألف شخص) في (مُتَزَّه المول القومي) في واشنطن.

ومن أبرز أنشطة كينج كانت تنظيم مقاطعة حافلات النقل في (Montgomery)، وهي حملة دامت عامًا كاملاً، وانفجرت عندما ألقى القبض على (روزا باركس) عندما رفضت التخلي عن مقعدها في إحدى الحافلات لراكب أبيض. وبعد أن أسقطت المحكمة العليا قوانين الفصل العنصري في الحافلات في ولاية ألاباما في عام (١٩٥٦م)؛ شارك كينج في تأسيس مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية ودعا للعمل السُّلمي في سبيل الحقوق المدنية في جميع أنحاء الجنوب.

وفي عام (١٩٦٤م) حصل كينج على جائزة نوبل للسلام على نضاله السُّلمي في مشكلة العنصرية داخل أمريكا، وكان بذلك أصغر رجل في التاريخ يفوز بهذه الجائزة، وفي (٤/ أبريل / ١٩٦٨م) اغتيل كينج في (Motel Lorraine) بمدينة (Memphis) بولاية (Tennessee) وهو يستعد للظهور أمام تجمع جماهيري في تلك الليلة ويتأهب لقيادة مسيرة في (Memphis) لتأييد إضراب عمال الصرف الصحي الذي كاد يتفجر في عدد من المدن الأمريكية، ومَن اغتاله هو أحد المتعصبين البيض.



## أوجه المقارنة بين الشخصيتين:

اختلف مالكوم إكس مع مارتن لوثر في عدد من المحاور أهمها كان في وسيلة النضال والقناعات الفكرية، وعلى الرغم من ذلك كانا متوحدين على هدف واحد وهو إلغاء العنصرية ووضع حد للتمييز العرقي وتحقيق الإصلاح الاجتماعي، أول الفروقات بين الرمزين كانت:

### ١ - فلسفة المنهج:

ما يقصد بالفلسفة هنا هو المنهج والطريقة المتبعة لتحقيق الهدف المنشود؛ وقد اتبع كينج الأسلوب السلمى عبر تنفيذ المظاهرات والعصيان المدني، فكانت كل أقواله وأفعاله نابعة من قناعته بالسلمية في مواجهة الفصل العنصري وتحقيق الإصلاح الاجتماعي؛ وكانت من أشهر أقواله التي تدل على ذلك: (السلام الحقيقي ليس مجرد غياب التوتر، إنه إحقاق العدالة)<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: (إن ثمرة اللاعنف هي المصالحة وإيجاد المجتمع الحبيب)<sup>(٢)</sup>، وكان ينتقد العنف كحل لمشكلة العنصرية وأنه ليس حلاً موفقاً لرفع الظلم، كما كان يرى أن العنف لا يولد إلا عنفاً مثله؛ فكان يقول: (لا حاجة لأي فرد أو جماعة للخضوع للإساءة، ولا حاجة لأي فرد للجوء إلى العنف من أجل رفع الحيف)<sup>(٣)</sup>، وقال أيضاً: (الكراهية تولد الكراهية، علينا مقابلة الكراهية بالمحبة)<sup>(٤)</sup>، وقال أيضاً: (غابتنا ليست هزيمة الرجل الأبيض أو إذلاله، بل كسب صداقته وتفهمه لحقوقنا)<sup>(٥)</sup>.

(1) Peace: A World History, Antony Adolf, p216.

(2) Nonviolence in Political Theory, Iain Attack, p16.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧.

(4) Making a Way Out of No Way, Wolfgang Mieder, p102.

(5) The Papers of Martin Luther King, vol7, Martin Luther King, p121.

تُعدُّ خطبة كينج المسماة (لديّ حلم) من أشهر الخطب التي ألقاها من حيث المحتوى والحضور الجماهيري؛ فهذه الخطبة الشهيرة ألقاها في (١٩٦٣م) وحضرها حشد جماهيري من المواطنين البيض والسود المناهضين للتمييز العنصري، والتي استمدتها من وثيقة الاستقلال التي صاغها (Thomas Jefferson)<sup>(١)</sup> عام (١٧٧٦م)، ومضمونها المساواة بين البشر (All men are created equal)، ومن أشهر ما قاله في تلك الخطبة والتي تعكس منهجه النضالي: (لديّ حلم جذوره في الحلم الأمريكي، فالحقيقة ظاهرة للعيان بأن جميع الناس خلقوا سواسية...، إن أبناء العبيد وأبناء مالكي العبيد في سهول جورجيا سيحلون جميعًا على طاولة الأخوة. لديّ حلم بأن أبنائي الأربعة سيعيشون مستقبلًا في وطن لا يؤسس نظرتهم لهم على أساس من لون بشرتهم بل على شخصيتهم. لديّ حلم بأنه في ألاباما حيث العنصرية البغيضة ستتشابك أيدي البنات والأولاد السود مع أيدي البنات والأولاد البيض كإخوة وأخوات)<sup>(٢)</sup>.

إن إستراتيجية اللاعنف التي اتبعتها كينج أسلوبًا للمقاومة كان يراها مالكوم إكس أسلوبًا ضعيفًا، وكان دائم التهكم على منهج كينج؛ ففي مرة من المرات دعا كينج الطلاب الأمريكيين السود -صغار السن- لمسيرة ضد العنصرية والمطالبة بحقوقهم في (برمنغهام) بولاية (ألاباما)؛ ما نتج عنها اعتقالات وردّ وحشي من قبل الشرطة الأمريكية، علق على هذه الحادثة مالكوم إكس معترضًا على خروج تلك الفئة بقوله: (لا يجوز وضع الأطفال والنساء على طريق الأذى؛ كينج ليس

(١) أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، والكاتب الرئيس لإعلان الاستقلال، وثالث رئيس للولايات المتحدة، وكان له تأثير عالمي، والفترة الرئاسية له كانت خلال (٤/ مارس/ ١٨٠١م

- ٤/ مارس/ ١٨٠٩م).

(2) The Art of Great Speeches, Dennis Glover, p131.

بطلاً، إنه رجل أحمق<sup>(١)</sup>، وأعقب تلك الحادثة بمؤتمر في مدينة هارلم قال فيه: (نحن لا ندعو لتوحيد طبقات المجتمع، ونؤمن أن الأحمق هو من يريد الاختلاط بأشخاص لا يحبونه، وذلك لا يعني إدانتنا لما يفعله هؤلاء الكاذبون في ألاباما، لا نتخدعوا بكينيدي - الرئيس الأمريكي وقتها-، لا نتخدعوا بهؤلاء الواعظين الذين يدفع لهم العم سام، عندما يهاجمك كلب ترد على الكلب سواء كان كلباً بساقين أو بأربع سيقان)<sup>(٢)</sup>.

كما كان يرى مالكوم أن طلب الاندماج هو تسول للحرية ونسيان لماضي الرجل الأبيض في سلب حرية أجيال متعاقبة من الأفارقة، وكان دائم التهكم على السود طالبي الاندماج، ويسميههم بزواج المنزل؛ حيث إنهم يضمنون بقاء مصالحهم ببقاء مصالح سيدهم<sup>(٣)</sup>.

وبعد أحداث العنف في برمنغهام أُذيعت مقابلتان لمالكوم إكس وكينج فصلت بينهما بضعة أيام، وخلال تلك المقابلة سألهم المذيع سؤالاً عن رأي كل واحد منهما في فلسفة المقاومة الخاصة بالآخر؛ فأجاب كينج: (أنا لا أفكر في الحب كوسيلة بشكل عاطفي؛ أنا أفكر فيه كوسيلة تنظم نفسها لتصبح عملاً قوياً، وأعتقد أن بعض منتقدي اللاعنفة يخلطون بين معنى اللامقاومة واللاعنف)، أما مالكوم فأجاب: (يدفع الرجل الأبيض للراهب مارتن لوثر كينج ويقدم له الإعانات؛ ليتمكن لوثر كينج من تعليم الزوج بأن يكونوا ضعفاء! اللاعنفة تعني

---

(1) A History of African-American Leadership, John White. Bruce J. Dierenfield, p187.

(٢) فيلم وثائقي بعنوان: (مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس - وجهها لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية، الدقيقة (٢٤:٠٠).

(3) Malcolm X: From Political Eschatology to Religious Revolutionary, dustinj. byard, sayedjavadmiri, p105.

أن تكون ضعيفاً في وجه واحد من أشرس الوحوش الذين يأسرون البشر وهو الأمريكي الأبيض، إن هدف الدكتور كينج أن يمنح السود فرصة للجلوس في مطعم إلى جانب الرجل الأبيض الذي عذبهم (٤٠٠ عام) من خلال تخديرهم ونسيان ما فعله البيض بهم<sup>(١)</sup>.

الفرق يتضح بين فلسفة مالكوم وفلسفة كينج في المثال الذي طرحه مالكوم إكس؛ حيث يريد كينج حق الاندماج والمساواة عبر مزاحمة البيض في المرافق العامة وكسر حاجز العنصرية، كما كان يرى أن العنف سيولد عنفاً وسيعطي مبرراً للشرطة ولقوات الحكومة بالاعتداء على السود أكثر. في حين يرى مالكوم أن الاندماج هو علاقة رغبة من طرف واحد؛ حيث إن البيض - من وجهة نظره - لا يريدون الاندماج؛ وعليه كان يطرح مالكوم حل الانفصال كحل لتلك المشكلة وحل للشرخ المجتمعي الذي كان - من وجهة نظره - عصياً على الحل، كما كان يرى مالكوم أن اللاعنف وسيلة تسوغ لقوات الحكومة والشرطة زيادة عنفهم حيث لا يوجد لهم رادع لأفعالهم، فكان دائماً ينادي بحق الدفاع عن النفس ومقاومة أي اعتداء.

## ٢ - المرجعية الدينية:

بنى كل من مالكوم إكس وكينج تصوراتهما وأفكارهما على أساس عقدي؛ فكينج كان يستقي أفكاره من منطلقات مسيحية بحتة، ودل على ذلك كثير من تصريحاته وخطبه؛ ففي أحد تصريحاته قال ممتدحاً منهج اللاعنف: (المسيح أعطى الروح، وغاندي بين كيفية استعماله)<sup>(٢)</sup>، ويتضح أكثر ما كان يعتقد

(١) فيلم وثائقي بعنوان: (مارتن لوثر كينج ومالكوم إكس - وجهها لوجه)، إنتاج الجزيرة الوثائقية، الدقيقة (٢٤:٠٠).

(2) Gandhi in the West, Sean Scalmer, p169.

في مقولته المقتبسة من الإنجيل التي كررها على مسامع جمهوره: (أحبوا أعداءكم)<sup>(١)</sup>، كما كان يقول: (مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ؛ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ)<sup>(٢)</sup>، وهذا الكلام مذكور نصًا في إنجيل (مَتَّى)؛ حيث جاء فيه: (سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعَيْنٌ وَسِنٌّ بِسِنٍّ.<sup>(٣)</sup> أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوُمُوا مَنْ يُسِيءُ إِلَيْكُمْ. مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ؛ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ لِيَأْخُذَ ثَوْبَكَ؛ فَاتْرُكْ لَهُ رِدَاءَكَ أَيْضًا<sup>(٥)</sup>، وَمَنْ سَخَّرَكَ أَنْ تَمْشِيَ مَعَهُ مِيلًا وَاحِدًا؛ فَامْشِ مَعَهُ مِائَتَيْ مِيلَيْنِ<sup>(٦)</sup>)، وكان كينج كثيرًا ما يشير إلى الرب والإنجيل في أقواله.

وعلى عكس كينج تمامًا كان مالكوم إكس؛ فقد استند مالكوم إلى تعاليم الإسلام في تكوين منهجه وأفكاره التي صاغها لمواجهة العنصرية؛ إذ أعلن ذلك في إحدى خطبه؛ حيث نص على ذلك في اقتباس عبارات من آيات القرآن فقال: (ديننا الإسلامي يعلمنا أن نكون أذكياء؛ أخبرنا أن العين بالعين والسِّنُّ بالسِّنِّ والرأس بالرأس والحياة بالحياة، والذي يرفض تلك التعاليم هو في الحقيقة ذئب يحاول أن يخدعك لافتراسك)<sup>(٧)</sup>، كما كان ينتقد فلسفة السلمية واستنادها إلى بعض تعاليم الإنجيل؛ حيث قال: (كن مسالمًا، كن مهذبًا، أطع القانون، احترم الجميع، لكن إن مد أحدهم يده عليك؛ فأرسله إلى المقبرة)<sup>(٨)</sup>، حتى بعد اعتدال

(1) Making a Way Out of No Way, Wolfgang Mieder, p68.

(2) Insanity, Kerry D. McRoberts, p66.

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط ٣٠، الإصدار الرابع، ١٩٩٣ م، إنجيل (مَتَّى)، فقرة (الانتقام)، الإصحاح (٥: ٣٨)، ص ١٠.

(٤) المصدر نفسه، الإصحاح (٥: ٣٩).

(٥) المصدر نفسه، الإصحاح (٥: ٤٠).

(٦) المصدر نفسه، الإصحاح (٥: ٤١).

(7) Malcolm X: The Man and His Times, John Henrik Clarke, A. Peter Bailey, Earl Grant, p279.

(8) Black Liberation and Socialism, Ahmed Shawki, p175.

فكر مالكوم وطرده من (أمة الإسلام) ظلت المرجعية الدينية الإسلامية مسيطرة على أفكاره، وقد اتضح ذلك في رسالته إلى زوجته من مكة قائلاً: (لقد أوسع الحج نطاق تفكيري وفتح بصيرتي؛ فرأيت في أسبوعين ما لم أره في تسع وثلاثين سنة، رأيت كل الأجناس من البيض ذوي العيون الزرقاء والأفارقة ذوي الجلود السوداء، وقد ألفت بين قلوبهم الوحدة والأخوة الحقيقية؛ فأصبحوا يعيشون كأنهم ذات واحدة في كنف الله الواحد...، لم أشهد في حياتي أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، أمريكا في حاجة إلى فهم الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشكلة العنصرية)<sup>(١)</sup>.

### الْمُنْطَلَقَاتُ الْفِكْرِيَّةُ:

مثلت القومية السوداء المرجعية الفكرية لمالكوم إكس، وقد تلقن أفكارها عبر وجوده في أمة الإسلام وملازمته لزعيمها إlijah محمد، وهي قناعات متطرفة في أغلبها، تؤمن أن البيض ينحدرون من صلب الشيطان وأن السود هم شعب الله المختار، كما أن السود ليسوا مواطنين أمريكيين عرقياً، كما تعتقد أن الرجل الأبيض هو السبب في المأساة التي يعيشها الرجل الأسود، وأن جميع سكان أمريكا البيض متآمرون على وضع السود موضعاً دينياً<sup>(٢)</sup>، وقد عدل تلك القناعات في آخر عام قبل اغتياله بعد عودته من رحلة الحج، فيما عدا الأفكار المتعلقة بالقومية السوداء الخاصة بتقوية المجتمع الأسود عبر إنشاء اقتصادات خاصة بهم وإقامة كيانات أخرى خاصة بهم لمجابهة الفصل العنصري، وقد عارض مالكوم بشدة السياسة الأمريكية الخارجية، ورآها أنها دولة إمبريالية تسعى إلى استنزاف

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٦١، مرجع سابق.  
(2) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p19.



موارد الدول الفقيرة، كما رأى أن السود يعيشون داخل مستعمرة داخلية - يقصد أمريكا - وأن نضالهم متصل بالنضال العالمي؛ فيقول: (نحن نعيش في عصر انتفاضة، وانتفاضة الزنوج الأمريكيين هي جزء من التمرد ضد القمع والاستعمار الموجودين في هذا العصر...، ليس صحيحًا أن نصنّف انتفاضة الزنوج بأنها صراع عرقي من جانب السود ضد البيض، أو أن نصنّفها كمشكلة أمريكية بحتة، لكننا اليوم نشهد انتفاضة عالمية من المظلومين ضد الظالمين، ومن المُستغلين ضد المُستغلين)<sup>(١)</sup>.

وعلى عكس مالكوم تمامًا كان كينج؛ حيث كان كينج يؤمن بقناعات متعارضة تمامًا مع مالكوم؛ فكان يستقي أفكاره من (غاندي) وحاول تطوير أساليبه؛ فقد اعتمد غاندي على (مبدأ المسالمة) في الهند ضد الاستعمار البريطاني، وقد استعار منه القسّ مارتن لوثر كينج ذلك المبدأ؛ ففي إحدى خطبه قال: (لقد كنّا شعبًا مسالمًا دائمًا، نتحمّل مشكلاتنا بالكفاح الإنسانيّ الفريد من نوعه، مهما تكرر استخدام العنف ضدنا)<sup>(٢)</sup>، وقد استعرض غاندي فلسفته في بعض أقواله؛ فقال: (اللاعنف هو أعظم قوة تحت تصرف البشر، وإنه أقوى من أي سلاح اخترعه الإنسان)<sup>(٣)</sup>، وقد انتقد غاندي منهج العنف في المواجهة مبررًا أن العنف يولّد عنفًا؛ فيقول: (إذا طبقت مبدأ العين بالعين؛ فسيصبح العالم كله أعمى)، وقد نقل كينج الأفكار نفسها في مقولته: (علينا أن نقابل القوة الماديّة بالقوة الروحيّة، ويجب علينا ألا نسيء إلى إخواننا البيض)<sup>(٤)</sup>.

---

(1) Race, Reform, and Rebellion, Manning Marable, p84.

(٢) حمود، عبد الحليم. غاندي، دار المؤلف، ص ٦٥.

(3) Gandhian Way: Peace, Non-violence, and Empowerment, Anand Sharma, p23.

(4) Martin Luther King, Jr: A Biography, Roger Bruns, p42.

اعتمد كينج في نضاله السلمي على المظاهرات والدعوة إلى عصيان مدني، وكانت من أشهر دعواته دعوته لمقاطعة شركة الحافلات في (ألاباما)، وامتد ذلك عامًا كاملاً أثر كثيرًا في إيرادات الشركة، وأدى إلى كسر قانون العزل العنصري في (ألاباما). أمّا أهم محطة في حياة كينج السلمية كانت تنظيمه لمسيرة كبرى إلى واشنطن في أغسطس عام (١٩٦٣م)؛ حيث اجتمع هو وعدد من زعماء حركة الحقوق المدنية، وألقى خلال تلك المسيرة خطبته الشهيرة (لديّ حلم)<sup>(١)</sup>.

لقد انحصرت منطلقات كينج في تعليمات غاندي وخلطها ببعض التوجيهات من المسيحية، أما مالكوم إكس انحصرت منطلقاته الفكرية في القومية السوداء، إضافة إلى أفكار تنظيم أمة الإسلام وقد استبدل بها تعاليم الإسلام الصحيح بعد تركه لها بعد رحلة الحج.

### رؤية الحل:

رأى كينج أن حل مشكلة العنصرية في الولايات المتحدة هو الدعوة للاندماج بين البيض والسود وإلغاء قوانين الفصل العنصري، وقد اتضح ذلك الحل في خطبة (لديّ حلم) الشهيرة التي ألقاها كينج في المسيرة إلى واشنطن أمام (٢٥٠ ألف) من مناصري الحقوق المدنية في أمريكا؛ فقال: (لديّ حلم بأنه في يوم من الأيام وعلى تلال (جورجيا) الحمراء؛ سوف يجلس أبناء العبيد السابقين وأبناء أصحاب العبيد معًا على مائدة الأخوة...، لديّ حلم بأن أطفالنا الأربعة سوف يعيشون يومًا ما في دولة لا يُحكم عليهم فيها على أساس لون بشرتهم، وإنما شخصهم وأفعالهم)<sup>(٢)</sup>.

(1) Understanding Nonviolence, Maia Carter Hallward, Julie M. Norman, p31.  
(2) The Civil Rights Movement, Elizabeth Sirimarco, p122.

كانت رؤية كينج واضحة وصريحة دون الحاجة إلى تفصيل كثير لها، كما أنها كانت أقرب للواقعية إلى حد كبير، على النقيض من رؤية مالكوم إكس التي كانت رؤيته تدعو إلى الانفصال؛ وقد عبّر عن تلك الرؤية في سيرته الذاتية؛ حيث نقل كلامًا عن إيجاه محمد: (إن المجتمع الغربي موحل في التفسخ والانحلال، وإن غضب الله سيحل عليه ويدمره، وإن خلاصنا -نحن السود- في الانفصال عنه والعيش في أرض خاصة بنا نستطيع فيها أن نقوم أنفسنا وأخلاقنا ونولي وجوهنا لله)، وفي موضع آخر يقول إيجاه: (أكثر ما نريده هو الانفصال لا الفصل، وأن هناك فرقًا بين اللفظتين؛ إن الفصل مفروض على محكوم من طرف حاكم يتصرف في حياته وحرية وينظمها، بينما الانفصال على العكس؛ اختيار إداري يتم بالاتفاق بين طرفين متساويين لما فيه مصلحتهما، وإننا إذا بقينا في حالة تبعية للرجل الأبيض فننظر نستجدي منه العمل المأكل والملبس، ويبقى يتحكم في حياتنا وينظمها على هواه، وتبقى سلطة فصلنا بين يديه، لقد عومل الزوج في أمريكا معاملة جنين يراد له أن يبقى في بطن أمه بعد حلول أوان الوضع، والحالة أن الجنين يجب أن يفصل عن أمه في الموعد المحدد وإلا دمرها ودمر نفسه)<sup>(١)</sup>.

ولم تكن تلك الفكرة متبلورة إلى حد كبير في ذهن مالكوم؛ حيث لم تتضح لها معالم محددة تصوغها، وقد تضاربت تصريحاته مع تصريحات إيجاه محمد في هذا الشأن؛ ما أضعف ذلك المقترح، وقد عدل مالكوم عن التفكير في الانفصال بدولة للسود إلى الاقتناع بحل الاندماج؛ لكن مع الاحتفاظ بحق الدفاع عن النفس والرد على الاعتداءات، مع التفكير في تدويل القضية من خلال تدشين منظمة (الوحدة الأفروأمريكية) التي تنادي بإعادة البعث الإفريقي وربط قضية السود

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ١٨٨، مرجع سابق.

في أمريكا بإفريقيا وشعوبها المستعمرة، بعد جولة إفريقية قابل فيها العديد من قياداتها.

أوجه المقارنة	مالكوم إكس	مارتن لوثر كينج
فلسفة المنهج	الدفاع عن النفس	السلمية
المنطلقات الدينية	الإسلام	المسيحية
المنطلقات الفكرية	القومية السوداء	تعليمات غاندي
رؤية الحل	الانفصال / الاندماج	الاندماج

لماذا حظي مارتن لوثر كينج بشعبية أكثر من مالكوم إكس داخل الولايات المتحدة؟

حظي مارتن لوثر كينج بشعبية أكثر من مالكوم إكس داخل الولايات المتحدة؛ وذلك يرجع لبعض الفروقات التي استعرضناها سلفاً بينهما؛ ففلسفة مالكوم التي تعتمد على المواجهة وحق الدفاع عن النفس تعرضت للتشويه الكبير من قبل وسائل الإعلام الأمريكية، فكانت لا تخلو مقابلة تلفازية من سؤال عن (الانفصال) أو (العنف)، حتى بدأت مصالح الأمن تسمي تنظيم (أمة الإسلام) بـ(المخبولين)<sup>(١)</sup>.

مثل الحل المطروح من قبل كينج بديلاً سهلاً على الحكومة الأمريكية؛ فالحكومة الأمريكية وجدت نفسها أمام بديلين؛ أحدهما: يتحدث بلغة العنف ويطمح إلى الانفصال ويربط الصراع الداخلي للسود بصراعهم الخارجي في

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٤١، مرجع سابق.

إفريقيا. والبديل الآخر: يتحدث بلغة السلام والحُب ويطمح إلى الاندماج بين السود والبيض وتحقيق المساواة الاجتماعية. فكان بديل كينج يمثل بديلاً أسهل وأفضل للحكومة الأمريكية، يلخص مالكوم إكس ذلك الأمر في آخر حياته بعد تحوله للإسلام الصحيح، عندما كان يحضر مؤتمر الزعامة المسيحية الجنوبية في (ألاباما)، وكان بجواره عقيلة مارتن لوثر كينج، فمال إليها وهمس في أذنها أنه يحاول أن يساعد، وأنه يريد أن يتقدم ببديل قد يسهل على البيض قبول عروض مارتن<sup>(١)</sup>.

شكّلت المرجعية الفكرية الإسلامية لمالcolm إكس تشكيلاً جديداً للصراع؛ فبدلاً من أن يكون الصراع مجرد صراع عرقي بين البيض والسود، ستتوسع دائرة الصراع ليكون صراعاً دينياً عرقياً بين رجل أسود مسلم ورجل أبيض مسيحي، وهذا ما سيدخل الصراع في شكل جديد أعقد بمراحل وأكبر من الصراع القديم، لا سيما وأن الإسلام انتشر بين السود على يد مالcolm إكس بصورة كبيرة.

ساعدت تقلبات مالcolm إكس الفكرية كينج على ازدياد شعبية الأخير بين الأمريكان السود؛ حيث مثلت التحولات التي تعرض لها مالcolm إكس في حياته قبل وبعد انضمامه إلى تنظيم أمّة الإسلام عنصراً سلبياً في التأثير على شعبيته، لكن كينج لم يتغير كثيراً في أفكاره ووسائله؛ يقول الروائي (أليكس هيلي) الذي كتب السيرة الذاتية لمالcolm إكس: (إن في آخر حياة مالcolm، وخاصة مع تقلباته الفكرية، كان يُقال من رجل الشارع الأسود: إنه لم يعد يعرف ما يؤمن به، فهو لا يكاد يقول شيئاً حتى ينتقل إلى غيره)<sup>(٢)</sup>.

(١) هيلي، أليكس. مالcolm إكس - سيرة ذاتية، ص ٢٤١، مرجع سابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

إن فضل مالكوم إكس على قضية الأمريكان السود لا يقل عن فضل كينج، بل إن الأخير ما كان لينال نوبل أو ليحظى بتلك المكانة إلا بوجود مثل مالكوم إكس في المسار الموازي له، وتلك هي الحقيقة التي نقلها أليكس هيلي في خاتمة كتاب سيرة مالكوم الذاتية؛ فقال: (إن الدكتور لوثر كينج يضمن ولاء الطبقة الزنجية المتوسطة، وإن ولاء الطبقة الزنجية الدنيا لا يضمه إلا مالكوم إكس، وإن الزوج يحترمون هذين الرجلين لأنهم يثقون في نزاهتهما ويعرفون أنهما لن يخوناهم أبداً)<sup>(١)</sup>.

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٤١٨، مرجع سابق.



## المبحث الثالث

### تأثير منهجه على حركات التحرر العالمية

لم يكن حادث اغتيال مالكوم إكس نهاية لمسيرة منهجه النضالي؛ فقد مثّل منهج مالكوم وأقواله الانتفاضية في خطبه دليلاً لكثير من حركات التحرر العالمية والكيانات المدافعة عن حقوق الأقليات حول العالم، حتى أصبحت شخصية مالكوم ظاهرة جيوسياسية مرتبطة بالمناطق التي تتعرض لاضطهاد الأقليات أو الاضطهاد العرقي، مستلهمةً من منهجه الانتفاضي مرشداً لها في مسيرتها؛ مثل: (حزب فهود الداليت) في الهند، و(حزب الفهد البوليني) في نيوزيلندا، و(حركة الفهود السوداء) في بريطانيا، وبعض الكيانات التحررية الأخرى.

لم يقتصر الأمر على استخدام حركات التحرر لمنهجه، بل أصبح مالكوم رمزاً تتجدد سيرته من الدول المعادية للإمبريالية والمعادية للسياسة الأمريكية؛ ففي المؤتمر الدولي السادس لدعم الانتفاضة الفلسطينية طلب (علي خامنئي)<sup>(١)</sup> المرشد الأعلى للثورة الإيرانية من الحضور قراءة سورتي الفاتحة والإخلاص لروح مالكوم إكس، والذي صادف يوم انعقاد المؤتمر الذكرى السنوية الثانية والخمسين لاستشهاده<sup>(٢)</sup>، وفي عام (٢٠١٨م) الذي وافق الذكرى السنوية الثالثة والخمسين لاستشهاد مالكوم؛ نشر الناطق باسم الرئاسة التركية (Ibrahim

---

(١) المرشد الأعلى للثورة الإسلامية منذ عام (١٩٨٩م)، ومن المرجعيات الدينية الشيعية في إيران.

(2) <http://arabic.khamenei.ir/news/1824>

Kalin<sup>(١)</sup> تغريدة عبر حسابه على موقع (تويتر) قال فيها: (إن بلاده تستحضر الذكرى السنوية الثالثة والخمسين لاستشهاد السياسي الأمريكي المسلم المدافع عن حقوق الإنسان، الحاج مالك الشباز مالكوم، بكثير من الرحمة والامتنان)، كما أضاف في تغريدة أخرى: (إن مالكوم الذي استشهد في عملية اغتيال استهدفته في (٢١/ فبراير/ ١٩٦٥م) أنار دروب المناضلين ضد العنصرية في الولايات المتحدة، بعقله وإيمانه وإرادته وقلبه وحبّه)<sup>(٢)</sup>.

كما قررت بلدية (أنقرة)<sup>(٣)</sup> في (أكتوبر/ ٢٠١٨م) إطلاق اسم مالكوم إكس على الشارع الذي توجد فيه سفارة واشنطن، وجاء ذلك القرار بناء على تصريح الرئيس التركي (رجب طيب أردوغان) أنه سيُخلد اسم مالكوم إكس في (أنقرة)<sup>(٤)</sup>. وفيما يأتي بيان أبرز الكيانات العالمية التي تأثرت بمنهج مالكوم إكس ومثلت امتداداً له:

### أولاً: حركة الفهود الداليت (الهند):

نشأت تلك الحركة في الهند في عام (١٩٧٢م) في ولاية (ماهاراشترا)<sup>(٥)</sup>، وسعت لمكافحة التمييز الطبقي داخل الهند؛ حيث كانت هناك طبقة كبيرة تسمى

---

(١) ميايبي تركي يشغل منصب مساعد الأمين العام لرئاسة الجمهورية التركية في (٢٠١٥م)، وشغل عدة مناصب؛ منها: مستشار الرئيس التركي (رجب طيب أردوغان) خلال رئاسته لمجلس الوزراء التركي، والمتحدث باسم الرئاسة التركية، وهو عضو في حزب العدالة والتنمية.  
(2) <https://www.turkpress.co/node/45880>

(٣) عاصمة تركيا، وثاني أكبر مدينة مزدحمة بعد إسطنبول.

(4) <https://www.turkpress.co/node/53745>

(٥) ثالث أكبر ولايات الهند من حيث المساحة، وثانيها من حيث عدد السكان، وتقع في غرب الهند.

(المنبوذين) والتي كانت تسمى بحسب العقيدة الهندوسية<sup>(١)</sup> (الداليت)<sup>(٢)</sup>، وكانت شريحة كبيرة في أدنى السُّلم الاجتماعي تعمل في مهن متدنية ويُفرض عليها مقاطعة اجتماعية؛ حيث تُفرض على الطبقات الأعلى منها عدم مخالطتها، ويواجهون الفصل المستمر في المدارس والمطاعم، وعنف الشرطة، والعنف الجنسي، وحتى حرمانهم من مياه الشرب<sup>(٣)</sup>.

وتُعد (الداليت) بحسب المعتقد الهندوسي أنها أرواح شريرة فعلت الشر في حياتها الأولى، ثم عوقبت بالتناسخ في أجساد تلك الطبقة الدنيا، وعليه فإنه من العدل أن تُزدرى وتُحتقر تلك الطبقة<sup>(٤)</sup>، ونتج عن هذا الاعتقاد توارث فئة (الداليت) الفقر والوظائف المُهينة إلى جانب الاحتقار والازدراء تجنبًا لللعنة التي يمثلونها، وكان تمارس عليهم ممارسة دينية تسمى بـ(حظر المساس)؛ حيث تُفرض عليهم مقاطعة اجتماعية تمنع جميع أشكال المخالطة بهم، حتى كان يعتقد البعض أن رؤية (الداليت) كافية لتلويث من يراه من الطبقات الأعلى<sup>(٥)</sup>.

---

(١) بحسب الاعتقاد الهندوسي السائد، فإن الهنود منقسمون إلى أربعة أقسام؛ القسم الأول: خلق من رأس الإله، وهم (البراهمة) الذين يشتغلون كرجال دين وكهنة ومربين، ويسنون القوانين ويشرفون على التعليم، وهؤلاء فوق جميع الطبقات. القسم الثاني: خلق من يد الإله، وهم طبقة (كاشاتريا)، الذين يمثلون قادة الجيش والفرسان والأشراف. القسم الثالث: خلق من فخذ الإله، وعلى أبناء تلك الطائفة أن يعملوا في التجارة والزراعة، وهم طبقة (الفايشا). القسم الأخير: هم (الداليت) الذي خلقوا من قدم (الإله)، وهم المنبوذون، وعليهم العمل في المهن التي يراها المجتمع حقيرة؛ مثل: الكنس وتنظيف الملابس، وتنظيف الجلود، وهذا كله وفق العقيدة الهندوسية بالطبع. انظر: حاش، عبد الرزاق عبد الله. موسوعة الطلاب المختصرة للعقائد والأديان، ص ٧٧.

(2) Dalits in Modern India: Vision and Values, S. M. Michael, p173.

(٣) كامدار، ميرا. كوكب الهند - النهضة المضطربة لأكبر نظام ديمقراطي وللمستقبل عالما، ترجمة: هلا الخطيب، دار العبيكان، ص ٢٣٢.

(٤) الجهني، مانع بن حماد. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ٢، ص ٧٢٨، مرجع سابق.

(٥) السواح، فراس. موسوعة تاريخ الأديان، ج ٤، ص ٣٩.

أصدرت الحكومة الهندية عام (١٩٥٠م) قانونًا يحظر رسميًا مصطلح (المنبوذين)، وعدت التمييز ضدهم أمرًا مخالفًا للدستور، ويعاقب عليه القانون، وبالرغم من ذلك فإنه ما زال (الداليت) معرضين للاضطهاد إلى اليوم<sup>(١)</sup>، وقد تمرد (الداليت) على وضعهم عدة مرات، وفي العقود الأخيرة عملوا باجتهد لتغيير أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية، وتابعوا سلك التعليم بأعداد كبيرة، وحصلوا على الشهادات العلمية وتبوؤوا الوظائف الرفيعة والمناصب القيادية في الجامعات والحكومة والبرلمان، بل ورتاسة الجمهورية، ويعد من أبرز رموزهم النضالية (بيمراو رامجي أمبيدكار / Bhimrao Ramji Ambedkar)<sup>(٢)</sup> الذي كان يرأس أبرز كياناتهم (حزب الهند الجمهوري).

تأسست حركة (الفهود الداليت) بعدما تفكك (حزب الهند الجمهوري) إلى أحزاب وفصائل متناحرة، وقد أسسه عدة نشطاء من الداليت؛ أبرزهم كان: (نامديو لاکسمان داسال / Namdeo Laxman Dhasal) الذي كان وزير الدفاع للحركة، و(رجا ضالي / Raja Dhale) الذي كان يرأس الحركة<sup>(٣)</sup>، واعتمد على العنف والأعمال الانتفاضية، وهو ما كان خروجًا عن مسيرة (حزب الهند الجمهوري) الذي كان جزءًا منه، وقد تأثر (فهود الداليت) بحراك الأمريكان السود ونضالهم ضد الفصل العنصري، لا سيما حركة (الفهود السوداء) ومنهج مالكوم إكس

---

(1) The Postcolonial Studies Dictionary, Pramod K. Nayar, p43.

(٢) مُصلِح سياسي هندي (١٨٩١م-١٩٥٦م) وينتمي إلى فئة الداليت، وقام بحملة من أجل حقوق الطبقة الهندية المنبوذة، ولعب دورًا في حركة استقلال الهند، كما لعب دورًا رئيسًا في صياغة الدستور الهندي وإصلاح المجتمع الهندي من خلال تعزيز المساواة وحقوق أكبر لكل من الفقراء والنساء.

(3) Dalits in Modern India: Vision and Values, S. M. Michael, p173.

الانتفاضي<sup>(١)</sup>، وقد كانت أيديولوجيتهم تخلط بين الهندوسية والماركسية، وقد اقتبسوا الماركسية من تبني (الفهود السود) في أمريكا له<sup>(٢)</sup>، وتشابهت حركة (فهود الداليت) مع (الفهود السود) بشكل كبير؛ حيث عدّها البعض النسخة الآسيوية منها، فقد كانت تعتمد الهيكل التنظيمي نفسه، وكلاهما أيدت حقوق الطبقة المُهمَّشة، كما أنهما اتخذتا النضال وسيلة لتحقيق غاياتهم المرجوة<sup>(٣)</sup>.

كان معظم زعماء حزب فهود الداليت من الشعراء والكتاب، وكانت خطبهم وأشعارهم تتميز بالانتفاضية، وكانوا يلّمّحون بصفة دائمة إلى مواجهة العنف بالعنف المضاد من قبل الطبقات العليا وضد الشرطة التي كانت متواطئة مع الطبقة العليا<sup>(٤)</sup>، وقد أصدروا بيانًا رسميًا في بداية إنشاء كيانهم أكدوا فيه حتمية قيام انتفاضة لحماية حقوق الداليت؛ فيقول نامديو داسال: (نحن لا نريد أن نأخذ مكانًا وسط البراهمة؛ نحن نأمل أن يتساوى الجميع ويسود العدل، لا نأمل تغيير أشخاص بل نأمل تغيير أنظمة تعمل على المساواة في الحريات والتعليم، وتعمل على إنهاء الاستغلال لفئة الداليت، ولن يتحقق ذلك إلا بانطلاق موجة انتفاضية)، كما أضاف البيان: (سرد على جميع المظالم التي ارتكبت ضد الداليت، وسنقوم بتدمير النظام الطبقي الذي يتغذى على بؤس الشعب والذي يستغل طبقة الداليت، يجب أن يحكم الداليت أنفسهم، وأن يكون أعضاء فهود الداليت مجهزين للموت من أجل تحقيق ذلك الحلم)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) لوس، إدوارد. على الرغم من الآلهة - النهوض الغريب للهند الحديثة، ترجمة: معين الإمام، ص ١٢٦.

(2) Dalit leadership in India, Vivek Kumar, p198.

(3) Dalits in Modern India: Vision and Values, S. M. Michael, p173.

(4) Poetry, Politics and Culture: Essays on Indian Texts and Contexts, Akshaya Kumar, p272.

(5) Dalits in Modern India: Vision and Values, S. M. Michael, p173.

نظمت حركة فهود الداليت العديد من الاحتجاجات والمظاهرات ضد القمع الذي تعيشه طبقة الداليت، وقد نجحوا في تكوين مجتمع متكامل وملتزم بحماية بعضه بعضًا، وقد أولت الحركة اهتمامًا خاصًا بالمرأة وقضاياها، لا سيما وقد عانت نساء الداليت العنف الجسدي وحوادث الاغتصاب والاختطاف من قبل رجال الشرطة أو الطبقات العليا<sup>(١)</sup>.

ولكن للأسف لم تُدْم تجربة فهود الداليت طويلاً؛ ففي عام (١٩٧٧م) حُلَّت المنظمة بسبب الخلافات التي نشبت بين أعضاء الجماعة حول مرجعيتها الفكرية، وقد وصل الخلاف إلى اقتتال داخلي، وانقسمت الحركة إلى أربع منظمات صغيرة على يد المؤسسين الأصليين للحركة الأم<sup>(٢)</sup>.

كان لمالكوم إكس تأثير غير مباشر على تلك الحركة من خلال تأثر مؤسسي الحركة بتجربة (الفهود السوداء)، والتي تبنت هي الأخرى مبادئ ومنهج مالكوم إكس الإصلاحية، وتحقيق العدالة الاجتماعية بأي وسيلة ممكنة.

ثانياً: حركة القوة السوداء والفهود السود (بريطانيا):

تأثر حراك السود في بريطانيا<sup>(٣)</sup> ضد العنصرية بحراك السود في أمريكا،

(1) Dalit Women: Vanguard of an Alternative Politics in India, S. Anandhi, Karinkapadia, p131.

(2) Dalits: Past, present and future, Anand Teltumbde, p102.

(٣) يرجع وجود السود في بريطانيا إلى سببين؛ السبب الأول: هو بقاء جزء من أحفاد المستعبدين. والسبب الثاني: هم المهاجرين من الدول الإفريقية والآسيوية في بداية القرن العشرين. وهاجم البريطانيون البيض الأعراق الملونة بسبب اعتقادهم بأن الملونين تسببوا في ندرة فرص العمل وخفض أسعار البيوت وانتشار الجريمة، وبناءً على ذلك وقعت عدة اعتداءات من البيض على المواطنين السود والآسيويين، ووقعت بعض المضايقات والتحرشات بالملونين الموجودين في أحياء البيض، وقد علّت نبرة العنصرية في الستينيات والسبعينيات بشكل كبير، وعلى إثر ذلك تأسست بعض الحركات لمحاربة التمييز العنصري وتحقيق العدالة الاجتماعية. انظر:



وسرعان ما انتقلت أساليب النضال عبر الأطلسي إلى بريطانيا لتؤسس كيانات مشابهة في المسمى وفي منهجها الانتفاضي، وكان لمالكوم إكس أثر ملموس في التأثير على الحركة النضالية للسود داخل بريطانيا، فبعد تأسيس حركة (القوة السوداء، والفهود السود) في الولايات المتحدة وانتشار صيتهم، سافرت تلك الفكرة عبر المحيط الأطلسي لتصل لبريطانيا، لا سيما بعد زيارة مالكوم إكس لبريطانيا في (ديسمبر/ ١٩٦٤م) وفي (فبراير/ ١٩٦٥م)<sup>(١)</sup> التي زار فيها بلدة (سميثويك) التي كانت تعج بالتمييز العنصري ضد ما هو غير أبيض، وقد صرح في تلك الزيارة عدة تصريحات هاجم فيها تلك المظاهر؛ فقال فيها: (لقد جئتُ إلى سميثويك لشعوري بالانزعاج من التقارير التي تفيد بالتمييز العنصري الحاصل ضد الأشخاص الملونين في تلك البلدة)، وتصريحًا آخر قال فيه: (لن أنتظر العناصر الفاشية في سميثويك لترتيب أفران الغاز)<sup>(٢)</sup> في تلميح إلى ما كان يفعله (هتلر)<sup>(٣)</sup> النازي مع اليهود في ألمانيا.

بعد تلك الزيارة مباشرة تأسست حركة (القوة السوداء) لتكون النسخة البريطانية من (البلاك باور) الأمريكية، كما تفرع منها بعد عام من تأسيسها حركة (الفهود السود) البريطانية<sup>(٤)</sup> متأثرة بتجربة (الفهود السود) في أمريكا في محاربة العنصرية والوقوف

(1) America in the British Imagination, J. Lyons, p78.

(2) Malcolm X, African American Revolutionary, Dennis D. Wainstock, p149.

(٣) سياسي ألماني نازي، وُلد في النمسا، وكان زعيم ومؤسس حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني -المعروف باسم: الحزب النازي-، حكم ألمانيا خلال (١٩٣٣م-١٩٤٥م)، واختارته مجلة تايم واحدًا من بين مائة شخصية تركت أكبر أثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين، وقام بعمل محارق لليهود في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية عرفت باسم (الهولوكوست).

(٤) نشأت تلك الحركة على يد الكاتب (أوبي إيجبونا/ Obi Egbuna) عام (١٩٦٨م)، ولكن سرعان ما تم القبض عليه بتهمة التآمر لقتل ضباط الشرطة؛ بسبب مقال كان يشجع فيه السود على مقاومة عنف الشرطة بشكل جماعي، وبعد إدانة إيجبونا تولت بعده قيادة الحركة (ألبا=

ضد عنف الشرطة تجاه السود في بريطانيا، والقيام بتنفيذ بعض الأنشطة الاجتماعية والتثقيفية للسود، وقد كان لمالكوم إكس تأثير مباشر على بعض قيادات حركة (القوة السوداء، والفهود السود) عبر مقابله لهم والتأثر بشخصيته ومنهجه الانتفاضي، وقد قالت (ليلي حسن)<sup>(١)(٢)</sup> القيادية في (حزب الحرية والوحدة السوداء البريطاني/ Black Unity and Freedom Party)<sup>(٣)</sup> وهو جزء من حركة القوة السوداء؛ قالت ليلي: (إن تأثير مالكوم إكس أكبر بكثير من تأثير مارتن لوثر كينج على صراع السود في بريطانيا، كانت هناك منافسة بين مالكوم ومارتن، وكلنا ذهبنا إلى مالكوم، ولا يمكن أن تكون راديكاليًا إلا لو اتبعت منهج مالكوم، مالكوم لم يخطئ في هجومه على اللاعنف، فمن الطبيعي أن ترد عندما يهاجمك الناس)<sup>(٤)</sup>.

ومن ضمن تلك القيادات؛ مؤسس حركة الفهود السود البريطانية (أوبي إيجبونا/Obi Egbuna)<sup>(٥)</sup>، فقد كان متأثرًا بشدة بمنهج مالكوم إكس، وأنشأ

---

=جونزليكننت/Althea Jones Lecointe)، وفي عهدها أصبحت الحركة فعّالة للغاية وذاع صيتها، وقد أصدرت صحيفة للحركة سميت بـ(أخبار الحرية)، ونظمت عدة فعاليات ضد وحشية الشرطة والتمييز العنصري، وبحلول أواخر عام (١٩٧٠م) بلغت عضوية الحركة (٣٠٠٠ عضو).

(١) قيادية في (حزب الحرية والوحدة السوداء البريطاني)، وزوجة القيادي (داركس هاو) القيادي في (حركة الفهود السود) البريطانية).

(2) Darcus Howe: A Political Biography, Robin Bunce, Paul Field, p1.

(٣) منظمة سياسية كانت جزءًا من حركة القوة السوداء البريطانية؛ تأسست عام (١٩٧٠م)، وكان لديها ثلاثة فروع داخل بريطانيا، اثنان في (لندن) وواحد في (مانشستر).

(٤) مقال للكتاب البريطاني (Paul Field) في مجلة (Jacobin) البريطانية، بعنوان: (The Real Guerrillas)، بتاريخ (١٤ / ٤ / ٢٠١٧م). انظر:

<https://www.jacobinmag.com/2017/04/guerrilla-black-power-uk-michael-x-egbuna-mangrove-nine>.

(٥) روائي وعازف مسرحي وناشط سياسي بريطاني من أصل نيجيري، وأحد مؤسسي (حركة الفهود السود) البريطانية.

حركة (الفهود السود) البريطانية، واعتمد لها المنهج الانتقاضي، وكان يستلهم شعاراته الخطابية من خطب مالكوم إكس، وقد اقتبس شعار مالكوم الشهير (بأي وسيلة كانت)، يقصد بذلك استخدام أي وسيلة متاحة للدفاع عن النفس ضد عنف الشرطة أو البيض<sup>(١)</sup>، كما كان لمالكوم إكس تأثير على (داركس هاو/ Darcus Howe)<sup>(٢)</sup>، وهو أحد مؤسسي حركة (الفهود السود)، وقد قابل مالكوم في منطقة (Notting hill)<sup>(٣)</sup> في لندن، ودار بينهما حديث أثار إعجاب (هاو) بشخصية مالكوم وبأسلوبه، وعلق عليها قائلاً: (لقد قابلت العديد من الرؤساء والوزراء كما قابلت نيلسون مانديلا، ولكن لم أقابل شخصاً يحمل تلك الكاريزما الشخصية مثل مالكوم إكس)<sup>(٤)</sup>، كما كان مالكوم إكس مصدر إلهام للمناضل (مايكل دي فريتاس) الشهير بـ(مايكل إكس) الذي تسمى بهذا الاسم اقتداءً بمالكوم إكس بعد مقابلته له في لندن عام (١٩٦٥ م) وتلقيب مالكوم له بـ(الأخ)، وكان مايكل إكس عضواً في حركة (القوة السوداء) البريطانية إلى أن انفصل عنها وأسس جمعية (Racial Adjustment Action Society)، وفي العام نفسه اعتنق ديانة الإسلام وسمى نفسه (عبد الملك)، لكنه كان يفتقد الانضباط السياسي والعقدي مثل مالكوم<sup>(٥)(٦)</sup>.

(1) The Night Malcolm X Spoke at the Oxford Union, Stephen Tuck, Henry Louis Gates, p198.

(٢) مذيع وكاتب بريطاني وناشط في مجال الحقوق المدنية، أصوله من جزر الهند الغربية، وانضم إلى حركة (الفهود السود) عام (١٩٧٠ م).

(٣) أحد مناطق لندن تنتشر فيها المقاهي والمطاعم.

(4) The Night Malcolm X Spoke at the Oxford Union, Stephen Tuck, Henry Louis Gates, p199.

(5) The Night Malcolm X Spoke at the Oxford Union, Stephen Tuck, Henry Louis Gates, p184.

(٦) عاصمة جمهورية ترينيداد وتوباغو.

### ثالثًا: حركة الفهد البولونيزي (نيوزيلندا):

وصل آلاف الأشخاص من الماوريين<sup>(١)</sup> بعد عام (١٩٥٠م) من جُزر المحيط الهادئ إلى نيوزيلندا بعد الطفرة الاقتصادية التي شهدتها الدولة الجديدة، وقد تغاضت الحكومة إبان تلك المدة عن تأثيرات العمل المنتهية وأوضاع المهاجرين غير الشرعيين، حتى شهدت نيوزيلندا أزمة اقتصادية في السبعينيات وأصبح المهاجرون كبش فداء للأزمات التي شهدتها الدولة<sup>(٢)</sup>.

وخلال الأزمة شكلت الدولة حملات مداهمة لتصفية المهاجرين غير الشرعيين في البلاد، فبدأت ما يسمى بـ(مداهمات الفجر) التي كانت تشتهر بسمعتها السيئة، وهي حملات فجائية للشرطة على منازل المهاجرين غير الشرعيين تطالبهم بإثبات الهوية الشخصية أو الإقامة القانونية، وكان الفشل في تقديم المستندات المطلوبة يعني الترحيل الفوري عن البلاد، واشتهرت تلك الحملات بسمعتها السيئة نظرًا لما كان لها من طابع فجائي يزرع الخوف والرعب في نفوس السكان المهاجرين من الأطفال والنساء والمسنين، والقبض على الأشخاص بملابسهم حتى لو لم يكونوا يرتدون ملابس مناسبة<sup>(٣)</sup>.

وبعد انتهاء تلك المداهمات عاش من تبقى من عرق الماوريين (سكان المحيط الهادئ) في نيوزيلندا، ولكن في أحياء فقيرة وظروف صحية غير آدمية، وعانوا التمييز العنصري من خلال مضايقات الشرطة وعدم المساواة في الأجور ورداءة

---

(١) الماوريون هم السكان الأصليون في نيوزيلندا، ويطلق عليهم أيضًا الشعوب البولونيزية؛ انخفض عددهم مع قدوم الأوروبيين إلى نيوزيلندا وباقي جُزر المحيط الهادئ، وتشكل نسبتهم حاليًا (١٥٪) من سكان نيوزيلندا البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة.

(2) Fair Borders: Migration Policy in the Twenty-First Century, David Hall, p22.

(3) New Zealand Identities: Departures and Destinations, James Hou-fu Liu, 209.

التعليم، وبناء على تلك الظروف العنصرية تأسست حركة (الفهد البولونيزي) التي كانت تدافع عن حقوق الماوري<sup>(١)</sup>.

نشأت حركة الفهد البولونيزي في مملكة نيوزيلندا عام (١٩٧١م) على يد ستة ناشطين من أصل بولونيزي<sup>(٢)</sup>؛ كرد فعل على سياسة التمييز العنصري التي كان يواجهها عرق (الماوري) من سكان البلد الأوروبيين فيما يتعلق بالتعليم والرعاية الصحية والبطالة، واستلهم مؤسسو الحركة فكرتها من حركة الفهود السود الأمريكية؛ حيث وجدوا تشابهاً كبيراً بين ما كان يحدث مع الأمريكيين السود في أمريكا وبين الماوري في نيوزيلندا<sup>(٣)</sup>.

تركزت فعاليات حركة (الفهد البولونيزي) على العمل الاجتماعي أكثر من الانتفاضي؛ حيث نظموا برنامج زيارة المسجونين، حيث كان العديد من أهالي الماوري المسجونين لا يملكون تكلفة الذهاب إلى السجون لزيارة ذويهم المحبوسين، فخصصت الحركة سيارات لنقل أهالي المسجونين لزيارتهم، كما أنشأت مراكز تعليمية سُميت بـ(مراكز الواجبات المنزلية) لمساعدة أطفال الماوري في الدراسة؛ حيث كان الكثير من أهالي هؤلاء الأطفال لا يملكون التعليم الكافي لمساعدتهم في دراستهم، كما قدمت الحركة للعديد من الماوري الاستشارات القانونية وطرق للتعامل ضد الادعاءات غير العادلة المقدمة ضدهم،

---

(1) The Human Society and the Internet: Internet Related Socio-Economic Issues, Won Kim, Tok-Wang Ling, Yoon-JoonLee, p103.

(٢) بولونيزيا: هي مجموعة من الجُزُر في المحيط الهادي يصل تعدادها إلى (١٠٠٠ جزيرة) فوق وسط وجنوب المحيط الهادي، يطلق على السكان الأصليين الذين يسكنون تلك الجزر البولونيزيين، ويشتركون في العديد من الصفات المشابهة، بما في ذلك الأسرة اللغوية والثقافة والمعتقدات، ويقطن أكثرهم في دولة (نيوزيلندا).

(3) The Black Pacific: Anti-Colonial Struggles and Oceanic Connections, Robble Shilliam, p53.



كما دعموا وأعطوا المشورة للماوري الذين لا يملكون وثائق أو تجاوزوا مدة تأشيرتهم لتوفيق أوضاعهم في مكاتب الهجرة<sup>(١)</sup>، كما أسسوا حركة تسمى (Po-lice Investigation Group) لمراقبة سلوك الشرطة المخالف أو العنصري ضد الماوري، خاصة فيما سُمي بـ(مداهمات الفجر)<sup>(٢)</sup>.

تأثر قيادات حركة (الفهود السود) بمنهج مالكوم إكس بشكل غير مباشر عن طريق محاولة إنشاء نسخة جديدة من (الفهود السود) داخل نيوزيلندا، وتركز نموذجهم على العمل الاجتماعي والاعتزاز بالهوية الماورية<sup>(٣)</sup>؛ فمن القيادات التي تأثرت بمالكوم إكس كان: (تيجلاو نيس / Tigilau Ness)<sup>(٤)</sup>، وأشار (نيس) في حوار له مع صحيفة (The New Zealand Herald)<sup>(٥)</sup> أنه انضم إلى حركة (الفهد البولونيزي) بعد قراءته عن مالكوم إكس وقصة حياته وسماعه أيضًا عن حركة (الفهود السود) الأمريكية<sup>(٦)</sup>، وفي حوار مع (ويل إيلاهيا / Will 'Ilohia)<sup>(٧)</sup> في مجلة (E-Tangata) قال: (إنه استهلم فكرة تأسيس الحركة بعدما قرأ كتاب (اغتنام الوقت) لبوبي سيل، أحد مؤسسي حركة الفهود السود، ورأى أن المحتوى الذي

---

(1) The Black Pacific: Anti-Colonial Struggles and Oceanic Connections, Robbie Shilliam, p53.

(٢) فيلم وثائقي بعنوان: (Polynesian Panthers Our Struggles)، إنتاج قناة (maori television) المملوكة للحكومة النيوزيلندية.

(3) The Black Pacific: Anti-Colonial Struggles and Oceanic Connections, Robbie Shilliam, p53.

(٤) فنان وناشط سياسي نيوزيلندي من أصل ماوري، وهو أحد مؤسسي حركة الفهد البولونيزية.  
(٥) صحيفة يومية تُنشر في (أوكلاند)، وتُعد الجريدة الأكثر توزيعًا من بين جميع الجرائد في (نيوزيلندا).

(6) [https://www.nzherald.co.nz/entertainment/news/article.cfm?c\\_id=150119&objectid=11752219](https://www.nzherald.co.nz/entertainment/news/article.cfm?c_id=150119&objectid=11752219).

(٧) أحد مؤسسي حركة (الفهود السود).



يكتب عنه متطابق مع الذي يحدث في نيوزيلندا<sup>(١)</sup>، كما كانت هناك توجيهات داخل الحركة بقراءة السيرة الذاتية لمالكوم إكس للتشجيع على الاعتزاز والفخر بالهوية<sup>(٢)</sup>.

لم يقتصر منهج مالكوم على الانتشار بشكل محلي، بل كان مُلهِمًا لكثير من الحركات التحررية والحقوقية التي كانت تنسج على منواله في مكافحة التمييز العنصري وتحقيق العدالة الاجتماعية في دول أخرى غير الولايات المتحدة، كما لم ينحصر امتداد منهجه في حِقبة الستينيات والسبعينيات فقط، بل امتد أثره إلى الزمن الذي نحياه؛ فقد شهد العقد الماضي بروز عدّة جماعات ذات أصل أوروبي تنسج على منوال مالكوم إكس؛ مثل: رابطة العرب الأوروبيين البلجيكية<sup>(٣)</sup>، وحركة بانترانا السويد<sup>(٤)</sup>، وحركة الفهود السود اليونانيين<sup>(٥)</sup>؛ فوضع مالكوم إكس كان وضعًا مختلفًا عن بقية النشطاء؛ فقصة حياته المتقلبة ومنهجه المتفرد الذي اعتمده للنضال؛ قد شكّلًا منبع إلهام لكثير من الشباب والنشطاء.

---

(1) <https://e-tangata.co.nz/korero/will-lolahlia-once-a-panther-always-a-panther>

(2) *The Black Pacific: Anti-Colonial Struggles and Oceanic Connections*, Robbie Shilliam, p54.

(3) منظمة الحقوق المدنية في (بلجيكا، هولندا)؛ شكّلت لجانًا لمراقبة الشرطة في بلجيكا بعد مقتل شاب بلجيكي من أصل مغربي عام (٢٠٠٢م)؛ نتجت عنه أحداث شغب في شوارع مدينة (أنتويرب).

(4) حركة حقوقية في السويد تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، استلهمت مسماها من حركة (الفهود السود) الأمريكية، وقد زار (بوبي سيل) أحد مؤسسي حركة الفهود السود الأمريكية عام (٢٠١٢م).

(5) حركة حقوقية للدفاع عن المهاجرين غير الشرعيين واللاجئين في اليونان ضد الأحزاب المتطرفة؛ مثل: حزب (الفجر الذهبي) وهو حزب سياسي يوناني، يحسب على التيار اليميني المتطرف، وهو من الأحزاب التي تستعدي المهاجرين، ومتهم بجرائم كثيرة ضدهم.

## المبحث الرابع

### نقد وملاحظات حول منهج مالكوم إكس

حملت السيرة الذاتية لمالكوم إكس الكثير من التفاصيل والتقلبات المُلهممة التي جعلته مصدرَ إعجاب للكثيرين المُطَّلعين على سيرته ومنهجه في نضاله ضد العنصرية في بلده، ومنبع استقواء لا ينضب لحاملي الأفكار والمتمسكين بالمبادئ والأحلام؛ فسيرة مالكوم كما قال عنها الدكتور عبد الوهاب المسيري: (ترتيلة تُمجِّد روح الإنسان التي يُمكنها البقاء والاستمرار في مواجهة أكثر الظروف إفسادًا وتدميرًا).

وبما أن صفة الكمال والتزّه عن النقائص البشرية هي صفة اختص بها الله أنبياءه دون سائر البشرية، وأن لكل شيء على تلك الأرض نقيصة كمال قال الشاعر أبو البقاء الرُندي<sup>(١)</sup> في قصيدته الشهيرة (لكل شيء إذا ما تمَّ نُقصانٌ)؛ فيطرح الباحث في المبحث المآخذ والملاحظات التي كانت في منهج مالكوم إكس خلال مسيرته؛ لكي يكون تقييم المنهج شاملاً ومستعرضاً لمميزاته وعيوبه؛ ما سينتج عنه توازن في تقييم التجربة.

#### مرحلة أمة الإسلام:

بالرغم من طول تلك المرحلة في حياة مالكوم النضالية؛ فإنها كانت مليئة بالعيوب المنهجية والبدع الدينية عندما كان عضواً مخلصاً داخل تنظيم الأمة

---

(١) هو صالح بن شريف بن صالح، كان يُكنى بأبي الطيّب وأبي البقاء، كان فقيهاً بارعاً في الشر والنظم، وقد قال قصيدة في رثاء المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي الصليبيين الإسبان، وتوفي عام (٥٦٨٤هـ).

وتلميذًا وِفِيًّا لِإِلِجَاهِ مُحَمَّدِ الَّذِي بَثَّ فِيهِ كُلَّ تِلْكَ الْأَفْكَارِ الْمَعْيِبَةِ وَالْمَمْزُوجَةِ  
بِصَحِيحِ الْأَفْكَارِ وَخَطْئِهَا.

تركزت عيوب منهج مالكوم إكس خلال حِقْبَتِهِ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي أَمْرَيْنِ  
رئيسيين؛ الأمر الأول: عَقْدِي عِبْرَ اعْتِنَاقِهِ مَعْتَقَدَاتِ التَّنْظِيمِ الْمُنْحَرِفَةِ الَّتِي كَانَتْ  
غَطَاءً شَرْعِيًّا لِلأَمْرِ الثَّانِي: وَهُوَ الْعَنْصَرِيَّةُ الْمُضَادَّةُ الَّتِي كَانَتْ مَضْمُونَهَا مُوَاجَهَةُ  
العنصرية بالعنصرية، والتي قادته بِنَعْتِ الْبَيْضِ أَنَّهُمْ شَيَاطِينٌ وَفَقًّا لِمَعْتَقَدَاتِ إِلِجَاهِهِ.  
بِالنِّسْبَةِ لِلْعُيُوبِ الْعَقْدِيَّةِ كَانَتْ عَدِيدَةً؛ أَخْطَرُهَا: اتِّبَاعُهُ إِلِجَاهَهُ مُدَّعِي النَّبُوءَةِ،  
الَّذِي ادَّعَى بِأَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ لِلسُّودِ لِتَحْرِيرِهِمْ مِنْ رِبْقَةِ الرَّجُلِ الْأَبْيَضِ! لِيَتَنَاقَضَ  
مَعَ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ وَهِيَ أَنَّهُ يَعِدُ نَفْسَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ! <sup>(١)</sup>، كَمَا  
كَانَ مِنْ أَخْطَرِ مَا يُؤْمَنُ بِهِ مَالِكُومُ فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ اعْتِنَاقُهُ بِأَنَّ الْبَيْضَ يَنْحَدِرُونَ مِنْ  
صَلْبِ الشَّيْطَانِ، وَأَنَّ السُّودَ هُمْ شَعْبُ اللَّهِ الْمَخْتَارِ، كَمَا تَقْضِي بِأَنَّ السُّودَ لَيْسُوا  
مُؤَاطِنِينَ أَمْرِيكِيِّينَ عِرْقِيًّا، وَهُوَ مَا تَوَافَقَ مَعَ أَفْكَارِ الْقَوْمِيَّةِ السُّودَاءِ وَأَعْطَاهَا صَبْغَةً  
شَرْعِيَّةً.

وَتَرْتَبَ عَلَى ذَلِكَ الْخَلَلَ الْعَقْدِيَّ خَلَلَ فِي تَصَوُّرَاتِهِ وَسُلُوكِيَّاتِهِ مَعَ الْبَيْضِ؛  
حَيْثُ أَنْتَجَ ذَلِكَ الْفَهْمَ الْمَخْتَلَّ مَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ الْعَنْصَرِيَّةُ الْمُضَادَّةُ، لِذَلِكَ كَانَتْ التَّنْظِيمُ  
رَافِضًا لِأَيِّ فِكْرَةٍ تَدْعُو لِلانْتِمَاجِ دَاخِلَ الْمَجْتَمَعِ الْأَمْرِيكِيِّ، كَمَا اقْتَصَرَتْ الْعَضُويَّةُ  
دَاخِلَ التَّنْظِيمِ عَلَى السُّودِ ذَوِي الْأَصْلِ الْإِفْرِيْقِيِّ أَوْ الْهِنْدِ الْغَرْبِيَّةِ، وَلَكِنْ الْأَغْلَبِيَّةُ  
كَانَتْ لِحَسَابِ ذَوِي الْأَصْلِ الْإِفْرِيْقِيِّ، وَكَانَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ السُّودِ أَوْ الْعَرَبِ  
الْمُسْلِمِينَ مُرْتَجَبًا بِهِمْ كَضِيُوفٍ لَكِنْ دُونَ حُصُولِهِمْ عَلَى عَضُويَّةِ دَاخِلِ التَّنْظِيمِ <sup>(٢)</sup>

(١) سميث، جين. الإسلام والمسلمون في أمريكا، ص ٨٠، مرجع سابق.  
(2) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p29.

وظهر ذلك على رد مالكوم الرفض لعضوية إحدى الطالبات البيضاء التي زارته في المطعم التابع للمسجد السابع لعرض خدماتها عليه وعلى التنظيم، وانصرفت الطالبة وهي تبكي بعد ذلك الرفض المحرج<sup>(١)</sup>.

انعكست المدخلات العقديّة المشوّهة لعقلية مالكوم على تصوراتهِ وسلوكياته السياسيّة والحقوقية؛ فأصابته بالخلل والبُعد عن التوسط والاعتدال، حتى بعد رحيله عن التنظيم وتحرره من ظلمة أفكار إيلجاه محمد ظلت بعض الشوائب العالقة بمنهجه وهو ما سيناقش في المرحلة الآتية.

ما بعد رحيله عن (أمة الإسلام):

#### ١- نُدرّة الضبط الشرعي للمنهج:

بالرغم من أن مالكوم لم يترك الدعوة للإسلام بعد رحيله عن (أمة الإسلام) وأسس تنظيمًا دعويًا خاصًا به (المسجد الإسلامي الموحّد) الموازي لتنظيمه السياسي (منظمة الوحدة الأفروأمريكية)، وكان على علاقة بعلماء مسلمين منضبطين عقديًا؛ بالرغم من ذلك كله فإن ولّعه بالقومية السوداء وتعلقه الشديد بقضية المساواة الاجتماعيّة للسود كانت تصيب تصريحاته بالشطط المنهجي غير المنضبط بالشرع.

فبدلًا من النص على إسلامية مرجعيته بعد خروجه من تنظيم (أمة الإسلام)، كان ينص على أن مرجعيته هي (القومية السوداء) مستبدلاً إياها بمرجعيتها الإيليجية<sup>(٢)</sup> التي كان يستند إليها في جميع خطابه السابقة، وفي كثير من الأحيان كان يمزج الإسلام بـ(القومية السوداء)؛ ففي خُطبة التي خطبها في (٣/

(1) The Autobiography of Malcolm X, p329.

(٢) نسبة إلى إيلجاه محمد.

أبريل / ١٩٦٤م)، في كنيسة كوري الميثودية في (كليفلاند) وصف مالكوم إكس التزامه المستمر بأيدولوجية القومية السوداء التي وصفها بأنها الفلسفة التي ينبغي على الأمريكيين الأفارقة أن يحكموا بها مجتمعاتهم، وقال: (إن القوميين السود يعتقدون أن الأمريكيين من أصل إفريقي يجب أن يسيطروا على السياسة والاقتصاد في مجتمعاتهم وأنهم بحاجة إلى مكافحة الرذائل؛ مثل: الإدمان على الكحول وإدمان المخدرات، التي تصيب مجتمعاتهم)<sup>(١)</sup>.

وفي تلك الحقبة بدأ مالكوم يميل إلى اتجاه الاشتراكية كمنهج اقتصادي وبعض الأفكار العلمانية التي كانت تؤمن بعزل الدين عن التدخل في السياسة؛ ففي إحدى خطبه التي تناول فيها تأسيس منظمته الدعوية (المسجد الإسلامي الموحّد) صرّح بأنه يؤمن بفصل الدين عن السياسة؛ حيث قال: (صحيح أننا مسلمون وأن ديننا هو الإسلام، ولكننا لا نخلط أمورنا الدينية بسياستنا وأمورنا الاقتصادية ونشاطاتنا الاجتماعية والمدنية، لن نفعل ذلك كما فعلنا سابقاً، بل سنبقي أمورنا الدينية في مسجدنا، وننخرط بعد انتهاء الشعائر الدينية كمسلمين في النشاط السياسي وفي النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والمدنية، وسنشترك في النشاط مع أي أحد وبأي وسيلة هدفها القضاء على الشرور السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تظلم الناس في مجتمعاتنا)<sup>(٢)</sup>.

تكمن مشكلة نُدرة تقيّد مالكوم إكس في تصريحاته الخطابية بمرجعية إسلامية وضوابط شرعية؛ في أنها تصريحات أغلبها انتفاضي وحماسي، وإن لم تُضبط تلك التصريحات وتُقيّد بضوابط الشرع؛ ستؤدي حتماً إلى مفاسد كبرى كما حدث من بعض الجماعات الراديكالية التحررية غير المسلمة التي اقتبست

(1) History of American Political Thought, Bryan-Paul Frost, Jeffrey Sikkenga 728 .,

(2) Black Nationalism in American Politics and Thought, Dean E. Robinson, p48.

من مالكوم بعض شعاراته واعتمدها كشعارات رئيسة لها؛ وترتب عليها بعض المفاسد لاستخدامها دون ضابط شرعي إسلامي.

## ٢- التعامل مع الدول العربية والإفريقية من زاوية واحدة فقط:

بعد انفصال مالكوم عن تنظيم الأمة؛ اتجه إلى توسيع علاقاته الدولية بالشرق الأوسط والدول الإفريقية، لا سيما الدول العربية منها ك(مصر، والجزائر، والسودان)، ووجد مالكوم ضالته في ذلك العالم العربي من مساواة اجتماعية بعيدة عن أي تفرقة عنصرية بسبب اللون، ووجد من التقدير ما لم يجده في بلاده نفسها، فكان الشرق الأوسط له هو الفردوس الأرضي، كما وصفه الدكتور عبد الوهاب المسيري قائلاً: (الوطن العربي مع ذلك ليس الفردوس الذي رآه مالكوم؛ لأنه وطن له جوانبه المظلمة، شأنه في ذلك شأن أي بقعة أخرى في العالم، لكن مالكوم تعامل مع الوطن العربي من منظوره هو، كأمرئكي أسود يعاني ويلات التفرقة العنصرية، ومن هذا المنظور اكتشف مالكوم أن الوطن العربي لا يقف في طريق نمو الإمكانيات الإنسانية للإنسان الأسود، لذلك وجد مالكوم في العالم العربي الإسلامي تحقيقاً جزئياً لحلمه بالبراءة، وبالعالم خالٍ من التفرقة العنصرية)<sup>(١)</sup>.

بحسب مبادئ مالكوم التي يؤمن بها أنه لا يرضى بممارسة الظلم على أي إنسان، وكان يسعى دوماً للدفاع عن حقوق الإنسان، وكان يرفع شعار (الخطأ خطأ بغض النظر عن من فعله أو يقوله)، ولكن مالكوم تغافل عن الجوانب المظلمة في العالم العربي والاستبداد الذي يمارسه بعض حكامه في ذلك الوقت على الشعوب، ونظر له من جانب واحد فقط فيما يخص مشكلته؛ فقد كان الرئيس

(١) المسيري، عبد الوهاب. الفردوس الأرضي، ص ١١٣، مرجع سابق.



المصري جمال عبد الناصر من أكثر الحكام العرب المستبدين آنذاك، فكان يفتخر -عبد الناصر- في إحدى خطبه باعتقاله (٦٨ ألف مواطن) في يوم واحد<sup>(١)</sup>، وامتلات السجون الحربية في عهده بمعتقلي جماعة (الإخوان المسلمين) ومورس عليهم أقسى أنواع التعذيب، وأُعدِم بعضهم كسيد قطب عام (١٩٦٦م)، وبالرغم من ذلك لم يعلق مالكوم على تلك السلوكيات المستبدة إما تعمدًا منه أو جهلاً منه بها.

وفي عام (١٩٦٤م) ذهب مالكوم للقاء الرئيس الغاني (كوامي نكروما)، وكان نكروما يُعد البلاد وقتها لحكم ديكتاتوري قمعي، واستخدم سلطته السياسية لقمع التجار وزعماء القبائل الذين فقدوا الكثير من امتيازاتهم بسبب سياسته الاشتراكية، ولكن نجت البلاد من محاولته تمرير تعديل دستوري يسمح بانتخابه رئيسًا مدى الحياة، ويجعل من حزبه الحزب الوحيد في غانا، عندما انقلب عليه الجنرال (جوزيف أنكرا)، الذي استغل قيام نكروما بزيارة إلى فيتنام، وقام بالإطاحة بالحكومة واعتقال قادة حزبه<sup>(٢)</sup>.

ربما كان يلاحظ مالكوم ذلك الجانب المظلم في تلك البلاد وأولئك القادة العرب والأفارقة، ولكن تركيزه على قضيته الحقوقية جعله يتغافل عن ذلك الجانب لتوسيع شبكة علاقاته الدولية وإعطاء زخم دولي لقضيته، أو ربما جهلاً منه بذلك الجانب المظلم وعدم الخوض في تفاصيل سياسات تلك الدول والاكتفاء بالمعرفة العامة عنها وعن قادتها، لا سيما وأن وقتها لم تكن وسائل المعرفة كما هي في عصرنا الحالي.

---

(١) إمام، عبد الفتاح إمام. الطاغية - صور فلسفية للاستبداد السياسي، ط ٤، ص ٣٩.  
(2) An Encyclopedic Dictionary of Conflict and Conflict Resolution, John E. Jessup, p28.

أحد العيوب التي لم يَسَلَمَ منها منهج مالكوم في تلك المرحلة؛ هو ضبابية الحلول المطروحة في حل مشكلة العنصرية؛ وذلك ناتج عن كثرة التقلبات الفكرية التي مر بها، لا سيما في آخر حياته؛ الأمر الذي أثر على شعبيته في الشارع الأمريكي الأسود في مقابل ازدياد شعبية منافسه الأبرز مارتن لوثر كينج الذي كان يطرح حلولاً واضحة؛ يقول أليكس هيلي الروائي الذي كتب السيرة الذاتية لمالكوم إكس: (إن في آخر حياة مالكوم، وخاصة مع تقلباته الفكرية، كان يُقال من رجل الشارع الأسود: إنه لم يعد يعرف ما يؤمن به، فهو لا يكاد يقول شيئاً حتى ينتقل إلى غيره)<sup>(١)</sup>، وقد انحصرت تلك الضبابية في ثلاثة أشياء: (وسيلة النضال، وحل المشكلة، والمذهب الاقتصادي).

ومن الدلائل على ضبابية تلك المرحلة في وسيلة النضال؛ محاولة التقرب من مارتن لوثر كينج في أواخر حياته بالرغم من عداؤ مالكوم له طيلة مدة نضاله، موجهاً له الاتهام بأنه سبب من أسباب ضعف شوكة السود داخل أمريكا، وفي أواخر حياته زار مالكوم بنفسه القسّ مارتن لوثر كينج في مؤتمر صحفي له في مبنى (الكابيتول / Capitol) عام (١٩٦٤ م)، والتقط معه صورة شهيرة وهما يضحكان في وجه الكاميرات، سعى مالكوم لتلك المقابلة وهو ما زال مقتنعاً بوسيلة الانتفاضة وحق الدفاع عن النفس، وهو عكس ما يروج له كينج تمامًا؛ ما جعل البعض يحللون ذلك التصرف بأنه ثمة مصالحة بين المنهجين.

ربما في تلك الأيام أدرك مالكوم صعوبة تحقيق ما يدعو له ورأى اقتراب

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٤٢٠، مرجع سابق.

كينج سيحقق بعض المكاسب للسود، فأراد أن يشارك في تسهيل ذلك المكسب بطرح نفسه كبديل صعب للحكومة الأمريكية يسهل قبول حلول مارتن لوثر كينج، وقد اعترف بنفسه بذلك عندما كان يحضر مؤتمر الزعامة المسيحية الجنوبية في (ألاباما)، وكان بجواره عقيلة مارتن لوثر كينج، فمال إليها وهمس في أذنها أنه يحاول أن يساعد، وأنه يريد أن يتقدم ببديل قد يسهل على البيض قبول عروض مارتن<sup>(١)</sup>، ولكن كان هذا على حساب شعبيته وسمعته.

ومن الدلائل أيضًا حلوله المطروحة لحل مشكلة السود، فطيلة مدة وجوده داخل (أمة الإسلام) كان يدعو للانفصال وكانت الفكرة غير متبلورة في ذهنه، وكان يطرحها بلا أي إطار محدد لها؛ فقال في تصريح له متعلق بذلك الأمر: (إن تسع أو عشر ولايات تكون كافية)<sup>(٢)</sup>، ولكن لم يحدد ماهية الولايات أو أي معالم أخرى، وقد تضارب تصريحه مع إيجاه؛ فيقول: (إذا كانوا لا يريدون ذلك؛ فليتركونا نعزل أنفسنا عنهم ونعيش في أربع أو خمس ولايات في أمريكا، أو فلنغادر هذه البلاد إلى غير رجعة)<sup>(٣)</sup>، وفي موضع آخر قال في لقاء صحفي: (كل ما نريده هو دولة مستقلة منفصلة وليس من الحتمي أن تكون الدولة في أمريكا)<sup>(٤)</sup>، وبعد رحيل مالكوم عن تنظيم الأمة لم يطرح حلًا واضحًا سوى ربط نضال السود داخل أمريكا بنضال الأفارقة حول العالم<sup>(٥)</sup>، وهو ما كان طرحه فيها محددًا إلى حد ما عبر إعلانه لمنظمة (الوحدة الأفروأمريكية) والعمل من خلالها، فتلك الحلول الضبابية غير المأطرة بمعالم تجعل فهمها ليس سهلاً على رجل الشارع الأسود

---

(١) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٤٢٨، مرجع سابق.

(2) The Black Muslims in America, Charles Eric Lincoln, p91.

(3) Black Liberation and Socialism, Ahmed Shawki, p172.

(4) Elijah Muhammad, Herbert Berg, p91.

(5) هيلي، أليكس. مالكوم إكس - سيرة ذاتية، ص ٤١٦، مرجع سابق.

ومن بعده طرف الصراع الآخر المتمثل في الحكومة الأمريكية، وقد مثل ذلك عيبًا من عيوب منهج مالكوم.

ومن ضمن تلك الدلائل أيضًا ميله للاشتراكية كمذهب اقتصادي وتوطيد علاقاته بالدول والزعماء الذين تبناها كمنهجية سياسية واقتصادية لبلدهم، وبالرغم من عدم إعلانه رسميًا اعتناق المذهب الاشتراكي؛ فإنه فقد امتدح الاشتراكية قائلًا: (إن جميع الدول التي خرجت اليوم من قيود الاستعمار تتحول الآن إلى الاشتراكية، ولا أظن أنها صُدفة، الدول الاستعمارية كلها كانت تعتنق الرأسمالية كمذهب لها، وأمريكا اليوم هي الحصن الأخير للرأسمالية، إنه من الصعب التفريق بين الرأسمالية والعنصرية)<sup>(١)</sup>، وفي رأي آخر له أثنى فيه على المذهب الاشتراكي قائلًا: (حين ننظر إلى الدول الإفريقية فنجدها قد تجاوزت مشكلاتها عبر اتباع الاشتراكية كمذهب اقتصادي لها)<sup>(٢)</sup>.

كان مالكوم يثني على الاشتراكية دون اعتناقها؛ وهو ما جعل موقفه محيرًا للبعض من ناحية تصنيفه ضمن معسكر الاشتراكية أو لا، وقد ظهر أثر ذلك الشئ على المتأثرين بمنهج مالكوم من بعده في اتباعهم للمذهب الاشتراكي.

---

(1) African Intellectuals and Decolonization, Nicholas M. Creary, p25.

(2) Black Theology-Essays on Global Perspectives, Dwight N. Hopkins, p215.

# الخاتمة

في نهاية هذا البحث لا أجد أجمل من وصف الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الفردوس الأرضي لحياة مالكوم أنها (ترتيلة تمجّد روح الإنسان التي يُمكنُها البقاء والاستمرار في مواجهة أكثر الظروف إفسادًا وتدميرًا)، فسيرته الملهمة كانت ترتيلة بها النقيض والنقيض، ليس من باب التقلب بمعناه السلبي أو الهوائية أو غرابة الأطوار، بل من باب السعي وراء الفضيلة واتباع الحق والارتقاء بالنفس من دناياها إلى العُلا.

إن احتياجنا لقراءة سيرة مثل مالكوم إكس في تلك الحقبة التي نعيشها احتياج الظمآن إلى الماء لتجديد دماء الثورية الذي برد في عروق تلك الأمة، وتنشيط همة الدعاة إلى الله في نشر الدين وعلو همتهم، نحتاج إلى قراءتها لتعلم المفاصلة وحب اتباع الحق والبعد عن مDAHنة الأعداء، نحتاج إليها للابتعاد عن الهزيمة النفسية أمام كل ما هو غربي، والاعتزاز بديننا وهويتنا.

رضي الله عن الحاج مالك الشباز ورحمه وتقبله في الشهداء.



# حلم البراءة

مالكوم إكس.. عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحي

يمثل مالكوم إكس رمزاً من رموز مناهضة العنصرية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، والذي بنضاله واستمراره في دعوته نال الكثير من الأمريكان - من ذوي الأصل الإفريقي - حريتهم وتحزُّبهم من جحيم الفصل العنصري والاستغلال وعدم المساواة، كما أنه رمز من رموز الدعوة إلى الإسلام في أمريكا.

ولذلك كانت حياته ومسيرته جديرة بالدراسة، لا سيما وأنها تضمنت سلسلة من التحولات، من النقيض إلى النقيض؛ حيث انتقل من وُخل الجريمة والانحراف إلى الهداية والدعوة إلى الإسلام، ومن قاع التطرف والأفكار العنصرية إلى الاعتدال والتوسط؛ ومن فهمه للإسلام بشكل خاطئ إلى الفهم الصحيح.

ولأن الكثيرين لا يعرفون هذه الشخصية الفذة، فإن هذه الدراسة تسعى في فك القيود الأمريكية الإفريقية عنها، وإيصالها إلى أكبر قطاع من المسلمين.

